سِلسِلةُ الشُّرُوح (١١)

المُيَسَّر

فِي شَرحِ

حُسنِ الصِّياغةِ في فنونِ البلاغةِ

للشَّيْخ: هارُوْن عَبدالرَّازِق رَحِمَهُ الله

(ت:١٣٣٦هـ)

شَرَحَهُ:

د. عَبدالله بن عَبدهِ العَوَاضِي



غافق للدراسات والنشر

GAFEQ for studies and publishing

المُيَسَّر في شرح حسن الصياغة في فنون البلاغة

شرحه: د. عبدالله بن عبده العواضي

سلسل الشروح (١١)

المُيَسَّرُ

فِيْ شَرْحِ

حُسْنِ الصِّيَاغَة فِيْ فُنُوْنِ البَلاغَة

العنوان: المُيَسَّرُ فِيْ شَرْحِ حُسْنِ الصِّيَاغَة فِيْ فُنُوْنِ البَلَاغَة.

شرح: د. عبد الله بن عبده العواضي.

الصفحات: (241 صفحة).

الطّبعة: الأولى، 1447هـ- 2026م.

النّاشِر: غافق للدراسات والنشر.

قياس القطع: 17× 24.

إخراج فني وإلكتروني: هشام بن حسين الأهدل.

النَّاشِر

غافق للدراسات والنشر

GAFEQ for studies and publishing

اليمن - صنعاء

gafeq.s.p@gmail.com

+967 71 71 72 770

GAFEQ.S.P

782 16 12 14

سلسل الشروح (١١)

المُيَسَّرُ

فِي شَرحِ
حُسْنِ الصِّيَاغَةِ فِي فنُونِ البَلاغَةِ

لِلشيخ: هارون عبد الرّازق، رحمه اللّه (ت: ١٣٣٦هـ)

شَرَحَهُ:

د. عبد اللّه بن عبده العواضي

غافق للدراسات والنشر

GAFEQ for studies and publishing

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أفصحَ في الكون صبحُ جلاله، **وأشرقَ** في بيان كتابه وجهُ كماله، **وتصوَّرَ** في خلقه البديع جميلُ صنعه وفعالِه، **ودلَّت** على عظيم رحمته بنا معاني نوْلِه وإفضاله.

أحمده على نشر بساط النعمة، **وأشكره** على طيٍّ امتداد النقمة، **وأستوهبه** مزيد آلائه، **وأستدفع** برحمته شرَّ قضائه.

وأُصلي وأسلِّم على مَن آتاه الله جوامع الكلم وكان أحقَّ بها وأهلها، وأنزل عليه آيات القرآن التي لمح الناظر في سماء البلاغة سموقها وفضلها، أفصح من نطق بالضاد، وأبين من مشى بين العباد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كانوا للدين بعد النبي عمادَه المتين، وحارسه المكين الأمين.

أما بعد.

فإن علم البلاغة من أسمى العلوم قدرا، وأعظمها لمن انتحى قصدها أثرا، فهي مستودع أسرار العربية ومعدن حُسنها، والكاشف عن الجمال في النصوص وإبريز حَلْيها، واللذة المعرفية التي تتجدد حلاوتها في كل نظرة متأملة إلى أعماق لغتها، والمِرآة الفنية التي تبدو عليها مخايل الإبداع، وطرائق الإمتاع، والأفق العالي الذي من بلغه ورسخ فيه أطل على حقائق المفردات والتراكيب والأساليب فأحاط بها من جميع جهاتها -بقدر الطاقة البشرية- علما، وعرف

الجيد من الرديء، والصحيح من العليل، والبهاء من الهذاء، والصفو من الكدر، والغُرر من العُرر.

وكيف لا يكون هذا العلم كذلك وأزيد؛ وهو الذي أبان عن إعجاز القرآن وفخامة شأنه؛ في روعة بيانه وأساليبه، وألفاظه ومعانيه، ورونق صوره، ودقة استعماله، حتى أعيت البلغاءَ بلاغتُه، وأخرست الفصحاء فصاحته، وأدهشت المتدبرين الواعين عظمته، فغاصوا من خلاله إلى معان دقيقة، ولطائف رشيقة، ومقاصد بالفرح بها حقيقة، فلا غنى لمن أراد معرفة التنزيل من الاستضاءة بنوره، ولا مناص لباغي الإصابة في التأويل من الاغتراف من بحوره.

وهل عرفنا جمال الشعر، وتفاوت الشعراء في منازل الإبداع إلا عبر فنونه، ورفعنا من شأن الخطباء والكتَّاب إلا بورود معينه.

فمن نافذته أدركنا فرائد الشعر، ونفائسه، وبدائعه، وبدائهه، وعقائله، وغرره، وحسناته، وإحساناته.

ودرينا أعلام الخطباء المصاقع، الذين تميزوا برحابة المجال، وانفساح الخطو، وصقل الخاطر، وطلاقة البديهة، وسماحة القريحة.

وأكبرنا أمراء الكتابة الذين أتقنوا أدواتها، وسبروا أغوار لغتها، وأحاطوا بأسرار بلاغتها، وتبحروا في ضروب إنشائها، وتبسطوا في فنون يراعها، وعرفوا فصيحها فصافحوه، وركيكها فقلوه، ومأنوسها فاستضافوه، وغريبها فلعنوه.

لهذا ينبغي لكل ناطق بالعربية أن يعتكف في محاريب البلاغة دارسًا

وممارسا، وأن يوليه من عنايته ووقته حظًا وافرا، ولاسيما من له عناية بالقرآن في أي وجهة كانت تلك العناية؛ فبه يفهمون القرآن ويعونه حقا، وتزداد محبتهم له وعلاقتهم به صدقا.

وقد كان لطلابنا النبلاء مقرر في هذا الفن يمثل اللبنة الأولى في بناء هذا العلم الشامخ؛ لكونهم لم يدرسوا كتابًا مستقلاً في هذا الفن من قبل، فكان الاختيار قد انصرف إلى متن "**حُسْنِ الْصِّيَاْغَة فِيْ فُنُوْنِ الْبَلَاْغَة، لِلشَيْخِ: هَاْرُوْن بن عَبْد الرَّاْزِق رَحِمَهُ اللهُ تَعَاْلَى**"[1]، فشرحته للتلامذة شرحًا ميسراً يناسب مستواهم، ومستوى من كان على منوالهم ممن سيقرأون هذا الشرح.

وقد كان من عملي في هذا الشرح الآتي:

1 – ضبطت بالشكل حروف الإعراب في كلمات المتن، وما يحتاج إلى ذلك من سائر حروف كلماته.

2 – وضعت عناوين جانبية لعدد من المسائل.

3 – جعلت كلام المؤلف بخط مكبر بين قوسين ( ) وعقبته بالشرح.

4 – ذكرت معاني غريب المتن، وشرحت جمله المحتاجة إلى ذلك.

5 – عرَّفت ما يفتقر إلى تعريف مما لم يذكره المؤلف، ولاسيما التعريفات اللغوية.

---

(1) سيأتي الحديث عن المتن ومؤلفه قريبًا.

6- بينت وجه الاستشهاد من الأمثلة، التي لم يبينها المصنف.

7- أضفت أمثلة خلا المتن منها، مع أهمية ذكرها لدى الشرح والتوضيح.

8- زدت أشياء أخرى سيراها الدارس والقارئ.

9- ذكرت المتن كله مضبوطًا بعد التمهيد؛ لمن أحب أن يرجع إليه منفصلا.

11- قدمت بين يدي الشرح تمهيداً متضمنًا مطلبين، تحدثت فيهما عن الماتن ومتنه.

12- اعتنيت بتخريج الأحاديث التي أذكرها، وبيان الحكم عليها لدى أهل الحديث.

وأسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل، وينفع به، والله أعلم، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. عبد الله بن عبده العواضي

الجمعة 29/ 10/ 1447هـ، 17/ 4/ 2026م.

التمهيد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ترجمة الماتن.

المطلب الثاني: كلمة عن المتن.

المطلب الأول: ترجمة الماتن

هو الشيخ الفاضل: هارون بن عبد الرازق بن حسن بن أبي زيد البنجاوي الأزهري المصري المالكي، **ولد في بلدة** "بنجا" بالصعيد سنة: (1249هـ= 1823م). **وتعلم بالأزهر**، فكان شيخ رواق الصعايدة فيه، ثم من أعضاء مجلسه الأعلى. وعين مدرسًا للعربية بمدرسة "المهند سخانة " وبالمدارس التجهيزية.

وتوفي في القاهرة سنة: (1336هـ = 1918م)، **وترك من المؤلفات:**

1 – حسن الصياغة في فنون البلاغة –الذي نحن بصدد شرحه–.

2 – عنوان الظرف في علم الصرف.

3 – المبادئ النافعة في تصحيح المطالعة.

وساعد الأستاذَ: علي مبارك باشا في تأليف كتابه " الخطط التوفيقية"[1].

(1) ينظر: الأعلام للزركلي (8/ 61)، معجم المطبوعات العربية والمعربة(2/ 591)، معجم المؤلفين (13/ 128).

المطلب الثاني: كلمة عن المتن

هذا متن لطيف، انتُقيت كلماتُه بعناية، فلا عيب فيه غير أنه خميص المبنى، بطين المعنى، فهو كما قيل: "كُلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرَا".

ومن خلال تدريسي لهذا المتن وشرحي له هذا الشرح وجدت الآتي:

1 – لقد سلك المؤلف مسلك الاختصار؛ ليناسب درسه للمبتدئين في علم البلاغة؛ فلهذا كانت عباراته –في الغالب– سهلة واضحة، بعيدة عن تعقيدات بعض كتب البلاغة، وميلها نحو الاصطلاحات البعيدة.

2 – اكتفى المصنف بالمهم من كل باب، معرضًا عن الخلاف البلاغي، وعن كثرة التفريعات، والتفصيلات، والإطالة في الأمثلة، والتفصيل في شرحها، ووجه الاستشهاد بها.

3 – اقتصر في الأبواب على بعض الأغراض، أو الدواعي، والتقسيمات، واكتفى بالمثال غالبًا من غير شرح لوجه الاستدلال به إلا قليلاً، غير أنه في بعض المواضع يشرح ويفصل كأنه كتاب شرح، لا متن مختصر، لكن هذا نادر.

4 – نوَّعَ المصنف في الأمثلة الشاهدة؛ فكانت الشواهد من: القرآن، والشعر، والحكم، والأقوال، وعبارات مثل بها من عنده، ولكن على قلة، غير أن الجم الغفير من الشواهد والأمثلة التي ساقها هي مبثوثة في كتب أهل البلاغة

السابقين.

5– في بعض الأبواب يذكر التعريفات الاصطلاحية، وفي بعضها لا يذكر.

6– في بعض الأماكن يذكر المسألة ولا يمثل عليها.

7– وجدت في هذا المتن حاشية فيها بيان نسبة كثير من الشواهد الشعرية التي استشهد بها الماتن إلى قائليها، وليس جميعها، وقد يضيف أحيانًا بيان غريب البيت، وبعض الأبيات المتصلة به، وشيئًا يسيراً يتعلق بقائله. ولم أدر هل تلك الحواشي للماتن نفسه، أو لبعض المعتنين به من بعده؟ فلذلك أبقيتها وجعلتها بين [ ] بخط مكبر، وأتبعت ذلك في كل حاشية بقولي: قلت، حيث أذكر بعد القول معلومات أخرى مختصرة تتعلق بالشاهد، إما إضافية، وإما تصحيحية.

المتن

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

يقولُ المتوسِّلُ إلى مولاهُ بأفصحِ ناطقٍ، وأبلغِ صادقٍ، العبدُ الضعيفُ هارونُ بنُ عبدِ الرازقِ: الحمدُ للهِ الذي علَّمَ البيانَ، وأَطلعَ في سماءِ العقولِ شموسَ العرفانِ، والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمدٍ، وعلى جميعِ النبيينَ، وآلِهِمْ وصحبِهم أجمعينَ.

أما بعدُ، فلما كانتِ المعارفُ مِصباحَ الرَّشادِ، ومِفتاحَ نظامِ البلادِ، شملتْها عنايةُ الحضرةِ الخديويةِ ، والدولةِ التوفيقيةِ، أيَّدَ اللهُ مُلكَه وسلطانَه، وأدامَ على العالَمينَ بِرَّهُ وإحسانَه، فقلَّدَ إدارتَها وزيرَه الخبيرَ برعايتِها، البصيرَ بمبدئِها وغايتِها، تاريخَ المجدِ، وطالعَ السعدِ المباركَ، رئيسَ المعارفِ سعادةَ علي باشا مبارك، لازالتْ آيُ صحائفِ أنظارِهِ متلوَّةً، وأبكارُ أفكارِهِ مجلوَّةً، فأشارَ بتأليفِ كتابٍ في فنونِ البلاغةِ، قليلِ المباني، سهلِ العبارةِ، جامعٍ لمهمَّاتِ المعاني، فكنتُ القائمَ بذلكَ، حتى جاءَ بفضلِ اللهِ كذلكَ، وسمّيتُه:" حُسْن الصياغةِ في فنونِ البلاغةِ" .

وهو يشتملُ على مقدمةٍ، وثلاثةِ فنونٍ: المعاني، والبيانِ، والبديعِ.

المقدَّمة

لا شكَّ أنَّ لغةَ العربِ أفصحُ اللغاتِ، وأحسنُها أسلوبًا، وأكثرُها مزايا؛ ولذا اعتنى بها رجالٌ فدوَّنوا لحفظِها فنونَ الصرفِ والنحوِ واللغةِ، ونحوَها، ولإظهارِ مزاياها فنونَ البلاغةِ، وهي الباحثةُ عنِ الأحوالِ التي يَلزمُ مراعاتُها في الكلامِ، بحيثُ إذا نزلَ عنها يلتحقُ عندَهمْ بأصواتِ الحيواناتِ العُجمِ، وإذا اشتملَ عليها سُمِّيَ بليغًا، كما يسمى بذلك مَن عندَه استعدادٌ لمراعاةِ تلك الأحوالِ.

ولا تكونُ البلاغةُ إلا معَ فصاحةِ الكلماتِ والتركيبِ.

وفصاحةُ الكلماتِ: خلوُّها من:

1- تنافرِ الحروفِ المؤدي إلى عسرِ النطقِ بها؛ كـ: الثَّغْتَغةِ -بمثلثة، فمعجمتين، بينهما مثناة فوقية-: حكايةُ صوتِ الحُليِّ، وكـ: استَشْزَرَ، بمعنى: ارتفع

2- ومنَ الغرابةِ، وهي: كونُ الكلمةِ غيرَ مألوفةٍ عندَ العربِ؛ كـ الجِرِشَّى، للنفْس، والسُّقُرْقُع -بضمتين، فسكونٍ، ففتحٍ- لشرابِ الذُّرةِ.

3- ومن مخالفةِ القياسِ الصرفيِّ؛ كـ مَبْيوع، وأجلل؛ فإنَّ القياسَ: مَبْيعٌ، وأَجلُّ.

وفصاحةُ التركيبِ: فصاحةُ كلماتِه، وخلوُّها مِنْ:

1- تنافُرِها مجتمعةً؛ **كقوله:**

.... وَلَـيْسَ قُـرْبَ قَبْـرِ حَـرْبٍ قَبْـرُ[1]

2 – ومن مخالفةِ مشهورِ قواعدِ النحو؛ كالإضمارِ قبلَ الذِّكرِ.

3 – ومن التعقيدِ المؤدي إلى عسرِ فهمِ المعنى؛ **كقولِه:**

وَمَـا مِثْلُـهُ فِي النَّـاسِ إلاَّ مُمَلَّكـًا أَبُـو أُمِّـهِ حَـيٌّ أَبُـوهُ يُقَارِبُـهْ[2]

والمقتدرُ على إيرادِ الكلامِ الفصيحِ يسمى فصيحًا أيضًا.

عِلْمُ المَعَانِيْ

هو: قواعدُ يُعرفُ بها ما به يُطابِقُ الكلامُ مقتضَى الحالِ، **أي:** المقامِ، وهو الأمرُ الداعي لإيرادِ خصوصيةٍ في الكلامِ. وتلكَ الخصوصيةُ هي: مقتضى الحالِ.

مثلاً: إذا خاطبتَ مُنكِراً فإنكارُه حالٌ يقتضي أن تؤكِّدَ لهُ الكلامَ، والتأكيدُ هو مقتضى الحالِ.

وإذا كانَ بينَكَ وبينَ مخاطَبِكَ عهدٌ برجلٍ معيَّنٍ، فالعهدُ حالٌ يقتضي إيرادَ الرجلِ معرَّفًا، والتعريفُ مقتضى الحالِ، وهكذا

---

(1) **عجز بيت لا يعرف قائله، صدره:**

وَقَبْـرُ حَـرْبٍ بِمَكَـانٍ قَفْـرُ ....

ويقال: إن حربًا هذا هو: حرب بن أمية بن عبد شمس، قتله الجن في ثأر حيَّة منهم، وسمع منهم هذا البيت.

(2) **قائله الفرزدق:** همام بن غالب التابعي، يمدح إبراهيم المخزومي، خال هشام بن عبد الملك، **يعني:** وما مثل الممدوح في الناس أحد يشبهه في الفضائل إلا ابن أخته هشام.

فمعنى مطابقةِ الكلامِ لمقتضى الحالِ: اشتمالُه على تلكَ الخصوصيةِ

والكَلامُ:

1 – **إما : خبرٌ**، وهو: ما لا يتوقَّفُ تحقُّقُ مدلولِه على النطقِ به؛ نحو: "العلمُ نافعٌ".

2 – **وإما إنشاءٌ**، وهو: ما يتوقَّفُ تحقُّقُ مدلولِه على النطقِ به، نحو: "لا تكسلْ" .

أحوالُ الإسنادِ الخبريّ

الإسنادُ: ضمُّ كلمةٍ إلى أُخرى، على وجهٍ يفيدُ الحكمَ بإحداهُما على الأخرى.

والقصدُ بالخبرِ:

1 – **إما** إفادةُ الحكمِ ، نحوُ: "أناْ حفظتُ".

2 –**وإما** إفادةُ كونِ المتكلمِ عالمًا به نحوُ: "أنتَ حفظتَ".

ويجبُ أن يقتصرَ على قدرِ الحاجةِ:

أ– فخاليْ الذهنِ لا يؤكَّدُ.

ب– والمترددُ يؤكَّدُ له استحسانًا.

ج– والمنكرُ يؤكَّدُ له وجوبًا بقدرِ إنكارِه قوةً وضعفًا، **قالَ تعالى** –حكايةً عَن رسلِ عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ–: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾[يس:14]. **وفي المرةِ الثانيةِ**:

﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾[يس:16].

وإيرادُ الكلامِ على هذا الوجهِ يُسمَّى: مقتضَى الظاهرِ.

وقد يخرجُ الكلامُ على خلافِ مقتضَى الظاهرِ؛ فيُجعلُ غيرُ المنكرِ كالمنكرِ، إذا ظهرَ عليه شيءٌ من أماراتِ الإنكارِ فيؤكَّدُ له؛ **كقوله:**

جَاءَ شَقِيقٌ عَارِضًا رُمْحَهُ ... إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاحْ[1]

فشقيقٌ لا ينكرُ رماحَ بني عمِّه، لكنَّ مجيئَه واضعًا رمحَه على العَرْضِ بمنزلةِ إنكارِه أن لهم رماحًا، فأكدَّ له الكلامَ.

وكذا يُجعلُ المنكرُ كغيرِ المنكرِ إذا كانَ إنكارُه ظاهرَ البطلانِ بالأدلةِ؛ كقولِكَ لمَن ينكرُ حقيَّةَ الإسلامِ: "الإسلامُ حقٌّ"

أحوالُ المسندِ إليه والمسندِ

المسندُ إليه هو:

1 - المبتدأُ المخبَرِ عنه. 2 - والفاعلُ، أو نائبُه.

والمسندُ هو:

1 - الخبرُ. 2 - أو الفعلُ.

3 - أو اسمُ الفعلِ. 4 - أو الوصفُ المستغني بمرفوعِه عن الخبرِ.

وأحوالُهما: الذِّكرُ والحذفُ، والتعريفُ والتنكيرُ، ونحوُها.

---

(1) **أي:** حجل بن نضلة، من بني عمرو بن عبد قيس، وشقيق: علم رجل كان معجبًا بشجاعته.

فالذِّكرُ:

1 – لكونِه الأصلَ بلا مقتضٍ لتركِه.

2 – ولزيادةِ الإيضاحِ؛ **نحوُ:** ﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة:5].

3 – ولإفادةِ الهَيبةِ؛ نحوُ: حضرَ الأميرُ، في جوابِ: هل حضرَ الأميرُ؟

4 – وللتبرُّكِ؛ كقولِكَ: نبيُّنا محمدٌ ﷺ، في جوابِ: مَن نبيُّكَ؟

5 – وللردِّ على المخاطَبِ؛ كقولِه تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[يس:79]، بعدَ قولِه: ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[يس:78].

والحذفُ:

1 – للاحترازِ عنِ العبثِ ظاهرًا؛ **كقولِ** المستهلِّ: الهلالُ، **وكقولِكَ:** خرجتُ فإذا الأسدُ، أي: حاضرٌ.

2 – ولتعيُّنِه حقيقةً؛ نحوُ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾[الأنعام:73]. **أي:** اللهُ، أو ادِّعاءً نحوُ: وهَّابُ الألوفِ، أي: فلانٌ.

3 – ولانتهازِ الفرصةِ؛ كقولِ الصيادِ: غزالٌ.

4 – ولضيقِ المقامِ؛ **نحوُ**[1]:

---

(1) تمامُه:

.... سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلُ =

قَالَ لِي: كَيْفَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: عَلِيلٌ ……………………………

والتعريفُ:

أ-بالإضمارِ؛ لإفادةِ: التكلُّمِ، أو الخطابِ، أو الغَيبةِ.

ب-وبالعَلَميةِ:

1- لإحضارِه باسمٍ يَخصُّهُ؛ نحوُ: فلانٌ فعلَ كذا

2- وللمدحِ أو الذمِّ، حيثُ أشعرَ العَلَمُ بذلكَ؛نحوُ: زينُ العابدينَ فعلَ كذا، وكُرْزٌ فعلَ كذا.

3- أو التلذُّذِ؛ نحوُ[1]:

…………………………… لَيْلَايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ

4- أو التفاؤلِ؛ نحوُ: سرورٌ قادمٌ 5- أو التطيُّرِ؛ نحوُ: حَرْبٌ في البلدِ.

ج-وبالإشارةِ:

1- لبيانِ: البُعدِ، أو القُربِ، أو التوسطِ

2- ولكمالِ التمييزِ؛ **نحوُ**[2]:

---

(1) صدرُه:

بِـاللهِ يَـا ظَبَيَـاتِ الْقَـاعِ قُلْـنَ لَنَـا ……………………………

الأكثرون على أن قائله: العرجي: عبد الله بن عمرو بن سيدنا عثمان

(2) من كلامِ الفرزدق يمدح زين العابدين بن سيدنا الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

هَــذَا ابْــنُ خَيْــرِ عِبَــادِ اللهِ كُلِّهِــمُ   هَــذَا التَّقِــيُّ النَّقِــيُّ الطَّــاهِرُ الْعَلَــمُ

3 – وللتعريضِ بغباوةِ المخاطَبِ؛ **نحوُ**[1]:

أولئِــكَ آبَــائِي فَجِئْنِــي بِمِــثْلِهِمْ   إِذا جَمَعَتْنَــا يَــا جَرِيــرُ الْمَجَــامِعُ

د–وبالموصوليةِ:

1 – لعدمِ علمِ المخاطبِ بغيرِ الصلةِ؛ **نحوُ**: جاءَ الذي كانَ معَنا بالأمسِ.

2 – ولزيادةِ التقريرِ؛ نحوُ: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾[يوسف:23].

3 – وللتهويلِ؛ نحو: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[طه:78].

4 – ولتمكينِ الخبرِ في الذهنِ؛ **نحو**[2]:

وَالَّــذِي حَــارَتِ الْبَرِيَّــةُ فِيــهِ   حَيَــوانٌ مُــسْتَحْدَثٌ مِــنْ جَمَــادِ

هـ–وبـ" أل"

1 – للإشارةِ إلى الحقيقةِ؛ **نحو**: الرجلُ خيرٌ من المرأةِ.

2 – أو بعضِ أفرادِها؛ نحو: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾[يوسف:13].

3 – أو للعهدِ؛ نحو: ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾[النور:35]...إلخ،

(1) للفرزدق يفتخر على جرير أبي حزرة حذيفة بن بدر.

(2) من كلام أبي العلاء المعري، واسمه: أحمد بن عبد الله، من أهل القرن الرابع، يشير إلى أمر المعاد الجسماني، **كما يرشد إليه قوله بعده:**

فاللَّبيــبُ اللَّبيــبُ مَــنْ لَــيسَ يَغْــتَرُّ   بِكَــــونٍ مَـــصيرُهُ لِلفَــــسادِ

ونحو: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى﴾[آل عمران:36]، أي: الذكر المكنَى عنه بـ"ما" في **قولها**: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾[آل عمران:35] ونحو: هذا الرجلُ فاضلٌ.

و–وبالإضافة:

1 – لتعظيمِ المضافِ؛ نحو: عبدُ السلطانِ جالسٌ، أو المضافِ إليه؛ نحو: عبدي فعلَ كذا. 2 – أوِ التحقيرِ كذلكَ؛ **نحو**: ابنُ الحجامِ حاضرٌ، وضاربُ زيدٍ غلامٌ، وغير ذلك.

والتنكير:

1 – للنوعيَّةِ؛ **نحو**: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾[البقرة:7].

2 – وللتعظيمِ، **نحو**: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:2].

3 – وللتحقيرِ، وقد اجتمعا في قوله(1):

لَهُ حَاجِبٌ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يَشِينُهُ وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبُ

4 – وللتكثيرِ؛ **نحو**: لفلانٍ مالٌ.

5 – وللتقليلِ؛ نحو: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ﴾[آل عمران:15] أو غير ذلك.

وأما التقديمُ:

1 – فلكونِه الأصلَ، ولا صارفَ عنه.

2 – ولتعجيلِ المسرَّةِ؛ **نحو**: سرورٌ في دارِك.

---

(1) **أي**: ابن أبي السِّمط.

3 – أو المساءةِ؛ **نحو**: حَرْبٌ في بلدِكَ.

4 – وللتشويقِ للمسند؛ **نحو**: وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ ... إلخ.

5 – و للمسندِ إليه؛ **نحو**[1]:

ثَلاَثَــةٌ تُــشْرِقُ الــدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَــا شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ والْقَمَرُ

6 – و لتخـصيصِ المـسندِ بالمـسندِ إليـه؛ **نحـو**: ﴿لا فِيهَـا غَـوْلٌ﴾[2] [الصافات:47]. **أي**: بخلاف خمورِ الدنيا.

7 – أو لإفادةِ أنه خبرٌ من أولِّ الأمرِ؛ **نحو**[3]:

لَــهُ هِمَــمٌ لاَ مُنْتَهــى لِكِبَارِهَــا وَهِمَّتُهُ الـصُّغْرَى أَجَـلُّ مِـنَ الـدَّهْرِ

8 – أو للتفاؤلِ؛ **نحو**:

سَــعِدَتْ بغُــرَّةِ وَجْهِــكَ الأَيَّــامُ وتَزَيَّنَـــتْ بِلقَائِـــكَ الأَعْـــوَامُ

ويؤتى بالمسندِ:

1 – اسمًا مفردًا؛ لإفادة الثبوت.

2 – و فعلاً؛ لإفادةِ أحدِ الأزمنةِ الثلاثةِ.

3 – وجملةً اسميةً؛ لتقويةِ الحكمِ.

4 – وظرفًا؛ لاختصارِ الفعليةِ؛ **نحو**: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[الفاتحة:2].

---

(1) لمحمد بن وُهيب الحِميري من شعراء الدولة العباسية، يمدح المعتصم بن الرشيد.

(2) ما يغتال العقول، **أي**: يفسدها.

(3) **قائله**: حسان بن ثابت، يمدح النبي ﷺ.

وأما الإتباعُ:

أ-فالنعتُ:

1- للتخصيصِ؛ **نحو**: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ [غافر:28].

2- وللتوضيحِ؛ **نحو**: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ*الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[البقرة:2-3] إلخ.

3- وللمدحِ. 4- وللذمّ. 5- وللترحُّمِ.

ب-والتأكيد:

1- لدفعِ توهمِ المجازِ أو السهوِ؛ **نحو**: جاءَ الأميرُ نفسُه.

2- أو لدفعِ توهمِ عدمِ الشمولِ؛ **نحو**: ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر:30].

ج-وعطفُ البيانِ:

1- للإيضاحِ؛ **نحو**:

أَقْسَمَ بِاللهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ ....

2- وللمدحِ؛ **نحو**: ﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾[المائدة:97].

د-والبدلُ:

لتحقيقِ الإسنادِ؛ **نحو**: جاءَ القومُ أكثرُهم، ونفعني الأستاذُ علمُه.

هـ- وعطفُ النَّسقِ؛ لإفادةِ معاني حروفِ العطفِ المشهورةِ.

أحوالُ متعلقات الفعلِ

يُذكرُ المفعولُ مع الفعل؛ لإفادة وقوعِ الحدثِ عليه، أو فيه، أو لأجلِه، مثلاً، ويؤخرُ؛ لأنه الأصلُ.

وقد يقدَّمُ:

1 - للتخصيصِ؛ نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

2 - أو لرعايةِ الفاصلةِ؛ **نحو:** ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾[الحاقة:31]، أو لغير ذلك.

وقد يُحذفُ:

1 - لإفادةِ العمومِ؛ **نحو:** ﴿وَاللهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلامِ﴾[يونس:25]. أي: كلَّ أحدٍ

2 - أو لاستهجانِهِ؛ كقولِ عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: "ما رأيتُ منه ولا رأى منِّي"، تعني: السوأة.

3 - أو لتنزيلِ الفعلِ منزلةَ اللازمِ؛ **نحو:** ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر:9].

ويؤتى:

1 - بالحالِ؛ لبيانِ هيئةِ صاحبِها، وتقييدِ عاملها.

2 - وبالتمييزِ؛ لبيانِ ما أُبهم من ذاتٍ، أو نسبةٍ

ويؤتى بـ"التقييد بالشرطِ؛ لإفادةِ معاني أدواتِه المبيَّنةِ في علم النحوِ.

القَصر

هو: تخصيصُ أمرٍ بأمرٍ بطريقٍ مخصوصٍ؛ كـ:

1 - النفيِّ، والإثباتِ. 2 - أو إنما.

3 - أو العطفِ بـ" لا". 4 - أو تقديمِ المعمولِ؛

وينقسمُ إلى:

1 - قصرِ موصوفٍ على صفةٍ. 2 - وقصرِ صفةٍ على موصوفٍ.

فالأولُ: **نحو**: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[آل عمران:144]، و"ما زيدٌ إلا كاتبٌ" أو "إنما زيدٌ كاتبٌ"، أو" زيدٌ كاتبٌ لا شاعرٌ .

والثاني: **نحو**: "ما كاتبٌ إلا زيدٌ" و﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ﴾[طه:98] و"إنما الكاتبُ زيدٌ" أو "زيدٌ كاتبٌ لا عمروٌ" أو "أنا سعيتُ في حاجتِكَ".

وكلٌّ منها ثلاثةُ أقسامٍ:

1 - قصرُ قَلْبٍ. 2 - أو إفرادٍ. 3 - و تعيينٍ.

فالأولُ: للردِّ على من يعتقدُ عكسَ ما تقولُ. **والثاني**: للردِّ على مَن يعتقدُ الشَّرِكةِ. والثالثُ: يُخاطَبُ به المترددُ بينَ شيئينِ.

الإنشاءُ

هو قسمان:

1-طلبيٌّ. 2- وغيرُ طلبيٍّ.

فغيرُ الطلبيِّ كـ: صيغِ العقودِ، والتعجبِ، والمدحِ، والذمِّ.

والطلبيُّ: الأمرُ، والنهيُ، والدعاءُ، والتمني، والاستفهامُ، والعَرْضُ، والتحضيضُ، والنداءُ.

فالأمرُ: طلبُ الفعلِ.

وصيغُه:

1- افعلْ. 2- والمضارعُ مع لامِ الطلبِ؛ نحو: "لِتَقُمْ".

3- واسمُ فعلِ الأمرِ. 4- والمصدرُ النائبُ عن فعلِه.

والنهيُ: طلبُ الكفِّ وصيغتُه: "لا تفعلْ"

وكلٌّ منهما إنْ كانَ من الأدنى للأعلى سُمِّي: "دعاءً".

والتمني: طلبُ المحبوبِ البعيدِ أو الممتنعِ.

واللفظُ الموضوعُ له: "ليت"؛ نحو: "ليتَ لي حياةَ مائتي عامٍ وقد يتمنى بـ" لو"؛ نحو: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾[الشعراء:102].

والاستفهامُ: طلبُ الفَهمِ.

وأدواتُه: الهمزةُ، وهل، ومَن، وما، وأيٌّ، وكم، وكيف، ومتى، وأيَّان، وأينَ، وأنَّى.

فالهمزة:

1 – لطلبِ التصورِ، أيْ: إدراكِ المفردِ؛ نحو: "أزيدٌ عندَك أم عمروٌ؟".

2 – لطلبِ التصديقِ، أيْ: إدراكِ النسبةِ؛ نحو: "أعندَكَ زيدٌ"؟ والجوابُ في الأولِ بالتعيين، وفي الثاني ب نعم، أو لا.

وهل: لطلبِ التصديقِ فقط؛ نحو: "هل عندَكَ زيدٌ؟".

وباقي الأدواتِ لطلبِ التصور؛ **فـ:**

– **مَنْ**: لطلبِ تعيينِ ذي العِلْم؛ نحو: "من هذا؟".

– **وما**: لطلبِ بيانِ الحقيقةِ؛ نحو: "ما البِرُّ؟".

– **وأيٌّ**: لطلبِ تعيينِ واحدٍ من المضافِ إليه؛ نحو: "أيُّ الرجالِ عندَكَ؟".

– **وكم**: لطلبِ بيانِ العددِ، نحو: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾[الكهف:19].

– **وكيفَ**: للسؤالِ عن الحالِ؛ نحو: "كيف أنتَ؟".

– **ومتى**: للزمانِ؛ نحو: ﴿مَتَى نَصْرُ اللهِ﴾[البقرة:214].

– **وكذا** أيَّانَ؛ نحو: ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾[الأعراف:187].

– **وأينَ**: للمكانِ؛ نحو: "أينَ بيتُك؟".

- **وأنَّى**: بمعنى: من أينَ؟ نحو: ﴿أَنَّى لَكِ هَذَا﴾[آل عمران:39].

والجوابُ في الجميع بالتعيين.

وقد تخرجُ تلك الأدواتُ إلى غير الاستفهام؛ كـ:

1 - الإنكار؛ نحو: ﴿ أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ﴾[النمل:60].

2 - والاستبطاء؛ نحو: "كم دعوتُكَ.

3 - والتقريرُ؛ نحو: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[الشرح:1].

الفصلُ والوصلُ

الوصلُ: عطفُ بعضِ الجملِ على بعضٍ، **والفصلُ**: تركُه.

والجملتانِ إما أنْ يكونَ بينهما:

1 - كمالُ الانقطاعِ.
2 - أو كمالُ الاتصالِ.
3 - أو شبهُ كمالِ الانقطاعِ.
4 - أو شبهُ كمالِ الاتصالِ.
5 - أو التوسطُ بينَ الكمالينِ.

فيجبُ الفصلُ في الأربعةِ الأُولِ، والوصلُ في الخامسةِ.

فكمالُ الانقطاعِ:

1 - إذا كانت إحدى الجملتينِ خبرًا، والأخرى إنشاءً؛ نحو: سافرَ فلانٌ، سلَّمه اللهُ.

2- أو لم يكن بينهما جامعٌ؛ نحو: زيدٌ كاتبٌ، عمروٌ طويلٌ؛ إذ لا نسبةَ بينَ طولِ عمروٍ، وكتابةِ زيدٍ.

وشبهُ كمالِ الانقطاعِ: إذا منعَ من العطفِ مانعٌ؛ **كقولِه**:

وتَظُنُّ سَلْمَى أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا بَدَلاً أُرَاهَا فِي الضَّلاَلِ تَهِيمُ

إذ لو عطفَ "أُرَاهَا" لتوهمَ أنه عطفَ على "أَبْغِي" وليسَ مرادًا.

وكمالُ الاتصالِ: إذا كانت الثانيةُ:

تأكيدًا للأولى، ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:2].

2- أو بدلاً؛ نحو: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾[الشعراء:132-133].

3- أو بيانًا؛ نحو: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ﴾[طه:120].

وشبهُ كمالِ الاتصالِ: إذا كانت الثانيةُ في محلِّ سؤالٍ ناشئٍ عن الأولى؛ نحو: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ﴾[الذاريات:25]، أي: فماذا قالَ لهم؟ فأجيبَ بأنه أجابَهم بقوله: "سلام".

وأما التوسطُ فبأنْ تتفقَ الجملتانِ خبرًا وإنشاءً مع تناسبٍ بينهما بلا مانعٍ من العطفِ؛ نحو:﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ* وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[الانفطار:13-14]، ونحو وَ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾[الأعراف:31].

ويجبُ الوصلُ إذا لزمَ على تركِه إيهامُ أمرٍ قبيحٍ؛ نحو: لا، وأيَّدكَ اللهُ؛ فإن

القصدَ الدعاءُ للمخاطبِ، ولو تركَ العطفَ لأوهمَ أنه دعاءٌ عليه.

سألَ المأمونُ رجلاً عن شيءٍ، فقالَ: "لا، وجعلني اللهُ فداءَكَ، فقالَ المأمونُ: للهِ دَرُّكَ! ما وضِعتْ الواوُ موضعًا قطُّ أحسنَ من هذا الموضعِ".

الإيجازُ والإطنابُ والمساواةُ

المساوةُ: أداءُ المعنى المرادِ بعبارةٍ مساويةٍ له، بحسبِ متعارَفِ أوساطِ الناسِ.

والإيجازُ: أداؤه بأقلَّ من العبارةِ المتعارفَة.

والإطنابُ: أداؤه بأزيدَ لفائدةٍ.

والإيجازُ قسمان:

1- **إيجازُ قِصَرٍ**، وهو: ما لا حذفَ فيه؛ نحو: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[البقرة:179]؛ فإنَّ معناهُ كثيرٌ، ولفظَه قليلٌ؛ إذ معناهُ: أن الإنسانَ متى علِمَ أنه إن قَتلَ يُقتل؛ امتنعَ عن القتلِ، فكانَ في ذلكَ حياتُه، وحياةُ صاحبِه .

2- **وإيجازُ حذف:** بأنْ يُحذفَ من التركيبِ ما لا يُخِلُّ بالفهمِ؛ نحو: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[يوسف:82]، أي: أهلَها ونحو: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾[سبأ:11]، أي: دروعًا سابغاتٍ، ونحو: ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ﴾[الشعراء:63]، أي: فضربَ فانفلقَ ونحو: ﴿فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾[يوسف:45-46]، أي: فأرسلوه، فأتَاه، وقالَ له: يا يوسفُ.

ومِنَ الإطنابِ:

1- ذِكْرُ الخاصِّ بعدَ العامِّ؛ لمزيَّةٍ فيه؛ نحو: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾[البقرة:238].

2- **أو عكسُه**؛ نحو: ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ﴾[آل عمران:84].

3- **ومنه: التوشيعُ**، وهو: أنْ يؤتَى في آخرِ الكلامِ بمثنَى، ويفسَّرُ بمفردينِ؛ نحو: "يشيبُ ابنُ آدمَ، ويشِبُّ معه خصلتانِ: الحرصُ، وطُولُ الأملِ" ، ونحو: "عليكمْ بالشفاءينِ: العسلِ، والقرآنِ"، ونحو: "اقتدُوا باللذينِ مِن بعدي: أبي بكرٍ، وعمرَ" .

4- **ومنه: التذييلُ**، وهو: أن يؤتَى بجملةٍ كالتأكيدِ للأُولى؛ نحو: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[الإسراء:81].

عِلْمُ البيانِ

هو: قواعدُ يُعرفُ بها إيرادُ المعنى الواحدِ بطرقٍ مختلفةٍ في وضوحِ الدلالةِ؛ كأنْ تخبرَ عن جودِ إنسانٍ بقولكَ: فلانٌ كالبحرِ في الإمدادِ، أو كالبحرِ، أو بحرٌ، أو في الدارِ بحرٌ، أو هو لا ساحلَ له، أو كثيرُ الرمادِ.

ومباحثُه ثلاثةٌ:

1- التشبيهُ. 2- والمجازُ. 3- والكنايةُ.

التشبيهُ

هو: الدلالةُ على مشاركةِ أمرٍ لآخرَ في وصفٍ بأداةٍ.

فأركانُه أربعةٌ.

ومثالُه: العِلمُ كالنُّورِ في الهدايةِ:

1 – فالعلمُ مشبَّهٌ. 2 – والنورُ مشبَّهٌ به.

3 – والكافُ أداةُ التشبيهِ. 4 – والهدايةُ وجهُ الشبهِ.

وطرفاه– وهما المشبَّهُ والمشبَّهُ به–:

1 – **إمَّا حسِّيانِ**، أي: يُدركانِ بإحدى الحواسِّ؛ نحو: هذا الورقُ كالحريرِ في النعومةِ.

2 – **وإما عَقليانِ**؛ نحو: العلمُ كالحياةِ.

3 – **أو أحدُهما**؛ نحو: له خُلقٌ كالعطرِ، ونحو: كلامُه كالخُلقِ الحسَنِ.

وهما أيضًا:

1 – إما مفردانِ، كما مُثِّلَ. 2 – وإما مركبانِ؛ كقوله[1]:

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤوسِنَا وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ

شبَّه هيئةَ السيوفِ الحاصلةَ من علوها ونزولِها بسرعةٍ وسطَ الغبارِ بهيئةِ

(1) لبشارِ بن برد، من شعراء الدولتين: العباسية والأموية، من قصيدة يمدح ابن هبيرة.

كواكبَ تساقطُ في ليلٍ مُظلِمٍ، ووجهُ الشبهِ: أن كُلَّاً له هيئةٌ حاصلةٌ من تساقطِ أجرامٍ لمَّاعةٍ مستطيلةٍ في وسطِ شيءٍ مظلمٍ.

3 – وإما أحدهما؛ كقوله[1]:

والشَّمْسُ كالْمِرْآةِ في كَفِّ الأَشَلّ ....

وقوله:

تَرَيا نَهاراً مُشْمِساً قَدْ زَانَهُ زَهْرُ الرُّبَى فَكأنَّما هُوَ مُقْمِرُ[2]

المجازُ

ينقسمُ المجازُ إلى:

1 – عقليٍّ. 2 – ولغويٍّ.

فالعقليُّ: إسنادُ الفعلِ، أو ما في معناه، إلى غيرِ ما هو له عندَ المتكلمِ؛ لملابسةٍ وقرينةٍ مانعةٍ من إرادةِ ما هو له.

والذي في معنى الفعلِ هو: المصدرُ، والصفةُ.

والملابسةُ هي: المناسبةُ بينَ المسندِ والمسندِ إليه المجازي

(1) **قيل**: من كلام عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم.

(2) **قبله:**

يَا صَاحِبيَّ تَقَصَّيَا نَظَرَيكما تَرَيا وجُوهَ الأرْضِ كَيْفَ تَصَوَّرُ

من كلام أبي تمام الشهير: حبيب بن أوس الطائي، من شعراء أواخر القرن الثاني، وأوائل القرن الثالث.

وله ملابَسَاتٌ شتى:

1 – **يلابسُ الزمانَ**؛ نحو: صامَ نهارُكَ، ونهارُكَ صائمٌ.

2 – **والمكانَ**؛ نحو: جرى النهرُ، ونهرٌ جارٍ.

3 – **والسببَ**؛ نحو: أنبتَ الربيعُ البقلَ، وبنى الأميرُ المدينةَ.

والقرينةُ:

1 –**إما لفظيةٌ**؛ نحو: هزمَ الأميرُ الجندَ وهو في قصرِه.

2 – **وإما معنويةٌ**؛ نحو: محبَّتُكَ جاءتْ بي إليكَ.

والمجازُ اللغويُّ هو: اللفظُ المستعملُ في غيرِ ما وضعَ له؛ لعلاقةٍ وقرينةٍ مانعةٍ من إرادةِ ما وضِعَ له.

والعلاقةُ هي: المناسبةُ بين المعنى المنقولِ عنه، والمنقولِ إليه؛ كالسببيةِ والمشابهةِ.

والقرينةُ: الأمرُ الذي يجعلُه المتكلمُ دليلاً على أنه أرادَ باللفظِ غيرَ ما وضعَ له، **وهي:**

1 – **إما مانعةٌ فقط**؛ نحو: بحرٌ في المسجدِ.

2 – **وإما معيِّنةٌ**؛ نحو: بحرٌ يحلُّ مشكلاتِ المسائلِ.

وهي أيضًا:

1 – **إما لفظيةٌ**؛ نحو: بحرٌ في المسجد.

2 –**وإما معنوية**؛ نحو: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾[النساء:54]، يعني: النبيَّ ﷺ.

وينقسمُ المجازُ اللغويُّ إلى:

1 – مفردٍ. 2 – ومركبٍ.

والمفردُ ينقسمُ إلى:

1 – مرسلٍ. 2 – واستعارةٍ.

أ– المجازُ المرسلُ: هو: ما كانت علاقتُه غيرَ المشابهةِ؛ **كـ:**

1 – السببيةِ؛ نحو: رعينا الغيثَ، أي: النباتَ الذي سببُه الغيثُ .

2 – والمسبَّبيَّةِ؛ نحو: أمطرت السماءُ نباتًا، أي: غيثًا يتسببُ عنه النباتُ.

3 – والكُليَّةِ؛ نحو: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾[البقرة:19]، أي: أناملَهم

4 – والجُزئيةِ؛ نحو: فلانٌ عينٌ، أي: جاسوسٌ.

5 – والحالِّيَّةِ؛ نحو: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللهِ﴾[آل عمران:107]، أي: الجنةِ.

6 – والمحليَّةِ؛ نحو: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَه﴾[العلق:17]، أي: جماعتَه.

7 – والآليَّةِ؛ نحو: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ﴾[الشعراء:84]، أي: ذكرًا حسنًا وغير ذلك.

ب- الاستعارةُ: هي: مجازٌ علاقتُه المشابهةُ.

وتنقسمُ إلى:

1- تصريحيةٍ. 2- ومكنيةٍ. 3- وتخييلية.

فالتصريحية: ما صرِّحَ فيها بلفظِ المشبهِ به فقط؛ نحو: أسدٌ في الحَمَّامِ، **المرادُ بالأسدِ:** الرجلُ الشجاعُ، بقرينةِ كونِه في الحمام؛ لأنَّ الأسدَ الحقيقيَّ لا يدخلُه، فشبَّهَ الرجلَ الشجاعَ به، ووجهُ الشبه: الجراءةُ في كُلٍّ.

وكذا قولُه تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ﴾[آل عمران:103]، وقولُه: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:6] وقولُكَ: رأيتُ ليثًا على جوادٍ يهزمُ الأعداءَ، ونحو ذلك.

وتنقسمُ إلى:

1- أصليةٍ. 2- وتبعيةٍ.

فالأصليةُ: ما كانَ المستعارُ فيها اسمَ جنسٍ جامدًا؛ كالأمثلةِ المذكورةِ.

والتبعيةُ هي: استعارةُ الفعلِ، أو الحرفِ، أو الاسمِ المشتقِّ فالفعلُ كـ: نطقتِ الحالُ، أي: دلَّتْ، شُبِّهت الدلالةُ الواضحةُ بالنطقِ بجامعِ الإفهامِ في كُلٍّ، واستُعيرَ النطقُ للدلالةِ، واشتُقَّ منه "نطقَ" بمعنى: دلَّ.

وكذا المشتقُّ؛ نحو: الحالُ ناطقةٌ.

ومثالُها في الحرفِ: قولُه تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[طه:71]، أي: عليها، شبهَ مطلقَ الاستعلاءِ بمطلقِ الظرفيةِ، فسرى التشبيهُ في الجزئياتِ،

واستعيرت "في" من بعضِ جزئياتِ المشبهِ به لبعضِ جزئياتِ المشبهِ.

وأما المكنيةُ-وتُسمى استعارةً بالكنايةِ-فهي: ما ذُكِرَ فيها لفظُ المشبهِ، وحُذفَ لفظُ المشبهِ به، ورُمزَ له بشيءٍ من لوازمِه؛ نحو: شجاعٌ يفترسُ أقرانَه؛ شبهَ الرجلَ الشجاعَ بالأسدِ، وحذفَ لفظَ الأسدِ، وذكرَ لازمَه وهو الافتراسُ، فإثباتِ الافتراسِ هو القرينةُ، ويسمى تخييلاً، واستعارةً تخييليةً، فالتخييليةُ هي: قرينةُ المكنيةِ.

ويصحُّ جريانُها في مثلِ: نطقتِ الحالُ، بتشبيهِ الحالِ بإنسان ... إلخ .

وكذا قولُه تعالى: ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ﴾[البقرة:27].

المجازُ المركبُ: إن كانتِ العلاقةُ المشابهةَ فهو استعارةٌ تمثيليةٌ؛ كقولِكَ للمترددِ في فعلِ أمرٍ: إنك تُقدِّمُ رِجلاً وتؤخرُ أُخرى، شُبهتْ حالةُ الشخصِ في ترددِه في الفعلِ والتركِ بحالِ من يترددُ في المشي، فيقدِّمُ رجلَه تارةً ويؤخرُها أخرى بجامعِ أنَّ كُلّاً هيئةُ ترددٍ منتزعةٌ من متعددٍ، واستعيرَ المركبُ من معناه الأصليِّ لهذا المعنى: ويجري ذلكَ في سائرِ الأمثال؛ نحو: "الصيفَ ضيَّعتِ اللبنَ".

وإنْ لم تكنْ علاقتُه المشابهةَ فليسَ استعارةً؛ **كقولِه**[1]:

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ اليَمَانينَ مُصْعِدٌ   جَنِيبٌ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثَقُ

أصلُ هذا التركيبِ الإخبارُ بأنَّ محبوبَه ذهب مُبعِدًا، وأن شخصَه مقيدٌ بمكةَ، فنقلَ إلى التحزنِ والتحسرِ؛ لعلاقة اللزومِ.

---

(1) **جعفر بن علبة**، شاعر مقل من شعراء الدولتين: الأموية والعباسية، والبيت من قصيدة قالها وهو مسجون بمكة.

ثم إن الاستعارةَ:

1 - إنِ اقترنتِ بما يلائِمُ المشبهَ به سُمِّيتْ " مرشَّحةً"؛ نحو: أسدٌ في الحَمَّامِ له لِبَدٌ.

2 - وإن اقترنت بما يلائمُ المشبهَ زيادةً عن القرينة؛ سميت " مجرَّدةً"؛ نحو: أسدٌ في الحَمَّامِ له رمحٌ.

3 - وإن لم تقترن بشيءٍ من ذلكَ فـ" مطلَقةٌ"؛ وكذا إن اقترنت بما يلائمُ كلاً منهما، نحو: أسدٌ في الحَمَّامِ له لِبَدٌ ورمحٌ".

الكِنايةُ

هي: لفظٌ استعملَ في لازمِ معناه، مع قرينةٍ لا تمنعُ من إرادةِ المعنى الأصليِّ.

نحو: فلانٌ كثيرُ الرمادِ أو جبانُ الكلبِ، أو مهزولُ الفصيلِ، كنايةً عن كرمِه.

ومن ذلك: قولُه:

طَوِيلُ النِّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَادِ ... كَثِيرُ الرَّمَادِ إِذَا مَا شَتَا

كنايةً عن طولِ قامتِه، وشرفِه وكرمِه.

وقوله[1]:

إنَّ السماحةَ والمروءةَ والنَّدَى ... في قُبَّةٍ ضُربتْ على ابنِ الحَشْرِجِ

(1) زياد بن الأعجم في عبد الله بن الحشرج، من سادات قيس.

فَنُّ البديعِ

هو: عِلمٌ يُعرفُ به وجوهُ تحسينِ الكلامِ، بعدَ مراعاةِ ما يَلزمُ مراعاتُه من عِلمَي المعاني والبيانِ

والمُحسِّناتُ:

1 – **إما معنويةٌ**، أي: يُقصدُ بها تحسينُ المعنَى.

2 –**وإما لفظيةٌ**، أي: يُقصدُ بها تحسينُ اللفظِ.

فمنَ اللفظيةِ:

أ–**الجِناسُ**، و هو: تشابهُ اللفظينِ.

1 – فإنْ لم يختلفا في شيءٍ فـ" تامٌّ"؛ **نحو**[1]:

مَـا مَـاتَ مِـنْ كَـرَمِ الزَّمَـانِ فإنَّـهُ يَحْيَـا لَـدَى يَحْيَـى بْـنِ عَبْـدِ اللهِ

2 –وإنِ اختلفا؛ فإنْ:

1 –كانَ الاختلافُ في الهيئةِ فـ" محرَّفٌ"، كـ" جُبَّةُ الْبُرْدِ جُنَّةُ الْبَرْد".

2 – وإنْ كانَ في حرفٍ فـ" مضارِعٌ" إنْ تقاربا في المَخرجِ؛ نحو: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾[الأنعام:26]، وإلا فـ" لاحقٌ"؛ نحو: ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[العاديات:7–8].

---

(1) لأبي تمام.

3 – وإنْ كانَ بنقصِ حروفِ أحدِهما عن الآخرِ فـ" ناقصٌ"؛ **نحو**[1]:

يَمُدُّونَ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمِ تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ

وقد يكونُ كلا المتشابهين مركَّبًا، أو أحدُهما، فيسمى" جناسَ التركيبِ".

الأولُ كقوله:

إِلَى حَتْفِي سَعَى قَدَمِي أَرَى قَدَمِي أَرَاقَ دَمِي

والثاني كقوله[2]:

إذا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَهْ فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَهْ

ب– ومنها: السَّجعُ، وهو توافقُ الفاصلتينِ على حرفٍ واحدٍ؛ كقولِ الحريريِّ في الصنعانيةِ " وهوَ يطْبَعُ الأسْجاعَ بجواهِرِ لفظِهِ. ويقْرَعُ الأسْماعَ بزَواجِرِ وعْظِهِ. وقدْ أحاطَتْ بهِ أخلاطُ الزُّمَرِ. إحاطَةَ الهالَةِ بالقَمَرِ. والأكْمامِ بالثَّمرِ"

إلى أنْ قالَ: " إلامَ تسْتَمرُّ على غيِّكَ. وتَستَمْرئُ مرْعَى بغْيِكَ؟ وحَتّامَ تتَناهَى في زهوِكَ. ولا تَنْتَهي عن لَهوِكَ؟ تُبارِزُ بمَعصِيَتِكَ. مالِكَ ناصِيَتِكَ!..." إلخ.

---

(1) من قصيدة لأبي تمام يمدح بها أبا دُلَف العِجلي.

(2) للفتح البُستي علي بن محمد الكاتب.

المحسنات المعنوية

والمحسناتُ المعنويةُ هي الأحقُّ بالعنايةِ حتى إنَّ كثيرًا منها ربما عُدَّ مِن مقتضياتِ الأحوالِ؛ **وهي كثيرةٌ:**

1- **فمنها: الطِّباقُ**، وهو: الجمعُ بينَ متضادينِ: اسمينِ، أو فِعلينِ، أو حرفينِ، أو مختلفينِ؛ نحو: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾[التوبة:82] ونحو: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[البقرة:286]، ونحو: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[الأنعام:122].

2- **ومنها: مراعاةُ النظيرِ**، وهي: جمعُ المتناسباتِ؛ نحو: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[الرحمن:5-6].

3- **ومنها: المُشاكَلةُ**، وهي: ذِكرُ معنى بلفظِ معنى آخرَ؛ لوقوعِهِ في صحبتِهِ؛ **كقوله**(1):

قَالُوا اقْتَرِحْ شَيْئًا نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ قُلْتُ اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصَا

4- **ومنها: أسلوبُ الحكيمِ، ويسمى "القولَ بالموجَبِ"**، وهو: حَملُ الكلامِ على خلافِ المرادِ منه؛ تنبيهًا على أنَّه الأَولى بالإرادةِ؛ كقولِ القَبَعْثَرى -حينَ توعَّده الحجاجُ بقولِه: "لأحملنَّكَ على الأدهمِ"-: "مثْلُ الأمير يَحْمِلُ على الأدهمِ والأشهبِ"

(1) لأبي الرَّقَعْمَق؛ أحمد بن محمد الأنطاكي، أثنى عليه الثعالبي.

وكقولِه[1]:

قُلْـــتُ ثَقَّلْـــتُ إِذْ أَتَيْـــتُ مِـــرَاراً   قَـــالَ ثَقَّلْـــتَ كَـــاهِلي بالأَيَـــادِيْ

5- **ومنها: التوجيهُ- ويسمى الإبهامَ-** وهو: إيرادُ الكلامِ محتملاً لوجهينِ؛ **كقولِه**[2]:

خَـــاطَ لِـــي عَمْـــروٌ قَبَـــاءْ   لَيْـــتَ عَيْنَيْـــهِ سَـــوَاءْ

6- **ومنها: المبالغةُ المقبولةُ**، وهي: أن تصفَ الشيءَ بوصفٍ مستبعَدٍ، أو مستحيلٍ، يقترنُ بما يُقَرِّبُه من الصحةِ؛ كقولِه تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[النور: 35].

أو يُجوِّزُه العقلُ؛ **كقولِ الشاعرِ**[3]:

وَنُكْـــرِمُ جَارَنَـــا مَـــا دَامَ فِينَـــا   ونُتْبِعُـــهُ الْكَرَامَـــةَ حَيْـــثُ مَـــالا

وإلا فليست مقبولةً؛ **كقوله**[4]:

وأَخَفْـتَ أَهْـلَ الـشِّرْكِ حَتَّـى إِنَّـهُ   لَتَخَافُـكَ النُّطَـفُ الَّتِـي لَـمْ تُخْلَـقِ

7- **ومنها: الاستخدامُ**، وهو: ذِكرُ اللفظِ بمعنى، وإعادةُ الضميرِ عليه بمعنى

---

(1) نسب إلى ابن حجاج، وإلى محمد بن إبراهيم الأسدي.

(2) ينسب لبشار بن برد، **وقال بعد البيت:**

قُلْـتُ شِـعرًا لـيسَ يُـدرَى   أَمَـــدِيحٌ أَمْ هِجَـــاءْ

(3) لعمرو بن الأهتم التغلبي.

(4) لأبي نواس الحسن بن هانئ يمدح الرشيد.

آخرَ؛ **كقولِه**[1]:

إِذَا نَــزَلَ الــسَّمَاءُ بِــأَرْضِ قَــوْمٍ ... رَعَيْنَــاهُ وَإِنْ كَــانُوا غِــضَابا

وقولِه[2]:

فَــسَقَى الْغَــضَا والــسَّاكِنِيْهِ وإِنْ هُــمُ ... شَــبُّوهُ بَــيْنَ جَــوانِحي وضُــلُوعِي

8- **ومنها: الالتفاتُ**، وهو: العدولُ عن التكلُّم، أو الخطابِ، أو الغَيبةِ؛ إلى آخرَ منها؛ نحو: ﴿إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾[يونس:22]، ونحو: ﴿وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ﴾[فاطر:9]، ونحو: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[الكوثر:1-2].

9-**ومنها: التغليبُ**؛ كتغليبِ المذكَّرِ على المؤنثِ؛ نحو: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[التحريم:12]، وكالأبوينِ للأبِ والأمِ، والقمرينِ للشمسِ والقمرِ.

10-**ومنها: اللفُّ والنشرُ**: وهو: ذِكرُ متعددٍ، ثم ذكرُ ما لكلِّ فردٍ منه بلا تعيينٍ؛ فالأولُ لفٌّ، والثاني نشرٌ فإن كانَ النشرُ على ترتيبِ اللفِّ فـ" مُرتَّبٌ"؛ نحو: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾[القصص:73]، وإنْ كانَ على عكسِه فـ" مُشوَّشٌ"؛ **كقوله**:

قَوَامُهــا ومُحيَّاهــا ومَبــسِمُها ... كــأسُ الرحيــقِ وبــدرُ الــتمِّ والأَسَــلُ

وإلا فـ" فمختلطٌ"؛ **كقولِه**:

---

(1) نسب لجرير.

(2) للبحتري أبي عبادة الوليد بن عبيد الطائي، من شعراء القرن الثالث.

ولحظُـــــهُ ومُحيَّـــــاهُ وقامتُــــــه بَـدرُ الـدُّجى وقـضيبُ البَـانِ والـرَّاحُ

11–ومنهـا: التقـسيمُ، وهـو: ذكـرُ متعـددٍ، ثُـمَّ نـسبةُ مـا لكـلٍّ إليـه بـالتعيينِ؛ كقولِه(1):

وَلاَ يُقِـيمُ عَلَـى ضَـيْمٍ يُـرَادُ بِـهِ إِلاَّ الأَذَلاَّنِ: عَيْـرُ الْحَـيِّ والْوَتِـدُ

هـذَا علـى الْخَـسْفِ مَرْبُـوطٌ بِرُمَّتِـهِ وذا يُـشَجُّ فـلا يَرْثِـي لَـهُ أحَـدُ

12– ومنها: الجمعُ، وهـو: أنْ يُجمـعَ بـينَ متعـددٍ في حُكـمٍ؛ نحـو: ﴿الْمَـالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[الكهف:46].

13– ومنها: التفريقُ، وهو: ذِكرُ شيئينِ من نـوعٍ، مع التفرقةِ بينَهما بفرقٍ يفيدُ معنى زائداً؛ كقولِه(2):

مَـا نَـوالُ الْغَمَـامِ وَقْـتَ رَبِيـعِ كَنَـوالِ الأَمِيـرِ وَقْـتَ سَـخَاءِ

فنـوالُ الأَمِيـرِ بَـدْرَةُ عَـيْنٍ ونـوالُ الْغَمَـامِ قَطْـرَةُ مَـاءِ

14– ومنها: التوريةُ، وتسمى الإيهامَ وهي: أن يُذكرَ لفظٌ له معنيانِ: قريبٌ وبعيدٌ، ويُرادُ البعيدُ؛ اعتمادًا على قرينةٍ خفيةٍ؛ كقولِه:

حَمَلْنـاهُمْ طُـرًّا عَلَـى الـدُّهْمِ بَعْـدَما خَلَعْنـا عَلـيهِمْ بالطِّعَـانِ مَلابِـسَا

15– ومنها: تأكيدُ المدحِ بما يُشبهُ الذمَّ؛ كقولِه(3):

(1) للمتلمِّس جرير بن عبد المسيح، والخسف: النقيصة والذل والخضوع.

(2) لرشيد الدين الوطواط، ينتهي نسبه إلى عمر بن الخطاب، وهو من أهل القرن السادس.

(3) للنابغة الذُبياني، من أصحاب المعلقات، يمدح عمر بن الحارث الأصغر.

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِن قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

16- **وعكسُه**؛ نحو: فلانٌ لا خيرَ فيه، لكنه يُسيءُ إلى إخوانِه.

17- **ومنها: الاحتراسُ، ويسمى التكميلَ**، وهو: أن يُؤتَى في كلامٍ يوهمُ أمرًا غيرَ مقصودٍ بما يدفعُ ذلكَ الإيهامَ؛ **كقولِه**(1):

فَسَقى دِيَارَكَ - غَيْرَ مُفْسِدِها - ... صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي

18- **ومنها: الاعتراضُ**، وهو: أن يُذكرَ في خلالِ الكلامِ شيءٌ لا محلَّ له من الإعرابِ؛ لنكتةٍ غيرِ دفعِ الإيهامِ؛ كالتنزيهِ في قولِه تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾[النحل:57].

19- **ومنها: حسنُ الابتداءِ، ويسمى براعةَ المطلعِ**، وهو: أن يأتيَ المتكلمُ في أولِ كلامِه بعبارةٍ واضحةِ المعنى، عذبةِ اللفظِ؛ لتجذبَ السامعَ إلى الإصغاءِ بكُلِّيِّتِه؛ **كقولِه**(2):

الْمَجْدُ عُوفِيَ إِذْ عُوفِيتَ والْكَرَمُ ... وزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ الأَلَمُ

وتزدادُ حسنًا إذا دلتْ على المقصودِ بإشارةٍ لطيفةٍ، وتُسمَّى حينئذ براعةَ الاستهلالِ؛ **كقولِه في تهنئة بمولودٍ**(3):

بُشرَاكَ قَد أَنجَزَ الإقبالُ مَا وَعَدا ... وَكَوكَبُ المَجدِ في أُفْقِ العُلاَ صَعِدا

(1) طرفة بن العبد، صاحب المعلقة المشهورة، يمتدح قتادة بن سلمة الحنفي.

(2) لأبي الطيب المتنبي.

(3) أبو محمد الخازن يهنئ الصاحب بن عباد.

20- **ومنها: حسنُ التخلصِ**، وهو: أن يُنتقلَ إلى المقصودِ على وجهٍ دقيقٍ سهلٍ، يُختلسُ اختلاسًا بحيثُ لا يَشعرُ السامعُ؛ **كقولِه**(1):

يقولُ في قُومَسٍ صَحْبِي وَقد أخذَتْ ... منا السُّرَى وخُطا المَهْرِيَّةِ القُودِ

أمَطْلعَ الشَّمْسِ تبغي أَن تَؤُمَّ بِنَا ... فقلتُ كَلاَّ ولكنْ مَطْلِعَ الجُودِ

21- **ومنها: حسنُ الانتهاءِ**، وهو: ختمُ الكلامِ بمعنى جيدٍ مألوفٍ، ويزدادُ حسنًا إذا أشعرَ بالتمامِ، ويسمى براعةَ مقطعٍ وانتهاءٍ؛ **كقولِه**(2):

بَقِيتَ بَقَاءَ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ ... وَهَذَا دُعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلُ

وقولِه:

ما أسألُ اللهَ إلا أن يَدومَ لَنَا ... لا أنْ تزيدَ معاليهِ فقدْ كمُلتْ

واللهُ سبحانه وتعالى أعلمُ، وصلى اللهُ تعالى وسلمَ على سيدِنا محمدٍ، خاتمِ النبيينَ، وعلى آلِه وصحبِه الكاملينَ؛ ما لاحَ بدرُ تمامٍ.

---

(1) أبو تمام، يمدح عبد الله بن طاهر، **وقُومس** -بضم القاف-: صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل، **والمهرية** -بفتح الميم-: الإبل المنسوبة إلى مهر بن صعدان، **والقود**: الطوال الظهور والأعناق.

(2) ينسب لأبي العلاء المعري، وللمتنبي، والله أعلم.

الشَّرْحُ

مقدمتا الماتن

أولاً: مقدمة المتن

قال الماتن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ) افتتح المتن بالبسملة؛ تيمنًا بها، واستعانة بالله تعالى على إتمام ما قصده، وتسديده فيه، واقتداء بكتاب الله تعالى[1].

(يقولُ المتوسِّلُ) المتوسل: اسم فاعل من التوسل، **والاسم**: الوسيلة، وهي: مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الشَّيْء، ويُتَقَرَّبُ بِهِ إليه[2] **(إلى مولاهُ)** الضمير يعود على المتوسل وهو الماتن، **والمولى هنا**: اسم من أسماء الله تعالى، وقد ذكره الله في القرآن في عدة مواضع؛ **قال سبحانه**: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[الأنفال:40]، **وقال**: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ﴾[محمد:11]، والمولى يطلق في كلام العرب على معان عديدة، منها: المالك، والمنعم، والناصر، والمحب، وغيرها[3] **(بأفصحِ ناطقٍ، وأبلغِ صادقٍ)** من الفصاحة والنطق، والبلاغة والصدق. وهذا من براعة المطلع،

---

(1) قد تحدثنا بالتفصيل عن البسملة، والحمدلة، والصلاة والسلام على رسول الله، **وجملة** "أما بعد" في شروح متقدمة، فلا داعي لتكرار الحديث عنها هنا. **فمن تلك الشروح**: الفصول المفيدة في شرح الدرر النضيدة، نزهة المشتاق في شرح دلائل الإشراق، عون البديع في شرح مائة المعاني والبيان والبديع، الروض الباسم في التعليق على شرح ابن قاسم.

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر (5/ 185).

(3) المعجم الوسيط (2/ 1058).

ويقصد بهذه الأوصاف نبينا محمدًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وهو يشير بهذا إلى حديث مشهور عند أهل البلاغة: "أنا أفصح العرب؛ بَيدَ أني من قريش"[1]، **وحديث**: **"أنا أفصح من نطق بالضاد"**[2]، غير أن الحديثين

---

(1) **قال ابن السبكي**: "لم أجد له إسناداً". تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (3/ 1415)، **وقال العجلوني**: "أورده أصحاب الغرائب ولا يعلم من أخرجه، ولا إسناده"، كشف الخفاء(1/ 228).

(2) **قال ابن كثير**: "لا أصل له". تفسير ابن كثير (1/ 143)، **وكذا قال بعده**: الزركشي (المتوفى: 794هـ) في التذكرة في الأحاديث المشتهرة (ص: 160)، والسخاوي (المتوفى: 902هـ) في المقاصد الحسنة (ص: 167)، وجمال الدين ابن المِبْرَد الحنبلي (المتوفى: 909 هـ)، في التخريج الصغير والتحبير الكبير (3/ 33)، والسيوطي (المتوفى: 911هـ) في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (ص: 56)، والملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ) في المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (ص: 61)، ومرعي الكرمي (المتوفى: 1033هـ) في الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة (ص: 94)، والشوكاني (المتوفى: 1250هـ) في الفوائد المجموعة (ص: 327). **قال العجلوني** (المتوفى: 1162هـ) في كشف الخفاء (1/ 228): "وأورده أصحاب الغريب ولا يُعرَف له إسناد، ورواه ابن سعد عن يحيى بن يزيد السعدي مرسلًا بلفظ: أنا أعربكم، أنا من قريش، ولساني لسان سعد بن بكر. ورواه الطبراني عن أبي سعيد الخدري بلفظ: أنا أعرب العرب، ولدت في بني سعد، فأنى يأتيني اللحن؟!. كذا نقله في مناهل الصفا بتخريج أحاديث الشفا للجلال السيوطي، ثم قال فيه: والعجب من المحلِّي حيث ذكره في شرح جمع الجوامع من غير بيان حاله، وكذا من شيخ الإسلام زكريا حيث ذكره في شرح الجزرية، **ومثله**: (أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش)، أورده أصحاب الغرائب ولا يعلم من أخرجه ولا إسناده".

ولكن معناه صحيح كما قال الزركشي. **وقال الحلبي** (المتوفى: 1044هـ) في السيرة الحلبية (1/ 30): "ومعناه صحيح؛ لأن المعنى: أنا أفصح العرب؛ لكونهم هم الذين ينطقون بالضاد ولا توجد في غير لغتهم".

لم يصحا، وفصاحة رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام أشهر من الشمس في رابعة النهار، وأوضح من الاستدلال لها بضعيف الأخبار، وما لا أصل له في مظان الآثار.

ويقصد الماتن بهذا الاستفتاح التوسل بالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لبلوغ مراده؛ فإن كان يقصد بذلك التوسلِ التوسلَ بحبه واتباعه والإيمان به فهو توسل مشروع، وإذا كان يقصد التوسل بذاته أو جاهه فهو توسل بدعي ممنوع **(العبدُ الضعيفُ)** بدل من "المتوسل". ويحسن عند الدعاء والتضرع بين يدي الله تعالى إظهار الضعف والذل والفقر، **قال تعالى**: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص:24]، **وفي الحديث**: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ؛ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي)**[1] **(هارونُ بنُ عبدِ الرازقِ)** هذا اسم الماتن، وقد سبقت ترجمته، وفي العبارة سجع.

---

(1) **رواه** أحمد (3712)، وابن أبي شيبة(29318)، وابن حبان(972)، والطبراني في الكبير (10352) والدعاء(1035)، والحاكم(1877)، والبيهقي في الدعوات الكبير(184) والقضاء والقدر(359) والأسماء والصفات(7)، وابن السني في عمل اليوم والليلة(340)، وأبو يعلى(5297)، والبزار(1994)، وصححه الألباني، والأرناؤوط.

قيل: "مَعْنَى هَارُونَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ: الْمُحَبَّبُ"(1). **والرازق**: اسم من أسماء الله تعالى؛ **قال تعالى**: ﴿وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[الحج:58]، وقال رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (**إِنَّ اللهَ هُوَ الْخَالِقُ الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ الرَّازِقُ**)(2).

والرازق: "هُوَ الْمُتَكَفِلُ بِالرزْقِ، والقَائِمُ عَلَى كُل نَفْس بمَا يُقِيْمُهَا مِنْ قُوْتِهَا، وَسِعَ الخَلْقَ كُلَّهُمْ رِزْقُهُ ورَحْمَتُهُ، فَلَمْ يَخْتَصَّ بذَلِكَ مُؤْمِنًا دون كَافِرٍ، وَلَا وَلِيًّا دوْنَ عَدُو، يَسُوْقُهُ إلَى الضعِيْفِ الذِي لا حَيْلَ لَهُ، وَلَا مُتَكَسَّب فِيْهِ، كمَا يَسُوْقُهُ إلَى الجَلْدِ القَوِي ذِيْ المِرَّةِ السَّوِي، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَأَيِّن مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾[العنكبوت:60]"(3).

(**: الحمدُ للهِ**) هذه جملة مقول القول (**الذي علَّمَ البيانَ**) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[الرحمن:1-4]، وفي هذه الآية الكريمة بيان عظم نعمة الإبانة عن المراد، والامتنان بها بعد الامتنان بنعمة الإيجاد، أي: علم جنس الإنسان أن يبين عما في نفسه ليفيد غيره ويستفيد هو.

---

(1) الإتقان في علوم القرآن (4/ 73).

(2) رواه أحمد(12591)، وعبد الرزاق(14897)، وأبو داود(3451)، وابن ماجه(2200)، وابن حبان(4935)،والدارمي(2587)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار(11655) والسنن الكبرى (11145) والأسماء والصفات(111) ، وأبو يعلى(2861)، والضياء في المختارة (2358)، وصححه الألباني، والأرناؤوط.

(3) شأن الدعاء (1/ 54).

والبيان: الإعراب عما في الضمير من المقاصد والأغراض وهو النطق، وبه تميز الإنسان عن بقية أنواع الحيوان فهو من أعظم النعم.

وأما البيان بغير النطق من: إشارة، وإيماء، ولمح النظر؛ فهو أيضًا من مميزات الإنسان، وإن كان دون بيان النطق.

ومعنى تعليم الله الإنسان البيان: أنه خلق فيه الاستعداد لعلم ذلك وألهمه وضع اللغة للتعارف، وفيه الإشارة إلى أن نعمة البيان أجل النعم على الإنسان بعد نعمة التكاليف الدينية، وفيه تنويه بالعلوم الزائدة في بيان الإنسان وهي خصائص اللغة وآدابها[1].

(وأَطلعَ) وأظهر **(في سماءِ العقولِ شموسَ العرفانِ) العرفان**: المعرفة، وفي الجملة صورة بيانية بديعة، وفي هذا الافتتاح من حسن الابتداء ما فيه.

(والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمدٍ وعلى جميعِ النبيينَ، وآلِهِمْ وصحبِهِم أجمعينَ) عطف الصلاة والسلام على الحمدلة؛ اقتداء بنبينا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في افتتاح خطبه، ومنها خطبة الحاجة.

(أما بعدُ، فلما) أي: مهما يكن من شيء بعد هذه المقدمة فلما... **(كانتِ المعارفُ مِصباحَ الرَّشادِ) أي**: لما كانت العلوم نور الهدى لكل مقصود، وطريق معرفة الأمور على ما هي عليه **(ومِفتاحَ نظامِ البلادِ)** أي: طريق انتظام أمورها؛ إذ المعرفة هي المفتاح لاتِّساقِ شؤون أي بلدة، وترتيب أحوالها، ومتى قادها الجهل

---

(1) التحرير والتنوير (27/ 233).

تعثرت في ظلمات المشكلات، وسادتها الفوضى في كل الجهات **(شملتْها)** عمَّتها **(عنايةُ) العناية**: الاهتمام والانشغال **(الحضرةِ) الحضرة**: لقب تشريف، ويعبر به عن ذي المكانة تجوزًا[1] **(الخديويةِ) الخديوي**: لقب أطلق على حكام مصر بين عامي: (1866-1914م)، وهو لفظ فارسي يعني: السيد أو الملِك.

وقال في المعجم الوسيط: الخديو: لقب حاكم مصر تحت سيادة العثمانيين في بعض العهود الماضية، **والخديوية**: منصب الخديو[2]، **(والدولةِ التوفيقيةِ)** نسبة إلى الخديو توفيق، واسمه: محمد توفيق باشا، توفي عام: (1892م) وعمره تسع وثلاثون سنة.

(أيَّدَ اللهُ مُلكَه وسلطانَه) أي: قوَّاه، **قال الله تعالى**: ﴿وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾[الأنفال:26]، **(وأدامَ على العالَمينَ بِرَّهُ وإحسانَه)** أثبت خيره وفضله وأبقاهما، وهما دعوتان: دعوة للدولة وراعيها، ودعوة لمن يصل إليه خيرها من الناس **(فقلَّدَ)** فوَّض وألزم **(إدارتَها)** الإدارة: مركز الرئاسة والتصرف، وهي بحسب ما تضاف إليه **(وزيرَه) الوزير هو**: الذي يحمل ثقل الملِك ويُعِينه برأيه، وهو رجل الدولة الذي يختاره رئيس الحكومة للمشاركة في إدارة شؤون الدولة مختصًا بجانب منها[3] **(الخبيرَ برعايتِها)** ذا الخبر والعلم بتوليها وحفظها **(البصيرَ بمبدئِها وغايتِها) أي**: أنه ذو الإدراك والفطنة بجميع ما يتصل بشؤونها **(تاريخَ**

(1) ينظر: تكملة المعاجم العربية (3/ 225)، المعجم الوسيط (1/ 181).

(2) المعجم الوسيط (1/ 222).

(3) المعجم الوسيط (2/ 1028).

المجدِ) هذه جملة تقال في المبالغة في المدح، وقد استخدمها بعض الأدباء في ذلك، ومنه: ما قاله أبو الفتح العباسي في مقدمة معاهده في بعض ممدوحيه حيث قال: "... وتاريخ الْمجد، وغرة الزَّمَان، وينبوع الْخَيْر وَالْإِحْسَان..."[1]، و" تَارِيخُ كُلِّ شَيْءٍ: غَايَتُهُ وَوَقْتُهُ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ، وَمِنْهُ قِيلَ: فُلَانٌ تَارِيخُ قَوْمِهِ أَيْ: إِلَيْهِ انْتَهَى شَرَفُهُمْ"[2]، **والمجد**: النبل والشرف.

فكأن الماتن يقصد أن ممدوحه هذا سجلٌ حافل بالمفاخر والمآثر **(وطالعَ السعدِ)** هذه عبارة كثرت على ألسنة الشعراء والأدباء لإظهار التيامن بشخص يمدحونه، أو حال يتيمنون بها، **قال الشاعر**:

كَذَا هِمَّتِي فِيمَن أهيم بحبه ... وَمن أَبْتَغِي مِنْ وَجْهِهِ طَالِعَ السَّعْدِ[3]

وقال الآخر:

وقصر ملْك ترى كل الجمال به ... وطالع السعد يبدو من جوانبه[4]

ولا علاقة للأحوال الفلكية بالحوادث الأرضية، لا في السعد ولا في النحس، فكل شيء بقضاء وقدر، والتفاؤل الحق هو بالطاعات، والتشاؤم والنحس إنما يكون بالمعاصي.

---

(1) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (1/ 4).

(2) المغرب في ترتيب المعرب (ص: 23).

(3) المغرب في حلى المغرب (2/ 174).

(4) أحسن ما سمعت (ص: 55).

وسُعُودُ النُّجُومِ عند العرب عَشَرَة: سَعْدُ بُلَعَ، **وسَعْدُ** الأَخْبِيَةِ، **وسَعْدُ** الذَّابِحِ، **وسَعْدُ** السُّعودِ، وهذه الأَربعة من مَنَازِلِ القمرِ. **ومن النُّجُوم: سَعْدُ** ناشِرةَ، **وسَعْدُ** المَلِكِ، **وسَعْدُ** البِهَامِ، **وسَعْدُ** الهُمَامِ، **وسَعْدُ** البارِعِ، **وسَعْدُ** مَطَرٍ. وهذه ليستْ من الْمنَازل(1).

ومن ألطف ما يحكى في ذلك: أن بعض الخلفاء سأل رجلاً عن اسمه؟ فقال: سعدٌ، يا أمير المؤمنين. فقال: أيُّ السعود أنت؟ قال: سعد السعود لك، يا أمير المؤمنين، وسعد الذابح لأعدائك، وسعد بلع على سماطك، وسعد الأخبية لسرك، فأعجبه ذلك(2).

(المبارَكَ) هذا من وصف الممدوح، والمبارك من البركة وهي: النماء والزيادة والسعادة، **قال تعالى:** ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[مريم:31]، "**والمبارك:** الذي تقارن البركة أحواله في أعماله ومحاورته ونحو ذلك؛ لأن المبارك اسم مفعول من باركه، إذا جعله ذا بركة، أو من بارك فيه، إذا جعل البركة معه، **والبركة:** الخير واليُمن"(3).

(رئيسَ المعارفِ) يعني: وزير التربية والتعليم في عرفنا اليوم **(سعادةَ) سعادة:** لقب يطلق في العصور المتأخرة على شخصيات رسمية رفيعة **(علي**

---

(1) تاج العروس (8/ 194).

(2) الطرق الحكمية (ص: 40).

(3) التحرير والتنوير (16/ 99).

باشا مبارك) هو: علي بن مبارك بن سليمان الروجي: وزير مصري، من المؤرخين العلماء العصاميين النوابغ، نُصِّب ناظرًا للأوقاف المصرية، وأضيفت إليه المعارف، فأنشأ مدارس كثيرة، وأبقى آثارًا، منها دار الكتب المصرية في القاهرة. له كتاب: الخطط التوفيقية، حذا به حذو المقريزي في خططه. ولد في: (1239هـ) وتوفي في: (1311هـ) الموافق: (1824 - 1893م)[1].

(لا زالتْ آيُ صحائفِ أنظارِهِ متلوَّةً، وأبكارُ أفكارِهِ مجلوَّةً) لعل العبارتين من باب الإنشاء للدعاء للمتحدث عنه، فيقول: أدام الله ذلك له، أو يقصد الخبر عنه بأن ما تركه من النظرات الثاقبة لازالت متداولة، ومعمولاً بها، ولازالت أفكاره النافعة التي ابتدعها ولم يسبق إليها أيضًا صقيلة متألقة لم يدنسها صدأ القِدم؛ لكثرة الرجوع إليها لنفاستها، **وقد سبقه إلى هذا الاستعمال:** أبو الفتح العباسي في قوله: "لَا زَالَت آي مجده بألسن الأقلام متلوة، وأبكار الأفكار بمديح معاليه مجلوة"[2].

(فأشارَ) نصح وأمر **(بتأليفِ كتابٍ في فنونِ البلاغةِ) الثلاثة:** المعاني، والبيان، والبديع **(قليلِ المباني)** ذي عدد قليل من الألفاظ، وهو المناسب للمتون العلمية **(سهلِ العبارةِ)** من غير تعقيد باستعمال غريب الكلمات، وكثرة

---

(1) ينظر: الأعلام للزركلي (4/ 322).

(2) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (1/ 5).

الإضمار بدل الإظهار، واستخدام الإشارة بدلاً عن العبارة **(جامعٍ لمهمّاتِ المعاني)** **أي**: يشتمل على ألفاظ قليلة سهلة، ولكنها تجمع المعاني المهمة المتكاثرة **(فكنتُ القائمَ بذلكَ)** **أي**: بتأليف ذلك الكتاب المشار إليه بما سبق من النعوت، وهذا من توفيق الله تعالى **(حتى جاءَ بفضلِ اللهِ كذلكَ)** **يعني**: حتى تفضل الله علي بأن أتم الكتاب على تلك المقاصد المطلوبة **(وسمّيتُه "حُسْن الصياغةِ في فنونِ البلاغةِ")** **الصياغة في الأصل**: عمل الحلي من فضة وذهب ونحوهما، **ويقال**: كلام حسن الصياغة: جيد محكم، وصاغ الشيء صوغًا وصياغة: صنعه على مثال مستقيم، وصاغ المعدن: سبكه، وصاغ الكلمة: اشتقها على مثال، **وصاغ الكلام**: هيأه ورتبه[1].

وللحناتي المصري الخلوتي (ت سنة 1051هـ) كتاب بعنوان: "حسن الصياغة فِي بَيَان مُقَدمَات علمي البلاغة"[2].

(وهو يشتملُ) **أي**: هذا المتن **(على مقدمةٍ)** لعله يقصد مقدمة الفن الآتي ذكرها، لا مقدمة الكتاب التي فرغنا من شرحها الآن **(وثلاثةِ فنونٍ: المعاني، والبيانِ، والبديعِ)** كما سيأتي قريبًا، إن شاء الله تعالى.

---

(1) المعجم الوسيط (1/ 528).

(2) هدية العارفين (2/ 280).

ثانيًا: مقدمة العلم:

قال الماتن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (المقدِّمة) يجوز أن تكون بكسر الدال-اسم فاعل-، ومعناها بذلك: أنها جملة من الكلام تقدِّم للكتاب، فتمهد له، وتكشف عن موضوعه، وكيف سيكون تناول ذلك الموضوع فيه، ويجوز أن تكون بفتح الدال-اسم مفعول-، **فيكون معناها بذلك:** أنها جملة من القول قُدِّمت بين يدي الكتاب قبل الشروع فيه لغرض ما.

والمقدمة مقدمتان: مقدمة علم، ومقدمة كتاب، وهذه من الماتن مقدمة علم، وأما مقدمة الكتاب فقد تقدمت قبلها، **وقد جعل أهل العلم** "المقدمة منقسمة إلى قسمين: مقدمة علم، ومقدمة كتاب؛ **فمقدمة العلم:** ما يتوقف الشروع على بصيرة عليها؛ لأنها تكون مشتملة على الحد، والموضوع، والغاية والفائدة، **ومقدمة الكتاب:** ما يوجب الشروع بها زيادة في البصيرة..."(1) للتعريف بالكتاب، وسبب تأليفه، وموضوعه، وخطته.

(لا شكَّ أنَّ لغةَ العربِ أفصحُ اللغاتِ، وأحسنُها أسلوبًا، وأكثرُها مزايا)؛ ولهذا اختارها الله تعالى لتكون لغة القرآن، **قال تعالى:** ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[يوسف:2].

قال ابن كثير: "وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات، وأبينها، وأوسعها، وأكثرها

---

(1) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار (ص:9).

تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس؛ فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات"[1].

وقال ابن عاشور: " لغة العرب أفصح اللغات، وأوسعها لاحتمال المعاني الدقيقة الشريفة مع الاختصار؛ فإن ما في أساليب نظم كلام العرب من علامات الإعراب، والتقديم والتأخير، وغير ذلك، والحقيقة والمجاز والكناية، وما في سعة اللغة من الترادف، وأسماء المعاني المقيدة، وما فيها من المحسنات؛ ما يلج بالمعاني إلى العقول سهلةً متمكنة، فقدر الله تعالى هذه اللغة أن تكون هي لغة كتابه الذي خاطب به كافة الناس"[2].

ومن مزايا لغتنا العزيزة: الإعراب، والصيغ، والإيجاز، وكونها لغة غنية في مفرداتها، وأفعالها، وحروفها، ومن أعظم مزاياها كذلك: أنها لغة شعرية؛ لكثرة الصور البيانية فيها؛ من مجاز، واستعارة، وكناية، وغير ذلك **(؛ ولذا اعتنى بها رجالٌ)** في جميع العصور الإسلامية ولازالوا، في صور شتى من العناية العلمية: جمعًا من أفواه الرجال، وحفظًا في الصدور، وتدوينً في الصحف، ودراسة وتدريسًا، وتأليفًا متنوعًا؛ كالمتون والمنظومات، والشروح والحواشي والتعليقات **(فدوَّنوا)** جمعوا ورتبوا **(لحفظِها)** لضبطها ووعيها وإبقائها **(فنونَ)** جمع فن، **والفن:** الضرب من الشيء أي: الفرع منه **(الصرفِ)** وهو: "علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم الّتي ليست بإعراب"[3] **(والنحوِ)** وهو:

---

(1) تفسير ابن كثير (4/ 365).

(2) التحرير والتنوير (19/ 190).

(3) الشافية في علمي التصريف والخط (ص: 59).

"علمٌ به يُعرف أحوالُ أواخرِ الكلمات العربية إفراداً وتركيباً"[1][2] **(واللغةِ)** وهو علم المفردات، وهو: العلم الذي يُعنى ببيان معنى المفردة العربية باختلاف تصاريفها، ويبحث في أصولها ومشتقاتها واستعمالاتها[3] **(ونحوَها)** من علوم اللغة العربية الأخرى، **وقد نظمها بعضهم بقوله:**

نَحْوٌ وَصَرْفٌ عرُوضٌ بَعْدَهُ لُغَةٌ ثُـمَّ اشْتِقَاقٌ وَقَرْضُ الشِّعْرِ إنْشَاءُ
كَذَا الْمَعَانِي بَيَانُ الْخَطِّ قَافِيَةٌ تَارِيخُ هَذَا لِعِلْمِ الْعُرْبِ إحْصَاءُ[4]

(ولإظهارِ مزاياها فنونَ البلاغةِ) أي: لإبراز مزايا اللغة العربية دوَّنَ أهل العلم علوم البلاغة[5]؛ لأن علم البلاغة يجلي جمال العربية، وحسن أساليبها، ووفاءها بحاجة المتكلم بأيسر طريق.

قال الجرجاني: "ثم إنك لا تَرى عِلْماً هو أرسَخ أصلاً، وأَبْسَق فَرعاً، وأَحلى جَنىً، وأَعذب ورْداً، وأكرم نِتاجاً، وأنْور سراجاً؛ مِن عِلْم البَيان، الذي

---

(1) الحدود في علم النحو (ص: 434).

(2) ينظر ما ذكرناه عن تاريخ علمي الصرف والنحو ومقدماتهما: كتابنا: تنوير الفهوم بمقدمات عشرة علوم.

(3) ينظر في متون علم المفردات وكتبه: الدليل إلى المتون العلمية (ص: 571) وما بعدها، لعبد العزيز قاسم.

(4) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (2/ 422).

(5) **وفي كتاب** "تنوير الفهوم" الآنف الذكر ذكرنا مقدمة في علم البلاغة، تحدثنا فيها عن المبادئ العشرة لهذا العلم، ونشأته وتطوره، وعلومه وأغراضها، والفرق بين البلاغة والفصاحة، والمتون المدونة فيه وشروحها وحواشيها.

لولاه لم تر لسانًا يَحُوك الوشيَ، ويصَوغ الحَلْيَ، وَيلفِظ الدرَّ، وينفثُ السِّحرَ، ويَقْري الشَّهْدَ، ويُريكَ بدائعَ منَ الزهر، ويجنيك الحلو اليانع من الثمر، والذي لولا تحفّيه بالعلوم، وعنايتُهِ بها، وتصويرهُ إياها، لبقيتْ كامنةً مستورة، ولمَا استبنْتَ لها يدَ الدهرِ صورةً، ولاستمرَّ السِّرارُ بأهلَّتها، واسْتَولى الخَفَاءُ على جُملتِها، إلى فوائدَ لا يُدركها الإحصاءُ، ومحاسنَ لا يَحْصرُها الاستقصاء"[1]، **وقال الخطيب القزويني**: "علم البلاغة وتوابعها من أجلّ العلوم قدرا؛ وأدقّها سرّا؛ إذ به تعرف دقائق العربية وأسرارها، وتكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستارها"[2].

تعريف البلاغة:

(وهي الباحثةُ عنِ الأحوالِ التي يَلزمُ مراعاتُها في الكلامِ، بحيثُ إذا نزلَ عنها يلتحقُ عندَهمْ بأصواتِ الحيواناتِ العُجمِ، وإذا اشتملَ عليها سُمِّيَ بليغًا، كما يسمى بذلك مَن عندَه استعدادٌ لمراعاةِ تلك الأحوالِ) هذا تعريف هذا العلم عند المؤلف، فهو يقول: إن هذا العلم يبحث عن الأحوال التي من راعاها عد كلامه بليغًا، ومن تلك الأحوال: الإيجاز، والإطناب، ومعرفة حال المخاطب، فإذا لم يراعها لم يخرج قوله عن كونه صوتًا لا علاقة له بالمعنى، فالكلام الذي يراعي مطابقة الحال كلام بليغ، ومن سيراعي تلك الأحوال من المتكلمين فهو البليغ.

---

(1) دلائل الإعجاز (1/ 5).

(2) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/ 46).

قال القزويني: "وللبلاغة طرفان: أعلى، إليه تنتهي، وهو حد الإعجاز، وما يقرب منه، وأسفل، منه تبتدئ، وهو ما إذا غير الكلام عنه إلى ما هو دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات، وإن كان صحيح الإعراب، وبين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة"[(1)].

وفي تعريف المؤلف هذا جاء تعريف بلاغة الكلام، وتعريف بلاغة المتكلم، **ويمكن أن يقال أيضًا:** بلاغة الكلام هي: "مطابقة الكلام لمقتضى حَال من يُخَاطبُ به مع فصاحة مفرداته وجُمَله"[(2)].

شروط فصاحة الألفاظ والتراكيب:

(ولا تكونُ البلاغةُ إلا معَ فصاحةِ الكلماتِ والتركيبِ) أي: لا توجد البلاغة على الحقيقة إلا بشرط وجود الفصاحة في الألفاظ والتراكيب، فمتى اختل ذلك لم تكن ثَم بلاغة فيها.

شروط فصاحة الألفاظ:

(وفصاحةُ الكلماتِ: خلوُّها من:

(1-تنافرِ الحروفِ المؤدي إلى عسرِ النطقِ بها؛ كالثَّغْثَغَةِ-بمثلثة، فمعجمتين، بينهما مثاة فوقية-: حكايةُ صوتِ الحُليِّ، وكـ استَشْزَرَ، بمعنى: ارتفع) هذا هو الشرط الأول، **ومعنى التنافر:** "وصف في الكلمة يوجب ثقلها

---

(1) الإيضاح في علوم البلاغة (1/ 46).

(2) البلاغة العربية، لحبنكة (1/ 129).

على اللسان، وعسر النطق بها"[1]. **وقد ذكر الماتن مثالين للتنافر في الكلمات: الأول**-كما قال-: الثَّغْتَغةِ، وأضاف في ضبطها قوله: "بمثلثة"!، ولكنني عند الرجوع إلى معاجم اللغة، وجدتها بمثناة، لا بمثلثة[2]، قال ابن منظور: "التَّغْتَغةُ: حِكَايَةُ صَوْت الحَلْي، وَتَكُونُ حِكَايَةَ بَعْضِ الصَّوْتِ، يُقَالُ: سَمِعْتُ لِهَـذَا الْحَلْيِ تَغْتَغةً إِذَا أَصاب بعضُه بَعْضًا فَسَمِعْت صَوْتَهُ. والتغْتَغةُ: ثِقَلٌ فِي اللِّسَانِ"[3].

المثال الثاني: استَشْزَرَ، وهي من قول امرئ القيس:

غَـدائِرُهُ مُسْتَـشْزِراتٌ إلـى العُـلا تُضِلُّ المدارَى في مُثَنّىً ومُرْسَلِ[4]

"فلفظ "مستشزرات" من المتنافر الذي يثقل على اللسان، ويعسر النطق به"[5].

وهـذه الكلمـة "ثقيلة؛ لتوسط الشين التي هي من الحروف المهموسة الرخوة، بين التاء التي هي من المهموسة الشديدة، والزاي التي هي من

(1) التعريفات (ص: 68).

(2) ينظر: تهذيب اللغة (8/ 13)، المحكم والمحيط الأعظم (5/ 358)، كتاب الأفعال (1/ 128)، العباب الزاخر (1/ 339)، تاج العروس (22/ 457)، القاموس المحيط (ص: 780).

(3) لسان العرب (8/ 422).

(4) ديوان امرئ القيس (ص: 4). **الغدائر**: الذوائب، واحدتها: غديرة، **ومستشزرات**: مرفوعات، **وأصل الشزر**: الفتل على غير جهة لكثرتها. شرح القصائد العشر (ص: 31).

(5) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (2/ 275).

المجهورة الرخوة"[1].

(2-ومنَ الغرابةِ، وهي: كونُ الكلمةِ غيرَ مألوفةٍ عندَ العربِ؛ كـالجِرِشَّى، للنفْس، والسُّقُرْقُع-بضمتين، فسكونٍ، ففتحٍ-لشرابِ الذُّرةِ) والغرابة هنا هي: "أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها، فيحتاج في معرفته إلى أن ينقر عنها في كتب اللغة المبسوطة"[2]

أما الجرشى فمعناها: النفْس-كما ذكر المصنف-[3]، وقد جاءت لدى بعض الشعراء؛ **كأبي الطيب في قوله:**

مُبَارَكُ الإسْمِ أغَرُّ اللَّقَبْ كَرِيمُ الْجِرِشَّى شَرِيفُ النَّسَبْ[4]

قال ابن خفاجة: "فإنك تجد في الجرشى تأليفًا يكرهه السمع،وينبو عنه"[5].

وأما السُّقُرْقُع فقال المؤلف: "لشرابِ الذُّرةِ"، قلت: قال الزبيدي عن هذه الكلمة: "قَالَ الجَوْهَرِيّ: وَهُوَ تَعْرِيبُ السُّكُرْكَة- سَاكِنة الرَّاء- وَهُوَ شَرابٌ، **كَمَا فِي العُباب وَفِي الصِّحَاح**: وَهِي خَمْرُ الحبَشِ يُتَّخَذُ من الذُّرَةِ، أَو شَرابٌ لأهلِ الحِجازِ من الشَّعيرِ والحُبوب، نَقَلَه الليثُ، قَالَ: وَهِي حبَشِيَّةٌ، وَقد لَهِجوا بهَا، ليستْ من كلامِ العربِ؛ بَيانُ ذَلِك أنّه لَيْسَ فِي الكلامِ كَلِمَةٌ خُماسِيَّةٌ مَضْمُومةُ الأوّلِ، مَفْتُوحةُ

(1) أساليب بلاغية (ص: 45).

(2) الإيضاح في علوم البلاغة (1/ 23).

(3) وينظر: العين (6/ 35).

(4) شرح ديوان المتنبي للواحدي (ص: 308).

(5) سر الفصاحة (ص: 66)، وينظر أيضًا: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/ 66).

العَجُزِ إلاّ مَا جاءَ من المُضاعَفِ؛ نَحْو: الذُّرَحْرَحَةِ، والخُبَعْثَنَةَ"[1].

(3-ومن مخالفةِ القياسِ الصرفيِّ؛ كـ مَبْيوع، وأجلل؛ فإنَّ القياسَ: مَبْيعٌ، وأَجَلُّ) **مخالفة القياس الصرفي هي**: كون الكلمة شاذَّة غير جارية على القانون الصرفي المستنبط من كلام العرب؛ بأن تكون على خلاف ما ثبت فيها عن العرف العربي الصحيح[2].

وذكر الماتن هنا كلمتين خالفتا القياس: مبيوع، وأجلل.

فأما قول: مبيوع؛ فالقياس الصرفي أن يقال فيها: مَبْيع؛ وذلك أن أصل هذه الكلمة عندهم هكذا: "مَبْيُوْعٌ"، ثمَّ "مَبُيْوعٌ"، ثمَّ "مَبُيْعٌ"، ثمَّ مَبِيْعٌ"[3].

حيث "نقلت الضمة من العين إلى ما قبلها، فصار الياء واواً؛ لانضمام ما قبلها، فالتقى الساكنان [الياء والواو] بعد نقل الضمة عن الياء إلى الباء قبلها، فحذف آخر الساكنين [وهو الواو]، ثم أبدلت الضمة كسرة؛ لتصحَّ الياء، ثم قلبت الواو الساكنة ياءً لانكسار ما قبلها، فصار مَبِيعاً"[4].

وأما الكلمة الثانية فهي أجلل، والقياس أجل، **وقد وردت في قول أبي النجم:**

---

(1) تاج العروس (21/ 207).

(2) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 23).

(3) الممتع الكبير في التصريف (ص: 299).

(4) المفتاح في الصرف (ص: 74).

الْحَمْـــدُ لِلَّـــهِ الْعَلِـــيِّ الأَجْلَـــلِ   أَنْـتَ مَلِيـكُ النَّـاسِ ربّـًا فَاقْبّـلِ[1]

"لأن قياس التصريف: الأجل؛ لاجتماع المثلين، وتحرك الثاني، وذلك يوجب الإدغام"[2].

شروط فصاحة التركيب:

بعد أن ذكر المؤلف شروط فصاحة الكلمة، ذكر شروط فصاحة التركيب، وهو الكلام، **فذكر لها ثلاثة شروط أيضًا فقال:**

(وفصاحةُ التركيبِ: فصاحةُ كلماتِه، وخلوُّها مِنْ:

(1-تنافُرِها مجتمعةً) وذلك بـ" أن تكون الكلمات ثقيلة على السمع من تركيبها مع بعضها، عَسرة النّطق بها مُجتمعةً على اللّسان، وإن كان كل جزء منه على انفراده فصيحـًا"[3] **(؛ كقوله:**

....   **وَلَـيْسَ قُـرْبَ قَبْـرِ حَـرْبٍ قَبْـرُ[4])**

---

(1) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 23).

(2) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/ 63). وينظر: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء (ص: 125).

(3) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 32).

(4) **[عجز بيت لا يعرف قائله، صدره:**

وَقَبْـــرُ حَـــرْبٍ بِمَكَـــانٍ قَفْـــرُ   ....

ويقال: إن حربًا هذا هو: حرب بن أمية بن عبد شمس، قتله الجن في ثأر حيَّة منهم، وسمع منهم هذا البيت]. قلت: وقد قيل: "والدليل على أنه من شعر الجن أمران: أحدهما: الرواية، والثاني: =

"فهذه القافات والراءات من الأحرف قد تكررت وتقاربت، فأكسبت الكلام ثقلاً وركة، تبعد به عن الفصاحة، وتنأى لأجله عن البلاغة[1]"؛ " فإنها في تتابعها كالسلسلة، ولا خفاء بما على الناطق بها من الكلفة"[2].

(2-ومن مخالفةِ مشهورِ قواعدِ النحو) وهو: أن يكون في الكلام لحن نحوي، وضعف تأليف قام على خلاف القواعد المتبعة في علم النحو العربي **(؛ كالإضمارِ قبلَ الذِّكرِ) يعني:** أن يأتي بالضمير متقدمًا، والمضمر عنه متأخراً، والقاعدة النحوية تقتضي العكس.

ومن هذا: بيت حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ولـو أنَّ مجْـداً أخلَـدَ الـدهرَ واحـداً مِنَ الناسِ أَبْقَى مجدُه الدهرَ مُطْعِما[3]

والشاهد في المصراع الثاني؛ حيث أضمر قبل ذكر المرجع لفظًا، ومعنى، وحكمًا؛ ذلك أن الضمير في "مجده" راجع إلى "مطعم" وهو لم يذكر قبل الضمير لفظًا، وهو ظاهر. ولا معنى؛ لأنه مفعول به، فمرتبته التأخير. ولا

= أنه لا يقوله أحد ثلاث مرات متواليات إلا تعتع فيه". صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (2/ 292)، ومن نسبه إلى الجن فيذكر بعضهم قصة في ذلك. ينظر تفصيلها في: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (1/ 34).

(1) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (3/ 30).

(2) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور (ص: 273).

(3) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص: 639).

حكمًا؛ لأنه محكوم عليه بالتأخر لمفعوليته"[1].

"**والمعنى**: ولو أنّ مجداً مهما كان عظيماً جعل من يتّصف به يخلُد طَوال الدَّهر، لكان مَجْدُ مُطْعِم بن عديّ جعله خالداً"[2].

والمطعم بن عدي هذا من رجال قريش، أجار رسولَ الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حين رجع نبي الله من الطائف، فدخل مكة في خفارته، فلم ينس رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للمطعم هذا الجميل؛ فقد جاء عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: (**لَوْ كَانَ المُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاَءِ النَّتْنَى، لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ**)[3] ولكن المطعم مات على شركه قبل ذلك.

(**3-ومن التعقيدِ المؤدي إلى عسرِ فهمِ المعنى**) **يعني**: أن يخلو الكلام من التعقيد اللفظي، والتعقيد اللفظي: "أن يختل نظم الكلام، ولا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه"[4]، ولا يكون فيه دلالة ظاهرة على المراد (**؛ كقوله:**

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إلاَّ مُمَلَّكاً أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ)[5]

---

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (1/ 19).

(2) البلاغة العربية (1/ 121).

(3) رواه البخاري(4024).

(4) الإيضاح في علوم البلاغة (1/ 31).

(5) [**قائله الفرزدق**: همام بن غالب التابعي، يمدح إبراهيم المخزومي، خال هشام بن عبد الملك، يعني: وما مثل الممدوح في الناس أحد يشبهه في الفضائل إلا ابن أخته هشام] **قلت:** **قال المرزباني**: "وإنما أراد: وما مثله في الناس حيّ يقاربه إلا مملّك أبو أمه أبوه. فتعسّف هذا =

"**أي**: وما مثل إبراهيم في الناس حي يشبهه في فضائله غير ملكٍ أبو أمه أبوه.

أصل ترتيب الكلام: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكًا أبو أمه أبوه، فقدم وأخر في الكلمات، فألغز إلغازًا سيئًا"[1].

قال المبرد: "ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحًا، وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن يقول: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح، فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد، وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير، حتى كأن هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل واحد"[2].

وقال القزويني: "فالضمير في "أمه" للملك، وفي "أبوه" للممدوح، ففصل بين "أبو أمه" -وهو مبتدأ- وأبوه -وهو خبره- بحي -وهو أجنبي-، وكذا فصل بين حي ويقاربه وهو نعت حي -بأبوه- وهو أجنبي، وقدم المستثنى على المستثنى منه، فهو كما تراه في غاية التعقيد"[3][4].

= التعسف الشديد، ووضع أشياء في غير مواضعها، وإنما مدح بهذا الشعر خال هشام، فقال: ما في الناس حيّ يقارب خال هشام إلا هشام الذى أبو أمه أبوه، يعني: أن جدّ هشام لأمه هو أبو هذا الممدوح"، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء (ص: 128).

(1) البلاغة العربية (1/ 124).

(2) الكامل في اللغة والأدب (1/ 28).

(3) الإيضاح في علوم البلاغة (1/ 32).

(4) وقد فصلنا هذه الشروط في كتاب: "عون البديع في شرح مائة المعاني والبيان والبديع (45-64).

(والمقتدرُ على إيرادِ الكلامِ الفصيحِ يسمى فصيحًا أيضًا) بعد أن بين المؤلف بلاغة الكلام، وبلاغة المتكلم؛ ذكر فصاحة الكلام، وبعده عرف من هو الفصيح، فذكر أنه الذي يقتدر على إيراد الكلام الفصيح الذي يخلو من العيوب السابقة.

قال القزويني: "وأما فصاحة المتكلم: فهي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح"[1].

"ومع الهبة الفطرية لا يكون المتكلم فصيحًا في اللسان العربي، حتى يكون ملمًا باللغة العربية، عالمًا بقواعد نحوها وصرفها، واسع الاطلاع على مفرداتها ومعانيها الدقيقة، كثير النظر في كتب الأدب، مطلعًا على أقوال كبار الفصحاء، له دراية بأساليب العرب في شعرهم ونثرهم وأمثالهم وكناياتهم ومجازاتهم، حافظًا لطائفة جمة من عيون كلام فصائحهم وبلغائهم من أهل النثر، وأهل الشعر، وأن يمارس موهبته بالتطبيقات العملية؛ حتى يكتسب مهارة التعبير عن مقاصده، وما يجول في نفسه من معان بكلام فصيح"[2].

---

(1) الإيضاح في علوم البلاغة (1/ 40).

(2) البلاغة العربية (1/ 127).

عِلْمُ المَعَانِيْ

تعريف علم المعاني

(هو: قواعدُ) **القواعد:** جمع قاعدة، **وهي في الأصل:** أساس البناء، ثم أطلقت في العلوم مجازاً على الضابط أو الأمر الكلي الذي ينطبق على جزئيات **(يُعرفُ بها)** **أي:** من خلال فهمها وتذكرها يدري العارف بذلك **(ما به يُطابِقُ)** يوافق، **ويشتمل** **(الكلامُ مقتضَى)** **مقتضى:** اسم مفعول من الفعل: اقتضى، **بمعنى:** طلب واستلزم، فهو مطلوب ومستلزَم **(الحالِ)** **الحال " في البلاغة:** الأمر الداعي إلى إيراد الكلام الفصيح على وجه مخصوص، وكيفية معينة"[1]، **وذلك أن** "المقاماتِ مختلفةٌ؛ كالجدِّ مع مقام الهزْلِ، ومقامِ التَّواضع مَع مقام الفخر، ومقامِ الشُّكرِ مع مقامِ الشِّكَايةِ، ومقامِ التَّهنئةِ مع مقام التَّعزية[2]، ومقام التعريف مع مقام التنكير، والوصل مع الفصل، والإيجاز مع الإطناب، ونحو ذلك.

وقد بيَّن المؤلف معنى مقتضى الحال، وشرحَ، ومثَّل، فقال: **(أي: المقامِ، وهو الأمرُ الداعي لإيرادِ خصوصيةٍ في الكلامِ. وتلكَ الخصوصيةُ هي: مقتضى الحالِ.**

مثلاً: إذا خاطبتَ مُنكراً فإنكارُه حالٌ يقتضي أن تؤكِّدَ لهُ الكلامَ، والتأكيدُ هو مقتضى الحالِ.

(1) المعجم الوسيط (1/ 209).

(2) تحقيق الفوائد الغياثية (1/ 227).

وإذا كانَ بينَكَ وبينَ مخاطَبِكَ عهدٌ برجلٍ معيَّنٍ، فالعهدُ حالٌ يقتضي إيرادَ الرجلِ معرَّفًا، والتعريفُ مقتضى الحالِ، وهكذا) وسيأتي بيان هذا بالأمثلة في بابه.

(فمعنى مطابقةِ الكلامِ لمقتضى الحالِ: اشتمالُه على تلكَ الخصوصيةِ) بأن يعرِّف في حال تستدعي التعريف، وينكِّر في حال تقتضي التنكير، وهلم جرا.

تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء:

(والكَلامُ):

1- إما: خبرٌ، وهو: ما لا يتوقَّفُ تحقُّقُ مدلولِه على النطقِ به؛ نحو: "العلمُ نافعٌ") أي: حصول مدلول الجملة الخبرية -وهو ما فيها من معنى- أمر حاصل، ولا يتوقف حصوله ووجوده على النطق به، وإنما ينطق به لغرض من أغراض الخبر عند أهل الفن، فعندما نقول: العلم نافع، فقد أثبتنا صفة النفع للعلم، وتلك الصفة ثابتة له، سواء تلفظنا بالجملة السابقة أم لا؛ لأن نفع العلم أمر حاصل في الحقيقة والواقع، والمخبر بهذه الجملة إنما يحكي ما اتفق الناس عليه بدون نظر إلى إثبات جديد.

(2- وإما إنشاءٌ، وهو: ما يتوقَّفُ تحقُّقُ مدلولِه على النطقِ به، نحو: "لا تكسلْ") أي: أن الطلب بالنظر إلى ذاته لا يتحقق في الواقع إلا بالنطق به، فقولنا: لا تكسل: لو نظرنا إلى ترك المخاطب للكسل بهذا الخطاب لما تحقق إلا بعد النطق به.

ويمكن أن يعرَّف الخبر بأنه: "ما يصح أن يدخله الصدق والكذب لذاته"[1]. فلو قال شخص: زيد قائم، فإن خبره هذا قد يكون صدقًا، وقد يكون كذبًا، وكلمة " لذاته" لإخراج المخبر عن الاعتبار السابق؛ فاحتمال الصدق والكذب منظور فيه إلى ذات الجملة الخبرية، بغض النظر عن المخبر أو الواقع؛ إذ لو نظرنا إلى الخبر باعتبار المخبر لوجدنا من الأخبار ما هو مقطوع بصدقه؛ كخبر الله ورسوله، والحقائق العلمية المعلومة، ومنها ما هو مقطوع بكذبه كخبر مدعي النبوة.

وأما الإنشاء فيقال فيه: ما لا يصح أن يدخله الصدق والكذب لذاته.

فإذا قال لك شخص: صُمْ رمضان، فلا يصح أن تقول له: أنت صادق، أو كاذب.

وانحصار الكلام في الخبر والإنشاء هو الأصح، وهو ما عليه الحذاق من النحاة وغيرهم وأهل البيان قاطبة، ومن زاد قسم "الطلب" فقد رجح المحققون دخوله في قسم "الإنشاء"، فصارت القسمة ثنائية، لا ثلاثية عند التحقيق[2].

قال القزويني: "ووجه الحصر: أن الكلام إما خبر، أو إنشاء؛ لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه، أو لا تطابقه. أو لا يكون لها خارج؛ الأول: الخبر، والثاني: الإنشاء"[3].

---

(1) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (1/ 123).

(2) ينظر التفصيل في: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (1/ 52).

(3) الإيضاح في علوم البلاغة (1/ 55).

أحوالُ الإسنادِ الخبريِّ

الأحـوال هـي: الخـصائص والكيفيـات التـي تعـرض للخـبر مثـل: التوكيـد وعدمه، وكونه حقيقة أو مجازاً.

"وهذه الأمور يمكن أن تجري في الإنشاء أيضًا، ولكن لما كانـت تجـري في الخـبر أكثـر مـن الإنـشاء، وكـان الخـبر هـو المقـصود الأعظـم عنـد البلاغيـين والأدباء؛ قُيد الإسناد به فقيل: أحوال الإسناد الخبري. وأما البدء بأبحاث الخبر فقد عللـوه بـأن الخـبر أعظـم شـأنًا وأعـم فائدة؛ لأنـه هـو الـذي يتـصور بالـصور الكثيرة، وفيه تقع الصياغات العجيبة، وبه تقع المزايا التي بها التفاضـل، ولكونـه أصلًا في الكلام؛ لأن الإنشاء إنما يحصل منه باشتقاق؛ كـالأمر والنهـي، أو بنقـل كـعسى، ونِعمَ، وبعت، واشتريت، أو بزيادة أداة؛ كالاستفهام، والتمني، ونحـو ذلك. كذا ذكره السعد في (المطول)"[1].

تعريف الإسناد:

(الإسنادُ: ضمُّ كلمةٍ إلى أُخرى، على وجهٍ يفيدُ الحكمَ بإحداهُما على الأخرى) **الإسناد**: مصدر أسند، مـن أسـند إليـه بمعنـى: نـسب وأضـاف، فعنـدما نقول: زيد صالح، فلدينا مسند وهو "صـالح" وهـي كلمـة مـستقلة، ومـسند إليـه وهو" زيد"، وهي كلمة أخرى، وحكمٌ أو نسبةٌ وهي الصلاح، فبالإسناد حكمنـا

(1) البلاغة 2 – المعاني – جامعة المدينة (ص: 71).

بالصلاح على زيد.

وهذا التعريف الذي ذكره المؤلف هو تعريف الإسناد الخبري، وعرفه بعضهم-وزاد- بأنه: "ضم كلمة أو ما يجري مجراها إلى أخرى، بحيث يفيد أن مفهوم إحداهما ثابت لمفهوم الأخرى، أو منفيٌّ عنه"[1].

"**فمثال ضم** كلمة إلى كلمة لإفادة هذا المعنى: قولك: زيد ناجح، ونجح محمد، ونجح زيد. في حال الإثبات. وقولك: بكر غير مجتهد، وما نجح خالد. في حالة النفي.

ومثال ضم ما يجري مجرى الكلمة، وهي الجملة التي تقع موقع المفرد، سواء في ذلك المسند أو المسند إليه إلى ما يجري مجرى كلمة أخرى: (سبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض) فالتسبيح والتحميد- وإن كان كل منهما قد أفاد معنى يحسن السكوت عليه- إلا أنها في حكم الكلمة؛ لوقوعها موقع المفرد، وقد يكون المسند إليه كلمة، والمسند جملة جارية مجرى المفرد، مثل: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه)، وقد يحدث العكس مثل: لا إله إلا الله كلمة التوحيد، **ومثل قوله تعالى:** ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾[البقرة: 184]"[2].

أغراض الخبر:

(والقصدُ بالخبرِ) أي: الغرض منه ومقصوده:

---

(1) التعريفات (ص: 23).

(2) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 70).

(1 - إمـا إفـادةُ الحكـمِ) أي: إخبـار المخاطـب بـشيء جديـد،" وهـذا هـو الأصل في كل خبر؛ لأنّ فائدته تقديم المعرفة أو العلم إلى الآخرين"[1] (، **نحوُ: "أناْ حفظتُ")** فأنـت بهذه الجملة الخبرية أفدت مخاطَبك بشيء جديد لـم يعرفه؛ ألا وهو حفظك.

(2-وإما إفادةُ) المخاطَب **(كونِ المتكلمِ عالمًا به) أي**: بالحكم. وهذا هـو الغرض الثاني، وهو غرض لا يعطي المخاطب جديداً، غير أنه يفيده أن المتكلم عالم بالحكم؛ ولذلك سمي هذا الغرض لازمَ الفائدة **(نحوُ: "أنـتَ حفظتَ")** **فالمتكلم هنا** يخبر المخاطب بكونه قد علم أنه قد حفظ لا غير. **ومثله قـول أبي الطيب في سيف الدولة:**

تَدُوسُ بِكَ الخيلُ الوُكُورَ على الذُّرَى وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الوُكُورِ المَطَاعِمُ[2]

وسيف الدولة يعلم ذلك ولا يجهله، ولكنه يسوقه له مساق المدح، وتعداد المفاخر.

أضربُ الخبرِ:

(ويجبُ أن يقتصرَ) المتكلم باستعمال التأكيد أو عدمه **(على قدرِ الحاجةِ) أي**: يجب بلاغةً أن يكون الكلام البليغ على قدر حاجة المخاطب في تمكين الخبر في نفسه، والطريق إلى ذلك: التوكيد، أو عدمه، والبليغ كالطبيب يضع

(1) أساليب بلاغية (ص: 99).

(2) شرح ديوان المتنبي للواحدي (ص: 277).

كمية الدواء بقدر حاجة المريض، بناء على تشخيص الحالة.

(أ- فخاليْ الذهنِ) من الحُكم **(لا يؤكَّدُ)** له الخبر؛ لاستغنائه عنه بخلو ذهنه الذي يوجب استقرار الخبر فيه متى بلغه. ويسمى هذا الضرب من الخبر ابتدائيًا؛ لأنه لم يُسبق بطلب ولا إنكار، فالمتكلم يبدأ به المخاطب، والمخاطب غير متردد، ولا منكر، مثاله: صديقك مسافر.

(ب- والمترددُ) أي: الشاكُّ في حكم الخبر **(يؤكَّدُ له)** بمؤكِّد واحد من المؤكدات، ومن المؤكدات: إنَّ، وأنَّ، ونونا التوكيد، واللام، والقسم، وغيرها **(استحسانًا)**؛ ليزيل تردده، ويستقر على اليقين، ويبين له الحقيقة، فيتمكن الخبر في نفسه، ويقوى الحكم فيها، **وقوله**: (استحسانًا) يعني: أنه إذا لم يؤكد له فيجوز، ولكنه خلاف الأولى.

ويسمى هذا الضرب من الخبر طلبيًا؛ نسبة إلى الطلب؛ لأن المخاطب يطلب حجة ينفي بها تردده، فهو "مسبوق بطلب؛ إذ إن المخاطب المتردد طالب بلسان حاله وقوفه على جلية الأمر... إذ إن المتردد في الشيء يكون عادة متشوقًا إليه، طالبًا معرفته ليزول تردده، ويستقر على أحد الأمرين المتردد بينهما. ومثل هذا المخاطب يستحسن أن يؤكد له الخبر؛ محوًا لهذا التردد، وتمكينًا للحكم في ذهنه، سواء استوى لديه طرفا الإثبات والنفي، أو كان لأحدهما أرجحية على الآخر"[1]. **ومثاله**: إنَّ صديقك مسافر.

---

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (2/ 13).

(ج- والمنكرُ) وهو الجاحد لمضمون الخبر- الذي يراد إخباره به- ويعتقد خلافه **(يؤكَّدُ له وجوبًا)** بلاغيًا **(بقدرِ إنكارِه قوةً وضعفًا)** فكل ما زيد في إنكاره زيد له في التوكيدات، ومثالنا السابق مع المنكر نورده هكذا: والله إن صديقك مسافر، فإن زاد إنكاره قلنا: والله إن صديقك لمسافر، وهكذا.

ويسمى هذا الضرب من الخبر إنكاريًا؛ لأنه مسبوق بإنكار المخاطب.

وقد ساق المؤلف لهذا الضرب مثالاً دون الضربين الأولين فقال: (قالَ تعالى -حكايةً عَن رسلِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ**-: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾[يس:14]. وفي المرةِ الثانيةِ: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾[يس:16]) ففي قوله: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾** "جاء الإخبار مؤكدًا تأكيدًا متوسطًا؛ لأن إنكار القوم كان في بدايته.

والتأكيد في هذه الجملة الخبرية قد جاء بحرف التأكيد "إن" ويمكن أن نفهم من تقديم ﴿إِلَيْكُمْ﴾ على عامله ﴿مُّرْسَلُونَ﴾ تأكيدًا آخر؛ لأن فيه معنى القصر، أو زيادة الاهتمام، وكلاهما يفيد تأكيدًا، والمؤكد الثالث كون الجملة جملة اسمية.

ولما أصر القوم على تكذيب الرسل الثلاثة، زاد الرسل جملتهم الخبرية تأكيدًا، فقالوا: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ والمؤكدات في هذه الجملة هي:

1- ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ فهذه العبارة بمثابة القسم.

2- "إن" وهو حرف تأكيد.

3 – اللام المزحلقة للخبر في عبارة ﴿لَمُرْسَلُونَ﴾.

4 –كون الجملة جملة اسمية"[1].

وبهذا يظهر أن لكل مقام مقالاً يناسبه، وهذا من تمام العربية، وجمال أساليبها، ووفائها بالمعاني.

قال عبد القاهر: "روي عن ابن الأنباريّ أنه قال: ركب الكنديّ المتفلسف إلى أبي العباس، وقال له: إنّي لأجد في كلام العرب حشوًا! فقال له أبو العباس: في أي موضع وجدت ذلك؟ فقال: أجد العرب يقولون: «عبد الله قائم»، ثم يقولون «إنّ عبد الله قائم»، ثم يقولون: «إنّ عبد الله لقائم»، فالألفاظ متكرّرة والمعنى واحد.

فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة؛ لاختلاف الألفاظ؛ فقولهم: «عبد الله قائم»، إخبار عن قيامه، وقولهم: «إنّ عبد الله قائم»، جواب عن سؤال سائل، وقوله: «إن عبد الله لقائم»، جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكرّرت الألفاظ لتكرّر المعاني. قال: فما أحار المتفلسف جوابًا"[2].

(وإيرادُ الكلامِ على هذا الوجهِ) مع اختلاف أحوال المخاطبين **(يُسمَّى: مقتضَى الظاهرِ)** أي: مطلوبه ومستلزمه.

---

(1) البلاغة العربية (1/ 182).

(2) دلائل الإعجاز (ص: 206).

خروج الكلام عن مقتضى الظاهر:

قد يورد المتكلم البليغ كلامه على خلاف المقامات الثلاثة المتقدمة لأغراض بلاغية تستدعي ذلك، وتلك المخالفة قد تدرك من أول وهلة، وقد يطلب إدراكها من المخاطَب فهمًا عميقًا قائمًا على تراكم معرفي وبلاغي، ودقة في دراية السياقات وحسن استخراج مقاصدها.

قال الماتن: (وقد يخرجُ الكلامُ على خلافِ مقتضَى الظاهرِ؛ فيُجعلُ غيرُ المنكرِ كالمنكرِ، إذا ظهرَ عليه شيءٌ من أماراتِ الإنكارِ فيؤكَّدُ له) كما يؤكد للمنكر حقيقة (؛ كقوله:

جَاءَ شَقِيقٌ عَارِضًا رُمْحَهُ ... إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِماحْ[1]

فشقيقٌ لا ينكرُ رماحَ بني عمِّه، لكنَّ مجيئَه واضعًا رمحَه على العَرْضِ بمنزلةِ إنكارِه أن لهم رماحًا) "ولن يجد منهم مُقاومًا له، كأنهم كلهم في نظره عُزلٌ، ليس

(1) [أي: حجل بن نضلة، من بني عمرو بن عبد قيس، وشقيق: علم رجل كان معجبًا بشجاعته]

قلت: وبعد هذا البيت قوله:

هل أحدثَ الدهرُ لنا نكبةً ... أم هل رقتْ أمُّ شقيق سلاحْ

البيان والتبيين (3/ 222).

ومعنى بيت الشاهد: "جَاءَ هَذَا الرجل وَاضِعًا رمحه عرضًا مفتخراً، مدلاً بشجاعته، دَالاً ذَلِك على إعجاب شَدِيد مِنْهُ، واعتقادٍ بِأَنَّهُ لَا يقوم إِلَيْهِ أحد من بني أَعْمَامه، كَأَنَّهُمْ كلهم عزلٌ لَيْسَ مَعَ أحد مِنْهُم رمح، فَقيل لَهُ: تنكب وخل لَهُم طريقهم؛ لِئَلَّا تتزاحم عَلَيْك رماحهم، وتتراكم عَلَيْك أسنتها؛ إِن بني عمك فيهم رماح كَثِيرَة"، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (1/ 72).

مع أحد منهم رمحٌ"[1] (فأكدَّ له الكلامَ) استهزاءً به، وليوقد فيه الشعور بقوة شكيمتهم وقدرتهم على مواجهة الخصم إذا اقتضى الأمر ذلك، وخُوطبَ خطاب التفات بعد غيبةٍ؛ تهكمًا به، ورميًا له بالنزق، وخرق الرَّأي[2].

(وكذا يُجعلُ المنكرُ كغيرِ المنكرِ إذا كانَ إنكارُه ظاهرَ البطلانِ بالأدلةِ)

يعني: أن ينزل المنكر لحقيقة ما منزلة غير المنكر لها، وذلك إذا كانت أمامه أدلة قائمة معلومة لو نظر فيها لترك الإنكار (؛ كقولِكَ لمَن ينكرُ حقيَّةَ الإسلامِ: "الإسلامُ حقٌّ") فمن تأمل في نفسه، وفي الكون وواقع الحياة والأحياء، وفي مشاهد العقول، وفي التاريخ؛ لوجد أن الدين الحق هو الإسلام لا سواه؛ ولذلك رضيه خالق البشرية لها فقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:4].

وهناك صورة ثالثة لم يذكرها المؤلف وهي: أن ينزل خالي الذهن منزلة السائل المتردد، ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾[هود:37].

فقوله تعالى: ﴿وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ جملة تتشوف النفس إلى علة النهي فيها، وهي جملة مشعرة بأنه سيكون هناك عقاب على قوم نوح، لكن هل سيكون بالإغراق أو لا؟ وهذا تردد، فلما كان الأمر كذلك جاءت الجملة الأخيرة: ﴿إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ فقطعت بتوكيدها التردد.

---

(1) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 59).

(2) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 59)، البلاغة 2 – المعاني – جامعة المدينة (ص: 88).

قال القزويني عن هذه الصورة: "وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة وغموض"[1].

قال في مائة المعاني-ملخصًا هذا الباب-:

إنِ ابتـــــدَائِيّا فَـــــلا يُؤَكَّـــــدُ   أوْ طَلَبِيّـــا فهْـــوُ فيـــهِ يُحمـــدُ
وواجـــبٌ بحَـــسَبِ الإنكَـــارِ   ويَحْـــسُنُ التَبـــديلُ بالأغْيَـــارِ

(1) الإيضاح في علوم البلاغة (1/ 73).

أحوالُ المسندِ إليه والمسندِ

قدم المسند إليه لكونه الموصوف، والمسند الصفة، وشأن الموصوف أن يتقدم على صفته.

(المسندُ إليه) هو: "المحكوم عليه، أو المخبر عنه"(1)، ويأتي في مواضع شتى، **ذكر المؤلف بعضها فقال: (هو:**

(1- المبتدأُ المخبَرِ عنه)، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى﴾[الضحى:4]، فلفظ الآخرة مسند إليه؛ لأنه مبتدأ.

وتقييده بـ"بالمخبر عنه" لإخراج المبتدأ المكتفي بمرفوعه؛ لكونه من مواضع المسند، كما سيأتي.

(2-والفاعلُ، أو نائبُه)؛ نحو قوله سبحانه: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:1]، فـ"أَمْرُ" مسند إليه؛ لأنه فاعل، **وقوله تعالى:** ﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ [البقرة:210]، فـ"الأمر" مسند إليه؛ لأنه نائب فاعل.

ومن مواضع المسند إليه: ما أصله المبتدأ: وهو: اسم كان وأخواتها، واسم إنّ وأخواتها، والمفعول الأول لـ "ظنّ" وأخواتها، والمفعول الثاني لـ "أرى" وأخواتها.

(والمسندُ) وهو: المحكوم به، أو المخبر به، وله مواضع، **قال المؤلف:**

(هو:

---

(1) علم المعاني (ص: 120).

(1 – الخبرُ)؛ نحو قوله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[النور:35]، فـ"نور" مسند؛ لأنه خبر المبتدأ.

(2 – أو الفعلُ)؛ نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[الشمس:9]، فـ"أفلح" مسند؛ لأنه فعل.

(3 – أو اسمُ الفعل)؛ نحو قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾[المؤمنون:36]، **وقوله:** ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾[الأحقاف:17]، **وقوله:** ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ﴾[الأنعام:150]، فكل من" هَيْهَاتَ"، و"أُفٍّ" و"هَلُمَّ" مسند؛ لأنها أسماء أفعال: ماض، ومضارع، وأمر.

(4 – أو الوصفُ المستغني بمرفوعِهِ عن الخبرِ)؛ نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ﴾[مريم:46] فـ" أَرَاغِبٌ" مبتدأ، وهو اسم فاعل، وهو مسند؛ لأنّ " أَنْتَ " فاعل له سدّ مسدّ الخبر.

ومن مواضع المسند أيضًا: – ما أصله خبر المبتدأ: وهو: خبر كان وأخواتها، وخبر إنّ وأخواتها، والمفعول الثاني لـ"ظن" وأخواتها، والمفعول الثالث لـ"أرى وأخواتها، والمصدر النائب عن فعل الأمر.

(وأحوالُهما) أي: المسند إليه، والمسند هي: **(الذِّكرُ والحذفُ، والتعريفُ والتنكيرُ، ونحوُها)** كالتقديم، والتأخير، والإتباع.

وهذا أوان تفصيل الحديث عنها:

أولاً: الذكر والحذف:

لقد دَرسَ الذِكرَ والحذفَ للمسند إليه والمسند كلٌّ من النحويين، والبلاغيين، غير أن دراسة النحاة لهما اقتصرت على الوجوب والجواز، بينما درسهما البلاغيون دراسة عميقة تتعلق بالمعاني، وتظهر فيها القدرات الإبداعية في الكلام، والمقاصد الدقيقة التي حصل لأجلها الذكر، أو الحذف.

أغراض الذِّكْر:

(فالذِّكرُ:) للمسند إليه يرِد:

(1- لكونِه الأصلَ) في الكلام، وركنًا من أركانه **(بلا مقتضٍ لتركِه)**؛ إذ لو تُرك محذوفًا لذهب المعنى، وهذا " بشرط ألا يقصد المتكلم غرضًا من أغراض الحذف؛ فإذا قصَد المتكلم غرضًا من أغراض الحذف كانت البلاغة في الحذف، أما إذا لم يقصد المتكلم ذلك عدنا إلى الأصل وهو الذكر، وكانت النكتة فيه كونه الأصل، وليس في قصد المتكلم غرض يقتضي الانصراف عن الذكر إلى الحذف"(1).

((**2- ولزيادةِ الإيضاحِ)** للمسند إليه، وتقريره في نفس السامع، وتأكيد الحكم المحكوم به (؛ **نحوُ: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[البقرة:5]) فقد كرر المسند إليه وأعاده وهو: "أولئك" لزيادة الإيضاح، فكما تحقق أن هؤلاء المتقين متمكنون من الهدى؛ فهم كذلك

---

(1) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 165).

الظافرون بالفلاح.

(3- ولإفادةِ الهَيبةِ) والتعظيم في نفس السامع (؛نحوُ: حضرَ الأميرُ، في جوابِ: هل حضرَ الأميرُ؟)؛ إذ لم يجب بقوله: نعم، أو قوله: حضر، ولكنه صرح بذكر المسند إليه للغرض السابق.

(4- وللتبرُّكِ) بذكر اسمه، أو التلذذ بذلك؛ كما قال أبو الطيب:

أَسَامِيًا لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً وإِنَّمَا لَذَّةً ذَكَرْنَاهَا[1]

(؛ كقولِكَ: نبيُّنا محمدٌ ﷺ، في جوابِ: مَن نبيُّكَ؟) حيث أعاد " نبينا" في الجواب.

(5- وللردِّ على المخاطَبِ؛ كقولِه تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[يس: 79]، بعدَ قولِه: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[يس: 78]) فالمخاطب منكر للإحياء، فكرر ذكره في الجواب رداً على الجاحد، وزيادة في تقريره.

وغير ذلك من أغراض الذكر.

أغراض الحذف:

(والحذفُ:

(1- للاحترازِ) للتوقي (عن العبثِ ظاهرًا؛) العبث: عمل ما لا فائدة منه

(1) شرح ديوان المتنبي للواحدي (ص: 379).

(كقولِ المستهلِّ) المستهل هنا: من رأى الهلال **(: الهلالُ) أي:** هذا الهلال، فحذف المسند إليه -وهو اسم الإشارة-؛ لأن السامع يعلم ما يريده، فلو ذكره له -مع علمه به- لكان فيه عبث عند أهل البلاغة، **قال ابن السبكي:** "فلو صرحت بذكر المبتدأ لكان ذكره عبثًا في الظاهر، بمعنى أنه لا يظهر له فائدة"(1)

(وكقولِكَ: خرجتُ فإذا الأسدُ، أي: حاضرٌ) فحذف هنا المسند؛ لأنه معلوم.

(2- ولتعيُّنِه حقيقةً، نحوُ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾[الأنعام:73]**. أي: اللهُ)** فـ"عالم" خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو، يعود على الله تعالى، وهذا الخبر لا يصلح إلا للمسند إليه وهو الله وحده، فهو وصف خاص به، فحذف المسند إليه وهو "هو" العائد على الله؛ لكون علم الغيب لا يكون إلا لله على الحقيقة، **(أو ادِّعاءً)** على سبيل المبالغة في المدح **(نحوُ: وهَّابُ الألوفِ، أي: فلانٌ)** فـ"وهاب" مسند، والمسند إليه محذوف تقديره: فلان؛ كالأمير، ونحوه، فقد حذفه لشهرته وتعينه، فكأنه يقول: لا يتصف بذلك إلا فلان، فلا داعي لأن أذكره؛ لأن الذكر للتمييز والتخصيص، وهو في غنى عن ذلك؛ لشهرته.

(3- ولانتهازِ الفرصةِ) لاغتنامها، والمبادرة إليها قبل الفوات **(؛ كقولِ الصيادِ: غزالٌ)**

والتقدير: هذا غزال، فحذف المسند إليه وهو "هذا" مخافة أن تفوت الفرصة بإطالة الكلام، فيفلت الصيد من يد الصائد.

---

(1) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/ 156).

(4- ولضيقِ المقامِ) عن إطالة الكلام بسبب ألم نفسي؛ من تضجر، أو حزن، أو نحو ذلك (؛ نحوُ[1]:

قَالَ لِي: كَيْفَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: عَلِيلٌ ....)

أي: أنا عليل؛ فحذف المسند إليه" أنا" واكتفى بالمسند وهو " عليل"؛ لأن حالة العليل تسأم التطويل.

يذكر عن أحد من أهل الدعابة أنه مرض، فجعل الناس يعودونه، فكل من زاره جعل يسأله عن سبب مرضه، فسأم من جواب كل أحد، فاحتال للراحة من ذلك، فكتب بيان سبب مرضه في ورقة، وعلقها فوق رأسه على سريره، فكان كل من جاءه وسأله أشار إلى تلك الورقة.

وغير ذلك من أغراض الحذف.

ثانيًا: التعريف والتنكير:

أغراض التعريف:

(والتعريفُ:) من المعرفة، وضده: النكرة، من التنكير، و"المعرفة: اسم دل على معين؛ كعمر، ودمشق، وأنت، والنكرة: اسم دل على غير معين؛

(1) [تمامُه:

.... سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلُ]

قلت: ومن ضيق المقام هنا: ضيق الوزن بذكر المسند إليه "أنا"؛ فإنه لو ذكره لاختل البيت وزنا.

كرجل، وكتاب، ومدينة"[1].

والمعارف ست: الضمير، العلم، اسم الإشارة، اسم الموصول، المعرف بالألف واللام، ثم ما أضيف إلى واحد منها.

وهي وسائل التعريف التي سيأتي ذكرها.

وهي في القوة على هذا الترتيب المتقدم؛ **قال ابن مالك في كافيته:**

فَمُضْمَرٌ أَعْرَفُهَا ثُمَّ العَلَمْ فَذُو إِشَارَةٍ فَمَوصُولٌ مُتَمْ
فَذُو أَدَاةٍ فَمُنَادَى عُيِّنَا فَذُو إِضَافَةٍ بِهَا تَبَيَّنَا[2]

والتعريف هنا للمسند إليه، وقد قدمه على التنكير؛ لأن الأصل في المسند إليه التعريف؛ لكونه المحكوم عليه، ولو كان مجهولاً لما كان في الحكم عليه فائدة.

وسائل التعريف:

(أ-بالإضمارِ) أي: التعريف بالإضمار، والإضمار: الإخفاء والاستتار، وهو من الضمور بمعنى الهزال، فالضمير لما قام مقام الاسم الظاهر الذي استتر، وكان الضمير أقل منه حروفًا في الغالب؛ سمي كذلك.

ويعرِّفون الضمير بأنه: "اسم جامد يدل على: متكلم، أو مخاطَب، أو غائب"[3]، والضمائر من ناحية القوة هي على هذا الترتيب في التعريف.

---

(1) جامع الدروس العربية (1/ 147).

(2) شرح الكافية الشافية (1/ 222).

(3) النحو الوافي (1/ 217).

(؛ لإفادةِ: التكلُّمِ، أو الخطابِ، أو الغَيبةِ) أي: يكون التعريف بالإضمار إذا كان المقام يستدعي ذلك:

فإذا كان المقام يستدعي التكلم جيء بضمير متكلم؛ **نحو قول بشار:**

أنـا المرعَّـثُ لا أخفَـى علـى أحـدٍ   ذرَّت بـيَ الـشَّمسُ للـدَّاني وللنَّـائي[1]

وإن كان المقام للخطاب جيء بضمير خطاب؛ **كقول بعضهم:**

وأنـتَ الـذي أَخْلَفْتَنـي مَـا وَعَـدْتني   وَأَشْـمَتَّ بِـي مَـنْ كَـان فِيـكَ يَلُـومُ[2]

وإن كان المقام مقام غَيبة جيء بضمير الغائب؛ وذلك حين يكون المسند إليه مذكوراً، أو في حكم المذكور؛ **فمن الأول: قول الشاعر:**

بيُمنِ أبـي إسـحاق طالـت يـدُ العـلا   وقامـت قنـاةُ الـدِّين واشـتدَّ كاهلُـهْ

هـو البحـرُ مـن أيِّ النـواحي أتيتَـه   فلجَّتُـه المعـروفُ والـبرُ سـاحلُهْ[3]

ومن الثاني: قوله تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[المائدة: 8]، **أي:** العدل، المفهوم من: اعدلوا".

(ب–وبالعَلَميةِ:) نسبة إلى العَلَم، والعلم: هو: "ما وضع لمعيَّنٍ لا يتناول غيره"[4].

---

(1) ديوان بشار بن برد (ص: 225).

(2) الإيضاح في علوم البلاغة (2/ 10).

(3) مفتاح العلوم (ص: 180).

(4) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (1/ 281).

ويأتي التعريف بالعلمية:

(1- لإحضارِه) -أي: المسند إليه- في ذهن المخاطب **(باسمٍ يَخصُّهُ)** بحيث يكون متميزًا به عما سواه **(؛ نحوُ: فلانٌ فعلَ كذا)** أي: لا غيره، ومنه: قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:1].

(2- وللمدحِ أو الذمِّ، حيثُ أشعرَ العَلَمُ بذلكَ) كما هو الحال في الألقاب والكنى **(؛نحوُ: زينُ العابدينَ فعلَ كذا)** فـ"زين العابدين" مسند إليه، جاء بذلك لمدحه بحسن العبادة **(وكُرْزٌ فعلَ كذا)** والكرز في الأصل: خُرجُ الراعي، ثم صار يطلق على المرء اللئيم، وهو المراد هنا.

(3- أو التلذُّذِ) بذكره ظاهراً، لا مضمرًا **(؛ نحوُ** [1]**:**

.... لَـيْلَايَ مِـنْكُنَّ أَمْ لَيْلَـى مِـنَ الْبَـشَرِ)

وقد كان الأصل أن يقول: أم هي من البشر؛ فالمقام هنا للضمير؛ لتقدم مرجعه، غير أنه عدل إلى ذكر اسمها صريحًا؛ تلذذاً به.

(4- أو التفاؤلِ) من الفأل، وهو: "قول أو فعل يستبشر به"[2]، أو: هو: "انشراح قلب الإنسان وإحسانه الظّنّ، وتوقّع الخير بما يسمعه من الكلم الصّالح

---

(1) [صدرُه:

بِـاللهِ يَـا ظَبَيَـاتِ الْقَـاعِ قُلْـنَ لَنَـا ....

الأكثرون على أن قائله: العرجي: عبد الله بن عمرو بن سيدنا عثمان] قلت: وقيل: هو لمجنون ليلى، وقيل: لذي الرمة، وقيل: للحسين بن عبد الله، وقيل: لبدوي اسمه: الكامل الثقفي.

(2) المعجم الوسيط (2/ 671).

أو الحسن أو الطّيّب"[1] (؛ نحوُ: سرورٌ قادمٌ) فيمن اسمه سرور، فجاء المسند إليه بذلك لإدخال التفاؤل إلى نفس السامع.

(5- أو التطيُّرِ) من الطيرة، والطيرة -بكسر الطاء، وفتح الياء، وقد تسكن- هي: التشاؤم بالشيء. وأصله فيما يقال: التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع، وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر[2]؛ ولهذا كان الصواب تجنب هذا اللفظ، واستعمال غيره مكانه من الألفاظ التي لا تنافي شرعنا الإسلامي؛ كالتحذير، ونحوه، وبعض البلاغيين يجعل مكان التطير التشاؤم، والأمر واحد؛ فقد جاء الشرع بالنهي عن التشاؤم كذلك.

(؛ نحوُ: حَرْبٌ في البلدِ) حرب: اسم علم، وإن كان يقصد الحرب، فمجيء هذا اللفظ بدون آل لا يصلح هنا؛ لكونه نكرة، ولو مثل كما مثل غيره ب: السفاح في البلد؛ لكان أولى.

(ج-وبالإشارةِ:) أي: ويأتي تعريف المسند إليه باسم الإشارة:

(1- لبيانِ) حال المسند إليه من (: البُعدِ، أو القُربِ، أو التوسطِ) نحو: هذا زيد-إذا أريد أنه قريب-، وذاك عمرو-إذا أريد أنه في مرتبة بين القرب والبعد-، وذلك بكر-إذا أريد أنه بعيد-.

---

(1) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (3/ 1046).

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر (3/ 152).

(2 - ولكمالِ التمييزِ) للمسند إليه؛ لأن اسم الإشارة يميز المشار إليه أكمل تمييز، ويحدده أحسن تحديد (؛ نحوُ[1]:

هــذَا ابْــنُ خَيْــرِ عِبَــادِ اللهِ كُلِّهِــمُ هَــذَا التَّقِــيُّ النَّقِــيُّ الطَّــاهِرُ الْعَلَــمُ)

فقد أشار الفرزدق إلى ممدوحه، وكرر الإشارة؛ للدلالة عليه، وتمييزه أكمل تمييز، وفي هذا رد على من تجاهل مكانته.

(3 - وللتعريضِ بغباوةِ المخاطَبِ)"؛ إذ يُشْعِر أحيانًا استخدام اسْم الإشارة بأنّ المخاطَب يحتاج لتمييز المتحدّث عَنْهُ إلى إشارة حسّيَّةٍ، وأنَّه لاَ تكفيه الدلالات الفكريّة"[2].

(؛ نحوُ[3]:

(1) [من كلامِ الفرزدق يمدح زين العابدين بن سيدنا الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا] قلت: هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال الزهري: ما رأيت قرشيًا أفضل من علي بن الحسين، وكان يسمى: زين العابدين؛ لعبادته. وكان حريصًا على العلم؛ فقد كان يدخل المسجد، فيشق الناس حتى يجلس في حلقة زيد بن أسلم. فقال له نافع بن جبير: غفر الله لك، أنت سيد الناس، تأتي تتخطى حتى تجلس مع هذا العبد! فقال علي بن الحسين: العلم يُبتغى ويؤتى ويطلَب من حيث كان. وكان حريصًا على صدقة السر؛ قال شيبة بن نعامة: لما مات عليٌّ وجدوه يعول مائة أهل بيت؛ ولهذا كان يبخَّل؛ لأنه كان ينفق سرًا، ويظن أهله أنه يجمع الدراهم. وقال بعضهم: ما فقدنا صدقة السر حتى توفي علي. (ت سن:94هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ. ينظر: سير أعلام النبلاء (4/ 386) وما بعدها.

(2) البلاغة العربية (1/ 422).

(3) [للفرزدق يفتخر على جرير أبي حزرة حذيفة بن بدر] قلت: اسمه هكذا: جرير بن عطية بن حذيفة الخَطَفي بن بدر الكلبيّ اليربوعي، وكان عفيفًا، وهو من أغزل الناس شعرًا، (ت:110هـ)، ينظر: الأعلام، للزركلي (2/ 119).

(أولئِـــكَ آبَـــائِي فَجِئْنِـــي بِمِـــثْلِهِمْ   إِذا جَمَعَتْنَـــا يَـــا جَرِيـــرُ الْمَجَـــامِعُ)

"والشاهد في البيت هنا: "أولئك آبائي" حيث عرف المسند إليه بالإشارة؛ قصدًا إلى التعريض بغباوة السامع، وأنه لا يدرك إلا المحس لحاسة البصر؛ لأن المشار إليهم غائبون لموتهم، وفي التعريف بالإشارة أيضًا تعظيم للآباء. وهذا سر آخر، ومعلوم أن النكات البلاغية لا تتزاحم"(1).

(د-وبالموصوليةِ:) أي: ويأتي تعريف المسند إليه بإيراده اسمًا موصولاً:

(1- لعدمِ علمِ المخاطبِ بغيرِ الصلةِ) أي: ليس لدى المخاطب علم بشيء من المعرِّفات بالاسم، غير ما في جملة الصلة، فكان الإتيان بالاسم الموصول أمراً لازمًا لأجل المتحدث عنه (؛ نحوُ: جاءَ الذي كانَ معَنا بالأمسِ) أي: كأن المخاطب لا يعرف شيئًا عن الشخص المتحدَث عنه سوى مجيئه بالأمس؛ فلذلك عرَّفه به.

(2- ولزيادةِ التقريرِ) أي: الإثبات والتمكين، وهذا التقرير قد يكون للمسند إليه، وقد يكون للمسند، وقد يكون للغرض الذي سيق لأجله الخطاب (؛ نحوُ: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾[يوسف:23]) "فالغرض المسوق له الكلام هو تقرير نزاهة سيدنا يوسف عليه السلام وعِفته، والتعبير باسم الموصول أدل على هذا الغرض مما لو قال: وراودته زُليخا، أو امرأة العزيز؛ لأن هذا التقدير الأخير يقرر الغرض فقط ولا يزيده تأكيدًا، بينما اشتملت الصلة المعبر عنها

(1) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 189).

بالموصول على ما تفيده هذه الزيادة في التقرير؛ لأنه في بيتها ويمكنه أداء ما طلبت منه، حيث هيأت له كل أسباب التمكن ومع ذلك عف وامتنع، فكان ذلك غاية في نزاهته عن الفحشاء.

ومن منطلق قول البلاغيين: النكات البلاغية لا تتزاحم، يمكننا أن نقول: للتعريف بالموصولية هنا سر ثان يتمثل في التقرير للمسند الذي هو المراودة، وأنها وقعت منها لا محالة؛ لأن وجوده - عليه السلام - في بيتها مع ما لها من سعة السلطان وقوة النفوذ، ومع فرط الاختلاط والألفة؛ دال على وقوع المراودة، وصدور الاحتيال منها.

ويصح أن يكون لتعريف المسند إليه بالموصولية سر بلاغي آخر، وتقرير المسند إليه نفسه الذي هو امرأة العزيز المعبر عنه في الآية باسم الموصول "التي"، وأنها هي بذاتها التي راودته لا امرأة أخرى؛ إذ لو قيل: وراودته زليخا، لم يعلم يقينًا أنها المرأة التي هو في بيتها بخلاف التعبير بالموصول؛ فإنه لا احتمال فيه؛ لأنه معلوم من الخارج أن التي هو في بيتها إنما هي زليخا امرأة العزيز لا غير.

هذا، ويصح أن يكون الغرض للتعبير بالموصول أيضًا استهجان التصريح بالاسم؛ إما لأن العادة جرت على استهجان التصريح بأسماء النساء، وإما لشناعة الفعل المنسوب إليها؛ لأن مَن تقبل على فعل الفاحشة تنفر منها النفوس السليمة، وتأبَى نسبتها إلى زوجها، لا سيما مع كونه من ذوي المكانة والخطر في المجتمع"[1].

---

(1) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 200).

(3- وللتهويلِ) أي: التعظيم، والتفخيم (؛ نحو: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[طه:78]) أي: غطاهم من ماء اليم شيء مهول لا يعلم كنهه إلا الله، فجاء هنا بـ"ما" الموصولة؛ لأن في إبهامها تهويلاً لا يحيط به وصف، فلو قال: غمرهم من الماء مقدار كذا وكذا لما كان فيه من التعظيم الذي تشتمل عليه "ما" الموصولة.

ومثل هذه الآية: قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾[النجم:16]، وقوله: ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾[النجم:54].

(4- ولتمكينِ الخبرِ في الذهنِ) أي: تثبيت الخبر الذي تضمنته الصلة في ذهن السامع، ولاسيما إذا اشتملت على أمر غريب، فيكون هناك شوق لسماع المسند: ما هو؟ وحصول الشيء بعد الشوق إليه أوقع في النفس، كما قيل: "الْمَحْصُولُ بَعْد الطلَب، أَعَزُّ مِن الْمُنْسَاقِ بِلا تَعبٍ"[1] (؛ نحو[2]:

---

(1) تحقيق الفوائد الغياثية (1/ 333).

(2) [من كلام أبي العلاء المعري، واسمه: أحمد بن عبد الله، من أهل القرن الرابع، يشير إلى أمر المعاد الجسماني، كما يرشد إليه قوله بعده:

فاللَّبِيبُ اللَّبِيبُ مَنْ لَيسَ يَغترُّ ... بِكونٍ مَصيرهُ لِلفسادِ]

قلت: "يَقُول: تحيرت الْبَرِيَّة فِي الْمعَاد الجسماني والنشور الَّذِي لَيْسَ بنفساني، وَفِي أَن أبدان الْأَمْوَات كَيفَ تحيا من الرفات، وَبَعْضهمْ يَقُول بِهِ، وَبَعْضهمْ يُنكره، وَبِهَذَا تبين أَن المُرَاد بِالْحَيَوَانِ المستحدث من الجماد لَيْسَ آدم عَلَيْهِ السَّلَام، وَلَا نَاقَة صَالح، وَلَا ثعبان مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَام؛ إِذْ لَا يُنَاسب السِّيَاق. وَقَالَ الإِمَام أَبُو مُحَمَّد بن السَّيِّد البطليوسي حِين شرح سقط الزند فِي هَذَا الْبَيْت: يُرِيد أَن الْجِسْم مواتٌ بطبعه، وَإِنَّمَا يصير حساساً متحركاً باتصال النَّفس بِهِ، فَإِذا فارقته عِنْد الْمَوْت عَاد إِلَى طبعه، فالحياة للنَّفس جوهرية، وللجسم عرضية؛ =

وَالَّـــذِي حَـــارَتِ الْبَرِيَّـــةُ فِيـــهِ حَيَـــوانٌ مُـــسْتَحْدَثٌ مِـــنْ جَمَـــادِ)

فقوله: "وَالَّذِي" مع صلته الغريبة فيه تشويق السامع للخبر، فيقول في نفسه: ما هذا الشيء الذي جعل البرية في ارتباك وحيرة!

(هـ-وبـ" أل"[1]) أي: ويأتي تعريف المسند إليه بالألف واللام:

(1- للإشارةِ إلى الحقيقةِ) من غير نظر إلى الأفراد (؛ نحو: الرجلُ خيرٌ من المرأةِ) أي: حقيقة الرجل خير من حقيقة المرأة، وهذا لا ينفي أن يوجد في أفراد النساء من هي خير من بعض أفراد الرجل.

(2- أو بعضِ أفرادِها) لكن من غير تعيين لفرد منها (؛ نحو: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾[يوسف:13]) فلا يقصد هنا جميع أفراد الذئاب حتى تجتمع على أكله، ولا يقصد ذئبًا معهوداً معينًا يأكله، فكلا الأمرين غير وارد، وإنما المقصود ذئب مبهم من قطيع الذئاب.

(3- أو للعهدِ الذِّكْري؛ (نحو: ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ [النور:35]...إلخ) فقد ذكر المصباح أولاً منكراً، ثم ذكره معرفًا بالألف واللام؛ لبيان أن هذا المصباح الثاني هو المصباح الأول؛ فـ"أل" فيه للعهد الذكري (، ونحو: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى﴾[آل عمران:36]، أي: الذكر المكنَى عنه بـ"ما" في قولها:

= فَلذَلِك يعْدم الْجِسْم الْحَيَاة إِذا فارقته النَّفس، وَلَا تعدمها النَّفس"، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (1/ 136).

(1) لبيان أنواع "آل" ومعانيها ينظر ما ذكرناه في عون البديع(ص:103).

﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾[آل عمران:35]) فقولها: "الذكر" مسند إليه، وقد عرف بـ أل، ولم يسبق له ذكر صريح، بل كني عنه بلفظ: "ما" في قوله: "ما في بطني" ، وإن كان" ما" يشمل الذكر والأنثى، لكن خدمة بيت المقدس كانت وقفًا على الذكور فقط. فالإتيان بالذكر معرفًا للإشارة إلى معهود مذكور، ولكن بالكناية عنه لا بالتصريح (ونحو: هـذا الرجلُ فاضلٌ) أي: المعهود، والمقصود فرد من أفراد هذه الحقيقة، وأل هنا تحتمل أن تكون للعهد الذهني، أي: المعهود في الذهن.

(و-وبالإضافة:) أي: ويأتي تعريف المسند إليه بإضافة النكرة إلى معرفة، وتكون تلك الإضافة:

(1- لتعظيمِ المضافِ) بذكر مضاف إليه يحتوي على شأن من شؤون العظمة (؛ نحو: عبدُ السلطانِ جالسٌ) فقد عظم شأن العبد هنا لكونه أضيف إلى السلطان، فاحترامه من احترام السلطان، وأحسن من هذا: الإضافة إلى الله تعالى؛ كقوله عز اسمه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾[الفرقان:63]، وقوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ﴾[الجن:19]، فالإضافة إلى الله تشريف ما بعده تشريف.

وللقاضي عياض قوله:

وممـا زادني شـرفًا وتيهًـا ... وكـدتُ بأخمـصي أطـأ الثريَّـا

دخولي تحتَ قولك: (يا عبادي) ... وأنْ صيرتَ أحمد لي نبيا[1]

(1) المفاخرة بين الماء والهواء (ص: 46).

(أو) لتعظيم **(المضافِ إليه؛ نحو: عبدي فعلَ كذا)** فقد عظم نفسه بأن له شأنًا حين كان له عبد، ومثله أن تقول: حرسي فعلوا كذا.

(2- أوِ التحقيرِ كذلكَ) أي: للمضاف، وللمضاف إليه؛ فالتحقير للمضاف **(؛نحو: ابنُ الحجامِ حاضرٌ)** فقد ذكر الحاضر مضافًا إلى أبيه الحجام احتقاراً له.

هكذا مثل المؤلف، وهو على عادة العرب من احتقار مهنة الحجامة، مع أنها من السنن النبوية والطبية، بل في عصرنا أصبحت الحجامة تجرى بطريقة صحية بعيدة عن مص الدم بالفم.

بل قد ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**يَا بَنِي بَيَاضَةَ، أَنْكِحُوا أَبَا هِنْدٍ، وَانْكِحُوا إِلَيْهِ**) وَكَانَ حَجَّامًا[1] **(وضاربُ زيدٍ غلامٌ، وغير ذلك)** فقد احتقر زيداً الرجل الكبير-الذي هو المضاف إليه- بكونه مضروبًا من غلام شأنه أحقر من أن يضرب الكبير، وجاء هذا المعنى من إضافة ضارب إلى زيد.

أغراض التنكير:

(والتنكير:) أي: تنكير المسند إليه، **ويكون لأغراض:**

(1- للنوعيَّةِ) أي: القصد إلى نوع من أنواع منكر غير معين **(؛ نحو: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾**[البقرة:7]**)** فـ" غِشَاوَةٌ" مسند إليه جاء منكراً، **والمراد:** نوع من أنواع الأغطية، وهو غطاء التعامي عن آيات الله، ولو عرَّفه فقال: "الغشاوة" لانصرف الذهن إلى الغطاء المعروف، وليس مرادًا، ثم أيضًا

---

(1) **رواه** أبو داود، وابن ماجه، وابن حبان، وغيرهم، وإسناده حسن.

ليس المقصود فرداً من أفراد الغشاوة المخالف للمثنى والجمع فيكون المعنى: غشاوة واحدة لا غشاوتان، ليس الأمر كذلك؛ لأن الواحد لا يغطي الأبصار وهي متعددة، بل المراد النوع الذي يشمل المفرد والمثنى والجمع.

ويرى بعض البلاغيين أن التنكير في الآية للتعظيم؛ لبيان أن تلك الغشاوة ليست كغيرها، وكما تقدم أن النكات البلاغية لا تتزاحم.

(2- وللتعظيمِ، نحو: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:2] **) أي:** هدى عظيم قد بلغ درجة في العظم لا تدرك، وزاد الأمر عظمًا الإشارةُ إليه بلفظ البعيد "ذلك" التي تدل على بعد مكانته وسموها في العظم.

(3- وللتحقيرِ) أي: تصغير الشأن **(؛نحو: ما زيدٌ إلا شيءٌ لا يُعبَأُ به) أي:** رجل لا شأن له. وقوله: (لا يعبأ به): يعني: لا يبالى به ولا يعدّ شيئًا.

ومن هذا الغرض: قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[الأنبياء:46]، **(وقد اجتمعا) أي:** التعظيم، والتحقير **(في قوله**[1]**:**

لَـهُ حَاجِـبٌ عَـنْ كُـلِّ شَـيْءٍ يَـشِينُهُ ... وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبُ)

---

(1) [**أي: ابن أبي السِّمط**] **قلت:** اختلفت المصادر في اسم قائله؛ فقيل ما تقدم، **وقيل:** لمروان بن أبي حفصة، **وقيل:** لأبي الطمحان القيني مولى ابن أبي السمط.

وقبل الشاهد قوله:

فَتـى لَا يُبَالِي المدلجون بنوره ... إِلَى بَابه أَنْ لَا تضيء الْكَوَاكِب

وبعده:

أَصمّ عَن الْفَحْشَاء حَتَّى كَأَنَّهُ ... إذا ذكرت فِي مجْلِس الْقَوْم غَائِب

فقد ذكرت كلمة" حاجب" في البيت مرتين منكرة؛ فتنكير "حاجب" الأولى للتعظيم، أي: له حاجب عظيم عن كل أمر يعيبه، وتنكير "حاجب" الثانية للتحقير، **أي**: وليس له حاجب ما يحجبه عن طالب المعروف؛ لكرمه، فالحاجب الأول معنوي، والحاجب الثاني حسي.

(4- وللتكثيرِ) أي: أن ذلك الشيء كثير، حتى إنه لا يحتاج إلى تعريف **(؛ نحو: لفلانٍ مالٌ) أي**: كثير، **ومنه: قوله تعالى**: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾[القلم:3].

(5- وللتقليلِ، نحو: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ﴾[آل عمران:15]) "**أي**: وشيء ما من رضوانه أكبر من ذلك كله؛ لأن رضا الله سبب كل سعادة وفلاح؛ ولأن العبد إذا علم أن مولاه راضٍ عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعيم، وإنما تهنأ له برضاه، كما إذا علم بسخطه تنغصت عليه، ولم يجد لها لذة وإن عظمت"[(1)].

(أو غير ذلك) المتقدم ذكره من الأغراض؛ كالجهل بما يعرَّف به المسند إليه، وعدم قصد التعيين لغرض ما، وإرادة الإطلاق وعدم الحصر.

ثالثًا: التقديم والتأخير:

التقديم:

يذكر البلاغيون للتقديم دواعي، لكنها في كل الأحوال ترجع "**إلى أمرين رئيسين**:

---

(1) الإيضاح في علوم البلاغة (2/ 37).

الأمر الأول: ما يفيد زيادةً في المعنى وزيادةً في جمال اللفظ، وهذا غاية ما يعتني به البلغاء في هذا المجال.

الأمر الثاني: ما يفيد زيادةً في أحدهما فقط، ويدخل هذا أيضاً ضمن مقاصد البلغاء.

أمّا ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير فلا يهتم له البلغاء، وأمّا ما يختلُّ به المعنى أو يفقد عنصراً من عناصر جمال اللّفظ فيتجافون عنه وينفرون منه"[1].

(وأما التقديمُ:) للمسند إليه:

(1- فلكونِه الأصلَ، ولا صارفَ عنه)؛ كتقديم الفاعل على المفعول، والمبتدأ على الخبر، وصاحب الحال عليها؛ لأن المسند إليه هو المحكوم عليه، ولابد من معرفته قبل الحكم عليه، ولا يعدل عن هذا الأصل إلا لنكتة.

(2- ولتعجيلِ المسرَّةِ) إن كان في التقديم ما يتفاءل به السامع؛ لأنه إذا قرع سمعه في ابتداء الكلام ما يشعر بالسرور هش له وفرح به **(؛ نحو: سرورٌ في دارِكَ)**.

(3- (أو) لتعجيل (المساءةِ) إن كان المقصود إلقاء ذلك الخبر على من يراد إساءته؛ لكونه عدواً، أو مستحقًا للمساءة **(؛ نحو: حَرْبٌ في بلدِكَ)**، **ونحو:** القصاص صدر في حقك. لمن كان قاتلاً.

(1) البلاغة العربية (1/ 363).

(4- وللتشويقِ للمسند)؛ لوجود أمر غريب في المسند إليه يشوق إلى المسند (؛ نحو: وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ ... إلخ) وقد تقدم البيت، فقوله: (وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ) يجعل السامع يشتاق إلى معرفة ما الشيء الذي حارت البرية فيه!

(5- و)التشويق (للمسندِ إليه) إذا كان في المسند طول يشوِّق السامع إلى المسند إليه (؛ نحو[1]:

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا ... شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ والْقَمَرُ)

---

(1) [لمحمد بن وُهيب الحِميري من شعراء الدولة العباسية، يمدح المعتصم بن الرشيد] قلت: هذا الشاهد من أبيات نال بها الشاعر المذكور جائزة أبي إسحاق المعتصم من بين الشعراء، يقول:

ثَلَاثَة تشرق الدُّنْيَا ببهجتها ... شمس الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاق وَالْقَمَرُ
فالشمس تحكيه فِي الْإِشْرَاق طالعةً ... إِذا تقطَّعَ عَن إِدْرَاكهَا النظرُ
والبدرُ يحكيه فِي الظلمَاء منبلجًا ... إِذَا استنارت لياليه بِهِ الغُررُ
يَحْكِي أفاعيلَهُ فِي كل نائبةٍ ... الغيثُ وَاللَّيْث والصمصامة الذَّكرُ
فالغيث يَحْكِي نَدَى كفَّيْه منهمرًا ... إِذا استهلَّ بصَوْب الديمةِ المطرُ
وَرُبمَا صالَ أَحْيَانًا على حنقٍ ... شبيهُ صولتِهِ الضرغامة الهَصِرُ
والهِندُوانيُّ يَحْكِي من عزائمهِ ... صريمةَ الرَّأْي منهُ النقض والمرَرُ
وكلُّهَا مشبهٌ شَيْئًا على حدةٍ ... وَقد تخَالف فِيهَا الفعلُ والصُّوَرُ
وأنتَ جامعُ مَا فيهنَّ من حسنٍ ... فقد تكَامل فِيك النفْع والضررُ
فالخلْقُ جسمٌ لَهُ رأسٌ يدبِّرُهُ ... وأنتَ جارحتَاهُ السمعُ والبصر

ينظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (1/ 216).

فقد قدم المسند إليه وهو: "ثلاثة" وهو لفظ عددي مبهم، واشتمل المسند إليه على شيء يشوق السامع إلى معرفة ما هذه الثلاثة التي تضيء الدنيا بسببها، فحين يعرف السامع هذه الثلاثة بعد إبهامها والتشويق إليها تتمكن في ذهنه وتستقر.

ومن هذا: حديث: (منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا)[1].

(6- (و)يأتي تقديم المسند **(لتخصيصِ المسندِ بالمسندِ إليه، نحو: ﴿لا فِيهَا غَوْلٌ﴾**[2][الصافات:47]. **أي: بخلاف خمورِ الدنيا) فقوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾** هذا مسند؛ لأنه شبه جملة متعلق بمحذوف خبر مقدم، وقوله: ﴿غَوْلٌ﴾ مسند إليه؛ لأنه مبتدأ مؤخر، وقد قدم المسند على المسند إليه لإفادة التخصيص؛ لأن تقديم ما حقه التأخير يفيد ذلك، **والمعنى**: أن نفي الغول مخصوص بخمر الجنة، بخلاف خمر الدنيا.

"**ولو قيل**: لا غول فيها؛ لأفاد ذلك مجرد نفي الغول عن خمر الجنة دون

---

(1) **رواه** البزار بإسناد صحيح.

(2) [**ما يغتال العقول، أي: يفسدها**] **قلت**: قال الزبيدي: "**والغَوْلُ**: الصُّداعُ، وَقيل: السُّكْرُ، وَبِه فُسِّرَ قولُه تَعَالَى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هم عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ **أَي**: لَيْسَ فِيهَا غائلَةُ الصُّداع؛ لأَنَّه تَعَالَى **قَالَ فِي موضِعٍ آخرَ**: ﴿لَا يُصَدَّعونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفونَ﴾، **وَقَالَ أَبو عُبيدَة: الغَوْلُ**: أَن تَغتالَ عُقولَهُم، **وأَنشَدَ**:

وَمَا زالَتِ الخَمْرُ تَغتالُنا وتَذْهَبُ بالأَوَّلِ الأَوَّلِ"

تاج العروس (30/ 127).

تعرض لخمور الدنيا"[1].

(7- أو) يأتي تقديم المسند **(لإفادةِ أنه خبرٌ من أولِّ الأمرِ)** وليس وصفًا (؛ **نحو**[2]:

لَـــهُ هِمَـــمٌ لاَ مُنْتَهـــى لِكِبَارِهَـــا ... وَهِمَّتُــهُ الــصُّغْرَى أَجَــلُّ مِــنَ الــدَّهْرِ)

فقوله: (له) جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم، وهو المسند، وقوله: (همم) مبتدأ مؤخر، وهو المسند إليه، وقد قدم المسند عليه فقال: له همم؛ لإفادة أنه خبر من أول وهلة؛ ولو قال: همم له لا منتهى لكبارها؛ لتوهم أن الجار والمجرور نعت مما يستدعي الخبر؛ لشدة حاجة النكرة إلى النعت حتى يكون مسوغًا للابتداء بها، وهذا لا يريده الشاعر، إنما يريد المدح بأن له هممًا عظيمة أصغرها أكبر من همة الدهر.

(8- أو) يأتي تقديم المسند **(للتفاؤلِ)** فيقدم لإدخال السرور على السامع (؛ **نحو:**

سَـــعِدَتْ بغُـــرَّةِ وَجْهِـــكَ الأَيَّـــامُ ... وتَزَيَّنَـــتْ بِلقَائِـــكَ الأَعْـــوَامُ)

---

(1) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 299).

(2) [**قائله:** حسان بن ثابت، يمدح النبي ﷺ] **قلت:** وقيل: البيت لبكر بن النطاح الْحَنَفِيّ.

وبعد بيت الشاهد:

لــه راحــة لــو أن معــشار جودهــا ... على الـبر صـار الـبر أنـدى مـن البحـر

ولــو أن خلــق الله في مَــسك فــارسٍ ... فبــارزه كــان الخلــيَّ مــن العمــر

ينظر: الحماسة المغربية (1/ 285)، الكامل في اللغة والأدب (3/ 95).

فقوله: (سعدت) مسند، وقد قدم على المسند إليه(الأيام) لإدخال المسرة على المخاطب، وكذلك (تزينت) مع (الأعوام).

وهذا البيت لعله في تهنئة، فيكون من حسن المطلع، وجميل الابتداء مع المخاطب بذلك.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ صَوْتًا، فَأَعْجَبَهُ، فَقَالَ: (**قَدْ أَخَذْنَا فَأْلَكَ مِنْ فِيكَ**)[1].

وعنه قَالَ: (**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعجبُهُ الفألُ، ويَكرهُ الطِّيَرةَ**)[2].

تنبيه:

لم يتحدث المؤلف عن التأخير للمسند أو المسند إليه؛ اكتفاء بالحديث عن التقديم؛

إذ إنه يؤتى بالمسند مؤخرًا للأغراض المتقدمة في تقديم المسند إليه، وكل ما اقتضى تقدم المسند إليه -من كونه الأصل وغيره- اقتضى تأخير المسند.

صور مجيء المسند:

(ويؤتى بالمسندِ:

(1- اسمًا مفردًا) والمفرد:-عند أهل المعاني- ما ليس جملة ولا شبهها (؛

---

(1) **رواه** أحمد، وأبو داود، وغيرهما، وهو صحيح.

(2) **رواه** ابن ماجه، وابن حبان، وغيرهما، وهو صحيح.

لإفادة الثبوت) والدوام واللزوم؛ **كقول الشاعر:**

لاَ يألَفُ الدِّرْهمُ المضْرُوبُ صُرَّتَنَا لكِـنْ يَمُـرُّ عَلَيهَـا وَهْـوَ منطلـقُ

فهذا "الشاعر يمدح قومه بالكرم والعطاء، فهم لا يبقون من المال بقية، وصرتهم لا تألف الدرهم، وإنما يمر عليها الدرهم منطلقًا ومندفعًا إلى الخيرات. مثل هذا المقام يلائمه التعبير بالاسم: منطلق؛ لأنه يفيد انطلاق الدرهم انطلاقًا ثابتًا ومستمرًا، ولو قال: يمر عليها وهو ينطلق، لكان المعنى: أن انطلاقه يتجدد، وهذا يعني: أنهم يمسكونه زمنًا ما"[1].

(2- و)يأتي المسند **(فعلاً؛ لإفادةِ أحدِ الأزمنةِ الثلاثةِ) وهي:** الماضي، والحال، والمستقبل؛ نحو: صلى، يصلي، صلِّ.

قال القزويني: "وأما كونه فعلاً فللتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة، على أخصر ما يمكن، مع إفادة التجدد"[2].

فقوله: "على أخصر ما يمكن"؛ لأن دلالة الفعل على الزمان باعتبار لفظه من غير زيادة، أما الاسم المشارك للفعل في بعض شؤونه كاسم الفاعل؛ فإنه يدل على الزمن، ولكن بقرينة زائدة؛ كلفظة: الآن - أو أمس - أو غداً.

فمثلاً دلالةِ الفعل: """قام" على الزَّمانِ الماضي باختصار؛ فإنَّه لو قال: "زيدٌ قائمٌ في الزَّمان الماضي" أفادَ تعيين الزَّمان؛ لكن بتَطْويل"[3]، **قال ابن**

---

(1) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 304).

(2) الإيضاح في علوم البلاغة (2/ 113).

(3) تحقيق الفوائد الغياثية (1/ 308).

السبكي: "قولك: زيد قام، يدل على وقوع قيامه في الماضي مع الاختصار؛ فإنه يغني عن قولك: قائم في الماضي"[1].

وقوله: "مع إفادة التجدد "المراد بالتجدد في الأفعال: حصول الفعل بعد عدمه، وأما الدلالة على الاستمرار والتجدد الذي بمعنى حصول الأمر شيئًا فشيئًا فهذا أمر زائد يعرف من القرائن؛ فقد يأتي في الفعل الماضي؛ **كقوله تعالى:** ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[النساء:92]، وقد يأتي في الحال، أو المستقبل.

ولنتأمل قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ﴾ [الذاريات:25]، فالملائكة حيوا بجملة فعلية، والتقدير: نسلم سلامًا؛ لأن الفعلية من شأنها أن تدل على التجدد والحدوث، ومن شأن الاسمية أن تدل على الثبوت واللزوم. وأما إبراهيم عليه السلام فقد رد أحسن رد حين أجاب بجملة اسمية فقال: ﴿سَلامٌ﴾ أي: عليكم سلام، وفي شريعتنا أن إلقاء السلام مستحب، ولكن رده واجب، **وقد قال الله تعالى:** ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[النساء:86].

(3 - و) يأتي المسند **(جملةً اسميةً؛ لتقويةِ الحكمِ) نحو:** زيد مكرم الضيفان؛ وسر التقوية أن في هذا التركيب تكرارًا؛ فكلمة "مكرم" مسندة مرتين؛ مرة إلى الضمير الذي هو فاعل اسم الفاعل، أي: مكرم هو، ومرة إلى الاسم الظاهر وهو الضيفان.

---

(1) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/ 315).

وكما يكون هذا في الجملة الاسمية؛ يكون كذلك في الجملة الفعلية؛ نحو: زيد قام، فزيد قد ذكر مرتين: مرة بالاسم الصريح، وأخرى بضميره؛ لأن التقدير: زيد قام زيد؛ لأن في قام الأول ضميراً مستتراً.

وهذه التقوية جاءت من تكرار الإسناد إلى المسند إليه" زيد"؛ مرة بالاسم -وهو الضمير المستتر الفاعل للفعل قام- ومرة بالفعل -قام زيد-.

(4- وظرفًا؛ لاختصارِ الفعلية)؛ نحو: زيد عندك، والتقدير: زيد استقر عندك. أو جاراً ومجروراً (؛**نحو**: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[الفاتحة:2]) **والتقدير**: الحمد استقر لله، فالتعبير بالظرف، أو الجار والمجرور أخصر من التعبير بالجملة؛ فلهذا اختصر الجملة بشبهها.

رابعًا: الإتباع:

الإتباع: مصدر أتبع، من أتبع الشيء إذا تلاه.

وفي الاصطلاح النحوي يعرف التابع بأنه: "هو المشارك ما قبله في إعرابه الحاصلِ والمتجدد غير خبر"[(1)].

"فـ (المشارك ما قبله): يشمل التّابع وغيره. **وقوله**: (الحاصل والمتجدّد): يخرج خبر المبتدأ، والحال من المنصوب"[(2)].

والتوابع عند النحاة بالإجمال أربعة: النعت، والعطف، والتوكيد والبدل،

(1) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (2/ 945).

(2) شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك (ص: 350).

وبالتفصيل تزداد على ذلك بانقسام العطف إلى عطف نسق، وعطف بيان، والتوكيد إلى لفظي ومعنوي، والبدل إلى بدل كل من كل، وبدل بعض من كل، وبدل اشتمال، وبدل غلط.

قال ابن مالك:

يَتْبَعُ فِي الإِعْرَابِ الأَسْمَاءَ الأُوَلْ ... نَعْتٌ وَتَوْكِيدٌ وَعَطْفٌ وَبَدَلْ(1)

(وأما الإتباعُ:) للمسند إليه فهو على أقسام:

(أ-فالنعتُ:) فينعت المسند إليه:

(1- للتخصيصِ) له إذا كان نكرة (؛ **نحو:** ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾[غافر:28]) فـ" رجل" مسند إليه، وقد وصف بثلاثة أوصاف؛ بمفرد: ﴿مُؤْمِنٌ﴾، وبشبه جملة ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، وبجملة فعلية﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾.

(2- وللتوضيحِ) إذا كان المنعوت معرفة (؛**نحو:** ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[البقرة:2-3] **إلخ)** ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:3].

فقد وُصف المتقون-واللفظ لفظ معرفة-بالإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله.

---

(1) ألفية ابن مالك (ص: 44).

والفرق بين التوضيح والتخصيص: أن التوضيح لرفع الاشتراك اللفظي في المعارف بالكلية؛ لجعلها أكثر تحديداً وتعريفًا؛ نحو جاء الرجل الكريم، فالرجل معروف، والكريم حدد بالوصف من هو.

وأما التخصيص فهو لتقليل الاشتراك المعنوي "العموم" في النكرات وذلك حين يقيدها بوصف ما؛ نحو جاء رجل كريم؛ فإن رجلاً قبل الوصف بالكرم يحتمل الكرم وغيره، فرجل عام، وكريم خصصه من بين غيره.

(3 - وللمدحِ)؛ نحو: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:2]، فـ"رب العالمين" نعت جاء للمدح.

(4 - وللذمِّ)؛ نحو: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فـ"الرجيم" نعت جاء للذم.

(5 - وللترحُّمِ)؛ نحو: اللهم الطُفْ بعبادك الضعفاء، فـ" الضعفاء" نعت جاء لاسترحام الله تعالى لعباده الموصوفين بالضعف.

(ب-والتأكيد:): ويأتي تأكيد المسند إليه:

(1 - لدفعِ توهمِ المجازِ) التوهم: الظن، والتخيل **(أو السهو؛ نحو: جاءَ الأميرُ نفسُه) أي**: أن تأكيد المسند إليه قد يأتي لغرض دفع توهم المجاز بأن يقوم المضاف إليه مقام المضاف؛ **نحو**: جاء الأمير، فربما كان المقصود: جاء رسول الأمير، أو نائب الأمير، فمتى أتى التوكيد المعنوي" نفسه، أو عينه" ذهب ذلك التوهم إلى مجيء ذات الأمير.

هكذا ذكروا، وإن كان في الأمر نظر؛ إذ الأصل حمل الأمر على الحقيقة أولاً حتى تقوم قرينة صارفة إلى المجاز؛ وعلى ذلك التنظير الذي ذكروه اتكأ من أول الصفات، حين حمل الأمر على المجاز ابتداءً، **في نحو قوله تعالى:** ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر:22].

وقد يأتي التوكيد لدفع توهم السهو؛ فإذا قلت: جاء الأمير، قد يظن السامع أنك ساهٍ وأنك تقصد رسول الأمير، فعندما تقول: جاء الأمير نفسه؛ دفعت توهم السهو.

(2- أو) لدفع (توهمِ عدمِ الشمولِ، نحو: ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر:30]) فلو قيل: فسجد الملائكة، بدون توكيد؛ لتوهم أن بعض الملائكة هو الذي سجد، وأنك أطلقت لفظ الملائكة وتريد بعضهم، من إطلاق لفظ كل وإرادة بعض بطريق المجاز المرسل، أو أنك جعلت السجود الواقع من بعض الملائكة واقعًا من جميعهم، من باب إسناد فعل بعضهم لكلهم على سبيل المجاز العقلي؛ نحو قولك: قتل زيداً بنو فلان، والقاتل له بعضهم، لكن لما جاء قوله: ﴿كُلُّهُمْ﴾ دفع ذلك التوهم كله.

(ج-وعطفُ البيانِ:) عطف البيان هو: التابع الجامد المشبه للصفة في إيضاح متبوعه وعدم استقلاله"[1].

أي: ويأتي الإتباع بعطف البيان وراء المسند إليه:

(1) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (3/ 218).

(1- للإيضاحِ) للمسند إليه (؛نحو:

أَقْسَمَ بِاللهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ ....)[1]

فـ "أبو حفص" مسند إليه، وفيه معنى العموم بهذه الكنية التي يشترك فيها أكثر من شخص، فلما جاء عطف البيان " عمر" وضح هذا المكنى بهذه الكنية وخصه بها؛ لأن اسم عمر أشهر من كنيته؛ فلذلك كانت عطف بيان.

(2- وللمدحِ؛ نحو: ﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾[المائدة:97])

"فالبيت الحرام عطف بيان للكعبة، قصد به المدح، والدلالة على عظم شأنها لا الإيضاح؛ لأن الكعبة أظهر من نار على علم، فليست في حاجة إلى إيضاح وبيان، وكان البيت الحرام مدحًا وتعظيمًا؛ لأن فيه دلالةً على أن هذا البيت

---

(1) قلت: وبعد الشاهد قوله:

مَا مَسَّهَا مِنْ نَقَبٍ وَلاَ دَبَرْ فَاغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فَجَرْ

وقد قالها أعرابي، و"يروى أن هذا الأعرابي جاء إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: إن أهلي ببادية بعيدة، وإني على ناقة دبراء عجفاء نقباء، واستحمله فظنه كاذبًا فلم يحمله، فانطلق الأعرابي فحل ناقته، ثم استقبل البطحاء، وجعل يقول الأبيات، وعمر رضي الله عنه مقبل من أعلى الوادي، فجعل إذا قال: اغفر له اللهم إن كان فجر، قال: اللهم صدق، حتى التقيا، فأخذ بيده وقال له: ضع عن راحلتك فوضع فإذا هي كما وصف، فحمله على بعير، وزوده وكساه.

والنقب: رقة الأخفاف، والدبر: قرحة الدابة"، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (1/ 279).

وقد ذكر ابن حجر أن هذا الرجل هو: عبد الله بن كيسبة -بفتح الكاف بعدها تحتانية ساكنة ثم مهملة مفتوحة ثم موحدة- النهدي. الإصابة في تمييز الصحابة (5/ 75).

موصوف بالحرمة والاحترام، والمنع من كل امتهان وانتهاك"[1].

(د–والبدلُ:) وهو أربعة أقسام كما تقدم، **فيأتي البدل من المسند إليه:**

(لتحقيقِ الإسنادِ) أي: لزيادة تمكينه وتثبيته في ذهن السامع؛ لأن البدل صورة من صور التوكيد، وهو على نية تكرار العامل **(؛ نحو: جاءَ القومُ أكثرُهم)** هذا بدل بعض من كل، **وقوله:** "أكثرهم" في بيان ما في " القوم" من إجمال **(ونفعني الأستاذُ علمُه)** وهذا بدل اشتمال، لا علاقة له بالكلية والجزئية كما في سابقه– بدل بعض من كل– وإنما العلاقة في بدل الاشتمال ما يربطه بالمبدل منه من الصفات.

(هـ–وعطفُ النَّسقِ؛ لإفادةِ معاني حروفِ العطفِ المشهورةِ).

يلجأ البلاغي لاستخدام عطف النسق لمقاصد بلاغية يقصدها، وذلك باستخدام حروف النسق، كل حرف في الموضع الذي يناسبه، **وهي كالآتي:**

1 – الواو، وتأتي لمطلق الجمع.

تقول: جاء زيد وعمرو. حيث أفادت الواو تفصيل المسند مع الإيجاز؛ وذلك عندما أفادت الواو اشتراك زيد وعمرو في المجيء، وفصلت المسند إليه، وأغنت عن قولك: جاء زيد وجاء عمرو.

2 –**الفاء**، وهي للترتيب مع التعقيب.

---

(1) البلاغة 2 – المعاني – جامعة المدينة (ص: 235).

تقول: جاء زيد فعمرو، فقد أفادت الفاء تفصيل المسند وهو المجيء، مع الإيجاز-كما تقدم- والإنباء بالتعقيب؛ إذ المراد جاء زيد وجاء عمرو بعده مباشرة.

3-**ثم،** وهي للترتيب مع التراخي.

تقول: جاء زيد ثم عمرو. فقد أشارت " ثم" أن بين المجيئين وقتًا.

4-**بل،** وهي للإضراب، وصرف الحكم عن محكوم له إلى آخر.

تقول: ما جاء زيد بل عمرو. فقد أفادت " بل" نفي المجيء عن زيد وصرفه إلى عمرو.

5-**لكن،** وهي للاستدراك، وذلك بأن تصرف الحكم مما قبلها لما بعدها.
تقول: ما جاء زيد لكن عمرو.

6-**حتى،** وهي للتدرج من الأعلى للأدنى، ومن الأدنى للأعلى.

قال الشاعر:

قهرناكمُ حتى الكُماةَ فأنتمُ ... تهابوننا حتى بَنِينا الأصاغرا

حيث ارتفع بقهرهم إلى أعلاهم حتى الكماة، ثم انخفض بهيبتهم إلى ما لا يخيف: حتى بنينا الأصاغر، وهذا معنى جميل وتموج رائع؛ إذ بدأ بالأدنى مرتفعًا بالقهر حتى انحدر بالإخافة منتهيًا إلى أدنى ما يمكن أن يُخيف[1].

---

(1) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 239).

7- لا، وهي تأتي لرد السامع عن الخطأ في الحكم إلى الصواب.

تقول: جاء زيد لا عمرو. فقد أفادت " لا" دفع توهم السامع كونهما جاءا معًا، أو الذي جاء عمرو، وليس زيدا.

8- أو، وترد لمعانٍ متعددة، منها: التشكيك؛ **كما في قول الشاعر:**

وقد زعمتْ ليلى بأنيَ فاجرٌ ... لنفسي تُقاها أو عليها فجورُها

فقد عطف بـ"أو" ليشكك السامع، وعندئذ ينظر في أمره ويتأمل حتى يصل إلى الخبر اليقين، ويعرف: أفاجر الشاعر أم تقي؟

وقد يراد به الإبهام؛ استمالةً للمخاطب، وترغيبًا له في الحق والاهتداء كما **في قوله تعالى:** ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[سبأ: 24].

ومنه قول الشاعر:

نَحنُ أَو أنتُمُ الأُلى أَلِفوا الـ ... ـحقَّ فَبُعْدًا للمبطِلينَ وَسُحْقَا

فقد استخدمت "أو" للإبهام، فلا يواجه الضال بضلاله، فيكون في هذا تنفير له من قبول الحق والهداية(1).

(1) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 239). بتصرف.

أحوالُ متعلقات الفعلِ

الأحوال: الصفات، **والمتعلقات**: جمع متعلق، وفي لام "متعلقات" **وجهان**: أنها بكسر اللام، **أي**: أحوال الأمور المتعلقة بالفعل، فالفعل يقال فيه: متعلِّق، والمفعول متعلَّق أي: متشبث، وهذا هو الأحسن. **ووجه أولويته**: أن المفاعيل وما ألحق بها معمولة، والفعل عامل فيها، وكون المعمول لضعفه متعلقًا أنسب؛ لأن المتعلق هو المتشبث وهو أضعف من المتشبث به، فالتعلق هو التشبث، والمتشبِّث –بالكسر– هو المعمول الضعيف، وبالفتح هو العامل القوي، فهذا كما يقال: الجار والمجرور متعلق بكذا.

أو أنها بفتح اللام؛ لوجهين: الأول: أن الحدث الذي يدل عليه الفعل يتعلق بها، فهي اسم مفعول.

والوجه الثاني: أن الفتح جائز كالكسر؛ لأن كلاً من الفعل والمفعول متعلق بالآخر.

يقول عبد القاهر: "وأما تعلق الاسم بالفعل فبأن يكون فاعلًا له، أو مفعولًا مطلقًا، أو مفعولًا به، أو ظرفًا، أو مفعولًا معه، أو له، أو بأن يكون منزلًا من الفعل منزلة المفعول؛ وذلك في خبر كان وأخواتها، والحال، والتمييز، ومثله الاسم المنتصب على الاستثناء"، وهذا يرجح كسر اللام".

ويقول السكاكي: "اعلم أن للفعل وما يتعلق به اعتبارات..." وهو أيضًا يرجح الكسر.

ويُقْصَدُ بمتعلقات الفعل: المفاعيل، وشبهها؛ المفعولُ به، والجارُ والمجرور، والظّرف، والمفعولُ المطلق، والمفعولُ معه، والمفعولُ لأجله، والحالُ، والتمييزُ.

والمقصود من هذا الباب: بيان حكم أحوالها: من ذكر وحذف، وتقديم وتأخير، ونحو ذلك.

وحكم أحوال معمولات ما يعمل عمل الفعل - كاسم الفاعل - كحكم معمولات الفعل، وإنما اقتصر في الترجمة على الفعل لأصالته في العمل[1].

(يُذكرُ المفعولُ مع الفعل؛ لإفادة وقوعِ الحدثِ عليه)؛ نحو: أكرمت زيداً، وهذا في المفعول به **(أو فيه)؛ نحو**: كتبت اليوم، والكتاب عندي، وهذا في ظرفي الزمان، والمكان **(أو لأجلِه، مثلاً)؛ نحو**: زرتك إكرامًا لك، وهذا في المفعول من أجله.

ويجري الأمر كذلك في بقية المفاعيل؛ نحو: حفظت العلم حفظًا، واستوى الماء والخشبة، وصلى زيد خاشعًا، وأنا أكثر منك حرصًا.

(ويؤخرُ) المفعول **(؛ لأنه الأصلُ)** فالترتيب المنطقي يقتضي تقديم: الحدث، وبعده المحدث، ثم من وقع عليه الحدث؛ نحو: أكرم زيد عمْرًا.

(وقد يقدَّمُ:) المفعول على عامله لأغراض:

---

(1) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (2/ 176)، البلاغة العربية (1/ 381)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/ 371)، حلية اللب المصون (126).

(1 - **للتخصيصِ**) **أي**: لتخصيص المتأخر بالمتقدم (؛ **نحو**: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:5]) **قال القزويني**: "والتخصيص في غالب الأمر لازم للتقديم؛ ولذلك يقال في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾ **معناه**: نخصك بالعبادة، لا نعبد غيرك، ونخصك بالاستعانة لا نستعين غيرك"[1].

(2 - **أو لرعايةِ الفاصلةِ**) **وهي**: الكلمة الأخيرة في المقطع؛ لأن مراعاتها يحدث صوتًا حسنًا جذابًا (؛ **نحو**: ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾[الحاقة:31]) فقد قدم المفعول وهو" الجحيم" على عامله وهو" صلوه"؛ لأن ما قبل هذه الآية مختتم بالهاء، وهو قوله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾[الحاقة:30]، وما بعدها كذلك وهو قوله: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾[الحاقة:32].

وقد رأى الزمخشري في تفسير هذه الآية في كشافه أنها للتخصيص، وقال ابن عاشور: "... وتقديم الجحيم على عامله لتعجيل المساءة، مع الرعاية على الفاصلة، وكذلك تقديم ﴿فِي سِلْسِلَةٍ﴾ على عامله"[2].

(**أو لغير ذلك**)؛ كالتعجيل بالتبرك، أو التلذذ، وضرورة الشعر، والاهتمام بالمتقدم.

(**وقد يُحذفُ**:) **المفعول لأغراض**:

(1 - **لإفادةِ العمومِ؛ نحو**: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلامِ﴾[يونس:25]. **أي**:

---

(1) الإيضاح في علوم البلاغة (2/ 164).

(2) التحرير والتنوير (29/ 138).

كلَّ أحدٍ) تصلح دعوته للجنة. **ومن هذا: قوله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾[الحجرات:1]، أي: لا تقدموا رأيًا ولا قولاً ولا قانونًا ولا عرفًا ولا عادة سائدة على قول الله وقول رسوله، وكل هذه المعاني جاءت من حذف المفعول.

وما أحسن قول البحتري:

إذا بَعُدَتْ أبْلَتْ وَإنْ قَرُبتْ شَفَتْ ... فهجرانُها يُبلي ولقيانُها يَشفي[1]

فقد حذف أربعة مفاعيل، **والتقدير**: أبلتني، شفتني، يبليني، يشفيني.

(2- أو لاستهجانِهِ) الاستهجان: التقبيح **(؛ كقولِ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "ما رأيتُ منه ولا رأى منِّي"، تعني: السوأة).**

وقد علَّقتُ على هذا القول في "عون البديع" بأمرين:

الأول: قال الشيخ محمد فال: لا ينبغي أن يستشهد به؛ لأن ما كان تشريعًا لا يصح أن يكون مستهجنًا. وقال: وقد يقال: إن العورة لما كان يطلب سترها ستر اسمها.

وظهر للشيخ أن المثال الصحيح لهذا الغرض من السنة هو: ما جاء في قصة هلال بن أمية مع امرأته وفيها قوله: ".. فَرَأَيْتُ بِعَيْنَيَّ، وَسَمِعْتُ بِأُذُنَيَّ" رواه أحمد(2131)، وأبو داود(2256)، وأبو يعلى(2740). قلت: وهو استشهاد

---

(1) ديوان البحتري (ص: 100).

في محله. هذا مع ما في قول عائشة من الكلام الذي ذكرناه.

الثاني: أقول: لم أجد هذا الأثر عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في كتب السنة بهذا اللفظ، والله أعلم[(1)].

(3- أو لتنزيلِ الفعلِ منزلةَ اللازمِ)؛ وذلك حين لا تكون قرينة تدل على حذف المفعول، فينزل الفعل المتعدي منزلة اللازم إثباتًا أو نفيًا **(؛ نحو: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾**[الزمر:9]**)** فـ"يعلمون" و" لا يعلمون" **بمعنى:** "مَن يحدُث له معنى العلم، ومن لا يحدث"[(2)].

---

(1) **ولكن جاء بمعناه حديثها الذي قالت** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "مَا نَظَرْتُ، أَوْ مَا رَأَيْتُ فَرْجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَطُّ"، **رواه** أحمد(24344)، و ابن ماجه(662)، وابن أبي شيبة(1130)، **قال البوصيري:** "هَذَا إِسْنَاد ضَعِيف؛ مولى عَائِشَة لم يسم، رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ فِي الشَّمَائِل عَن مَحْمُود بن غيلَان عَن وَكِيع بِهِ، وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ فِي المعجم الصَّغِير عَن أَحْمد بن زَكَرِيَّا شَاذان عَن بركَة بن مُحَمَّد الْحلَبِي عَن يُوسُف بن أَسْبَاط عَن سُفْيَان الثَّوْرِيّ عَن محد بن جحادة عَن قَتَادَة عَن أنس عَن عَائِشَة بِهِ، **قَالَ الدَّارَقُطْنِيّ:** بركَة بن مُحَمَّد كَذَّاب يضع الحَدِيث"، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (1/ 85). وضعفه الألباني والأرناؤوط.

قال الألباني –عقب هذا الحديث بعد أن بيّن ضعفه-:"... ويعارض هذا الحديث: ما صح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد". أخرجه الشيخان وغيرهما؛ ولذلك قال الحافظ في " الفتح " (1/ 313 - 314) : "واستدل به الداوودى على جواز نظر الرجل إلى عورة امرأته وعكسه، ويؤيده ما رواه ابن حبان من طريق سليمان بن موسى أنه سئل عن الرجل ينظر إلى فرج امرأته؟ فقال: سألت عطاء؟ فقال: سألت عائشة؟ فذكرت هذا الحديث بمعناه، وهو نص في المسألة"، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (6/ 214).

(2) الإيضاح في علوم البلاغة (2/ 147).

ومنه: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم:43-44]، **أي:** من وقع منه الإضحاك والإبكاء، والإماتة والإحياء.

(ويؤتى:

(1- بالحالِ؛ لبيانِ هيئةِ صاحبِها، وتقييدِ عاملها)؛ نحو: جاء زيد ضاحكًا، فـ" ضاحكًا" حال بينت هيئة مجيء زيد، ولم تخبر عن المجيء فقط، كما أنها قيدت العامل" جاء" بالضحك.

(2- وبالتمييزِ؛ لبيانِ ما أُبهم من ذاتٍ، أو نسبةٍ) تمييز الذات هو: "ما كان مفسِّرًا لاسم مبهم ملفوظ؛ نحو: عندي رطل زيتا"[1]. **فقوله:** "رطل" ذات فيها إبهام، فلما جاء التمييز" زيتًا" فسر ذلك الإبهام بأنه من الزيت، وليس من السمن، أو العسل أو غير ذلك.

وأما تمييز النسبة فهو: "ما كان منه محولاً عن فاعل، أَو مفعول، أو مبتدأ؛ مثل: طب نفسًا، فجّرنا الأَرض عيونًا، أَنا أَكثر مالاً"[2]، فكل من: "نفسًا" "عيونًا" " مالاً" تمييز نسبة، بيَّن الإبهام الموجود في الطيب، والتفجير، والأكثرية.

(ويؤتى بـ"التقييد بالشرطِ؛ لإفادةِ معاني أدواتِه المبيَّنةِ في علم النحوِ)؛ فمن أدوات الشرط: إنْ، إذا.

أولاً: "إنْ": تفيد الشرط والاستقبال، ولكن ليس فيها قطع بوقوع الشرط،

---

(1) جامع الدروس العربية (3/ 113).

(2) الموجز في قواعد اللغة العربية (ص: 305).

بل تفيد الشك، نحو: إن تحضر تُكْرم.

وقد تستعمل في مقام القطع لفائدة، منها:

1- التجاهل لاستدعاء المقام إياه؛ نحو قول الابن لطالب دين من أبيه وأبوه معسر متى سأله عن أبيه: هل هو في الدار؟ وهو يعلم أنه فيها، فيقول: إنْ كان فيها أخبرْك. يتجاهل؛ خوفًا من أبيه.

2- عدم جزم المخاطب بوقوع الشرط؛ كقولك لمن يكذبك فيما تخبر: إن صدقتُ فقل لي: ماذا تفعل؟

3- تنزيل المخاطب منزلة الجاهل؛ لعدم جريه على موجب العلم؛ كقولك لمن يؤذي أباه: إن كان أباك فلا تؤذه.

ثانيًا: "إذا": تفيد الشرط والاستقبال مع الجزم بوقوع الشرط في المستقبل، سواء كان ماضي اللفظ أو مضارعه، نحو: إذا جئتني أكرمتك، وإذا زالت الشمس آتيك.

وغلب لفظ الماضي مع "إذا" لكونه أقرب إلى القطع بالوقوع؛ نظرًا إلى اللفظ(1).

وبقية أدوات الشرط، وتفصيل معانيها يطلب في المبسوطات.

---

(1) ينظر: الإيضاح(2/ 119). وينظر: مفتاح العلوم (ص: 240).

القصر

القصر لغة:

يُقَال: قصر الشَّيْءَ على كَذَا لم يُجَاوز بِهِ إِلَى غَيره، وَقصر دَرَّ نَاقَته على فرسه جعلهَا لَهُ خَاصَّة، وَقصر غلَّة كَذَا على عِيَاله جعلهَا لَهُم خَاصَّة، وقصرها على نَفسه أمْسكهَا لنَفسِهِ، وَقصر الشَّيْء حَبسه، وَيُقَال: قصر نَفسه على كَذَا حَبسهَا عَلَيْهِ وألزمها إِيَّاه[1].

قال الله: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[الرحمن:72] **يعني**: قُصِرْن على أَزْوَاجِهِنَّ، أَي: حُبِسْن فَلَا يُرِدْنَ غَيرَهم، وَلَا يَطْمَحْنَ إِلى مَنْ سِواهُم[2].

اصطلاحًا:

(**هو: تخصيصُ أمرٍ بأمرٍ بطريقٍ مخصوصٍ**) **فالأمر الأول**: المقصور، **والأمر الثاني**: المقصور عليه؛ نحو: ما ذكيٌّ إلا زيد، ففي هذه الجملة تخصيص شيء- وهو"الذكاء" وهو المقصور-بشيء آخر وهو "زيد" وهو المقصور عليه، وطريق القصر المخصوص في هذا المثال هو: النفي بـ" ما" والإثبات بـ"إلا".

---

(1) **المعجم الوسيط** (2/ 738).

(2) **تاج العروس** (13/ 422).

طرق القصر:

(؛ كـ:

(1- النفـيِّ، والإثبـاتِ)؛ نحـو قولـه تعـالى: ﴿وَمَـا مِـنْ إِلَـهٍ إِلَّا اللهُ﴾[آل عمران:62]، فقد قصرت الألوهية على الله تعالى وحده. وهكذا تقول في الأمثلة الباقية الآتية.

(2- أو إنما)؛ نحو قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ﴾ [طه:98].

(3- أو العطفِ بـ" لا")؛ نحـو: حبيبٌ شاعر لا كاتب، وكذلك العطف بـ"بل" نحو: ما حبيب كاتبًا بل شاعر.

(4- أو تقديمِ المعمـولِ)؛ كقولـه تعـالى: ﴿إِيَّـاكَ نَعْبُـدُ وَإِيَّـاكَ نَـسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:5]، وقوله: ﴿وَلَئِنْ مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ...﴾[الآية: 159].

أقسام القصر:

ينقسم القصر إلى قسمين: قصر موصـوف على صفة، وهـو: ما يتقدم فيه الموصوف على الصفة، وقصر صفة على موصوف، وهـو: ما تتقدم فيه الصفة على الموصوف.

(وينقسمُ) القصر باعتبار حال المقصور والمقصور عليه (إلى:

(1- قـصرِ موصـوفٍ علـى صـفةٍ) و(2- وقـصرِ صـفةٍ علـى موصـوفٍ؛

فالأولُ) يعني: قصر الموصوف على الصفة (**نحو: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾** [آل عمران:144]) لقد جاء هذا البيان لتصحيح تصوُّر الَّذِين يتوهَّمُونَ أنّ محمداً رسولٌ لاَ يموتُ كما يموت سائر الناس، فجاء النصّ مبيّناً قَصْرَهُ علَى كونه رسولاً فقط، والمقصورُ عنه أمْرٌ خاصٌّ هو كونه لا يموت، لا سائر الصفات غير صفة كونه رسولاً؛ إذْ له صفات كثيرة لا حصر لها، وهي لا تدخل في المقصور عنه[1].

"فليس المقصود هنا أن «محمدًا» مقصور على «الرسالة» وحدها بحيث لا يتعداها إلى شيء آخر؛ لأن الحقيقة والواقع خلاف ذلك، وإنما المقصود أنه مقصور على الرسالة بالإضافة إلى شيء آخر معين كالشعر مثلاً"[2].

وهذه الآية من نوع القصر الإضافي لا الحقيقي.

ويسمَّى هذا القصر "قصراً إضافيّاً أي: ليس قصراً حقيقيّاً عامّاً، وإنّما هو قَصْرٌ بالإِضافة إلى موضوع خاصٍّ يدور حول احتمالين أو أكثر من احتمالاتٍ محصورة بعَدَدٍ خاصّ، ويُسْتَدَلُّ عليها بالقرائن"[3].

(و"ما زيدٌ إلا كاتبٌ" أو "إنما زيدٌ كاتبٌ"، أو"زيدٌ كاتبٌ لا شاعرٌ) فقد قصر زيداً في هذه الأمثلة على صفة الكتابة، ونفى عنه ما عداها من الشعر ونحوه.

---

(1) البلاغة العربية (1/ 524).

(2) علم المعاني (ص: 154).

(3) البلاغة العربية (1/ 524).

وقد ذكر المؤلف في هذا القسم أمثلة فيها من طرق القصر: النفي والإثبات، وإنما، والعطف بـ لا.

(والثاني:) يعني: قصر الصفة على الموصوف **(؛ نحو: "ما كاتبٌ إلا زيدٌ")** ففي هذا المثال قَصرَ صفة الكتابة على زيد، ونفاها عن غيره، وطريق القصر فيه: النفي والإثبات **(و﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ﴾**[طه:98]**)** ففي هذه الآية قُصرت صفة الألوهية الحقة على الله جل وعلا، ونفيت عن غيره، وطريق القصر فيها: إنما **(و"إنما الكاتبُ زيدٌ")** لا غيره، والطريق: إنما **(أو "زيدٌ كاتبٌ لا عمروٌ")** الطريق فيه: العطف بـ لا **(أو "أنا سعيتُ في حاجتِكَ")** أي: الساعي فيها وحدي دون غيري، وفي هذا المثال: تقديم ما حقه التأخير، وهو: تقديم المسند إليه "أنا" على المسند "سعيت" لإفادة تقوية الحكم -وهو السعي- وتأكيده.

أقسام القصر باعتبار حال المخاطب:

(وكلٌّ منها ثلاثةُ أقسامٍ:

(1) قصرُ قَلْبٍ. (2) أو إفرادٍ. (3) أو تعيينٍ.

فالأولُ: للردِّ على من يعتقدُ عكسَ ما تقولُ.

والثاني: للردِّ على مَن يعتقدُ الشَّرِكةِ.

والثالثُ: يُخاطَبُ به المترددُ بينَ شيئينِ) وسمي: قصرَ قلبٍ؛ لقلب الحكم على المخاطب، وسمي قصرَ إفراد؛ لقطع الشركة التي اعتقدها المخاطب،

وسمي قصرَ تعيين؛ لتعيين ما هو غير معين عند المخاطب[1].

فإذا قيل في قصر الصفة على الموصوف: "الشاعر أحمد لا محمد" وكان المخاطب يعتقد اشتراك أحمد ومحمد في صفة الشعر؛ كان القصر قصر إفراد.

وإذا كان المخاطب يعتقد غير ذلك كان القصر قصر قلب.

وإذا كان المخاطب مترددًا لا يدري أيهما الشاعر كان القصر قصر تعيين.

وإذا قيل في قصر الموصوف على الصفة: "ما زيد إلّا شاعر" وكان المخاطب يعتقد اتصاف زيد بالشعر والكتابة؛ كان القصر قصر إفراد.

وإذا كان المخاطب يعتقد اتصاف زيد بالشعر لا بالكتابة كان القصر قصر قلب.

وإذا كان المخاطب مترددًا لا يدرى أي الصفتين هي صفة زيد كان القصر قصر تعيين.

---

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (2/ 72).

الإنشاءُ

تقدم تعريف الإنشاء عند تعريف الخبر.

والإنشاء عند أهل البلاغة غير الإنشاء عند أهل الأدب؛ فالأول قد تقدم، والثاني -وهو الإنشاء عند الأدباء- هو: "فن يعلم بِهِ جمع الْمعَانِي والتأليف بَينهَا وتنسيقها، ثمَّ التَّعْبِير عَنْهَا بعبارات أدبية بليغة"[1].

(هو قسمان:) أي: الإنشاء، **الأول: (طلبيٌّ) وهو:** ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب. فإذا قلت لشخص: اكتب، لا تكتب، هل كتبت؟ فإن هذه المطلوبات عبر: الأمر، والنهي، والاستفهام لا تكون حاصلة وقت التفوه بهذا الطلب، وإنما تحصل بعد ذلك.

لكن إذا "استعملت تلك الأساليب- الأمر، والنهي، والتمني، والاستفهام، والنداء- في أمور حاصلة وقت الطلب وجب تأويلها بالطلب، بحسب القرائن، وما يناسب المقام، **قوله تعالى مثلًا:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ﴾[الأحزاب: 1]، **وقوله:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾[النساء: 136]، **وقول عمر السابق:** "يا بني، اتق الله". تجد بتأمل هذه الأساليب أن التقوى والإيمان المأمور بهما حاصلان وقت الطلب، فالمعنى فيهما على طلب دوام الإيمان واستمرار التقوى"[2].

---

(1) المعجم الوسيط (2/ 920).

(2) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 351).

(و)الثاني: (غيرُ طلبيٍّ) وهو: ما لا يستدعي مطلوبًا وقت الطلب، غير أنه ينشئ أمرًا خاصًا أو عامًا مرغوبًا فيه.

(فغيرُ الطلبيِّ) وبدأ به قبل الطلبي؛ لأنه لن يتعرض له بالبيان، وإنما البيان للطلبي الذي هو ميدان البلاغيين، ولا علاقة للبلاغي بغير الطلبي -كما سيأتي- (كـ: صيغِ العقودِ) العقود مثل: عقود البيع والشراء، وعقود الزواج، وعقود الوظائف والأعمال والإيجار. وكذا عقود حل هذه العقود.

ولهذه العقود صيغ كثيرة، منها: بعت، اشتريت، زوجتك، قبلت زواجها، وظفت أو تعاقدنا مع، اتفقت مع فلان على، أجّرت، استأجرت.

وحلها مثل: فسخت البيع، أقلني بيعتي، طلقت، خالعت، استغنيت، ونحو ذلك.

(والتعجبِ) وهو قياسي، وسماعي؛ فيكون قياسيًا بصيغتين: ما أفعَلَه - وأفعِلْ به، ويكون سماعيًا بغيرهما؛ نحو قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[البقرة:28].
(والمدحِ، والذمِّ) وصيغهما: نِعم، وبئس، وحبذا، ولا حبذا، وما جرى مجراها.

وهذا القسم -أعني: الإنشاء غير الطلبي- لم يلتفت إليه أهل البلاغة؛ لافتقاره إلى المعاني البلاغية، بخلاف الإنشاء الطلبي الذي يحوي معاني بلاغية عميقة، ولاسيما أن أساليب الإنشاء الطلبي لا تبقى على ظاهرها دائمًا كأساليب الإنشاء غير الطلبي التي تبقى على تلك المعاني ولا تتجاوزها؛ فالقسم يرد

للقسم، والتعجب للتعجب...إلخ.

أما أساليب الإنشاء الطلبي فتخرج عن معناها الظاهر إلى معانٍ كثيرة، كما سيأتي.

وثم سبب آخر وهو: كون أساليب الإنشاء غير الطلبي أخباراً نقلت إلى معنى الإنشاء.

أنواع الإنشاء الطلبي:

(والطلبيُّ) أنواعه: (الأمرُ، والنهيُ، والدعاءُ، والتمني، والاستفهامُ، والعَرْضُ، والتحضيضُ، والنداءُ) وقد تكلم المؤلف في هذه الأنواع عن: الأمر، النهي، التمني، الاستفهام -وهو أكثر ما تكلم عنه-، ولم يتكلم عن الدعاء، والعرض، والتحضيض، والنداء.

فأما الدعاء فيرد بالأمر، والنهي، والجملة الخبرية؛ **قال تعالى:** ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة:286]، وتقول أنت في الدعاء لميت: رحم الله فلانًا وغفر له.

وأما النداء فهو: طلب الإقبال بحرف من أحرف النداء المعلومة؛ **نحو:** ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[المائدة:67].

وبعض تلك الأحرف لنداء القريب، وبعضها لنداء البعيد، وقد ينزل كل

منهما منزلة الآخر لغاية من الغايات، وقد يخرج النداء عن معناه الأصلي إلى أغراض أخرى تعرف بالقرائن؛ **كالزجر في قول الشاعر:**

يا قلبُ ويحَك ما سمعتَ لناصحٍ   لمّا ارتميتَ ولا اتقيّتَ ملاما

وأما العرض فهو: طلب أمر بلين ورفق، مستعملاً الأدوات: ألا، أما، لو، لولا.

فإن استعملنا هذه الأدوات مع الفعل المضارع سمي ذلك عرضًا.

قال تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[النور:22].

وإن استعملنا هذه الأدوات مع الفعل الماضي أفاد الأسلوب العتب؛ نحو: ألا اشتريت كتابًا فاستفدت.

وأما التحضيض فهو: طلب أمر بشدة، مستعملاً الأدوات: هلّا، ألا، لوما، لولا.

فإن دخلت هذه الأدوات على فعل مضارع سمي الأسلوب تحضيضًا؛ **قال تعالى:** ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[التوبة:13].

وإن دخلت هذه الأدوات على فعل ماض سمي الأسلوب لومًا أو توبيخًا، أو أفاد التنديم؛ **كقول عنترة:**

هلاَّ سَألْتِ الخَيْلَ يا ابْنةَ مالِكٍ   إنْ كُنْتِ جاهِلةً بِما لَمْ تَعْلَمي[1]

(1) ينظر: أدوات الإعراب (ص: 135).

وقد أعرض البلاغيون عن التفصيل في الدعاء، والعرض، والتحضيض لأسباب؛ **منها:**

دخولها بالمقاربة في أنواع أخرى؛ فالدعاءُ يدخل في النداء والأمر، ويدخل العرضُ والتحضيض في الاستفهام.

ومن الأسباب: أن العرض والتحضيض أسلوبان لغويان نحويان أكثر منهما بلاغيان.

أولاً: الأمر:

(فالأمرُ: طلبُ الفعلِ) على جهة الاستعلاء.

ورجح بعضهم أن الأمر لا يشترط فيه علو ولا استعلاء؛ **قال في مراقي السعود:**

وليس عند جُلِّ الاذكياءِ   شرطُ علوٍ فيه واستعلاءِ

(وصيغُه) أي الأمر:

(1- افعلْ)؛ نحو قوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[البقرة:21].

(2- والمضارعُ مع لامِ الطلبِ) يعني: لام الأمر (؛**نحو: "لِتَقُمْ"**)، **ونحو قوله تعالى:** ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾[الطلاق:7].

(3- واسمُ فعلِ الأمرِ)؛ نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[المائدة:105].

(4- والمصدرُ النائبُ عن فعلِه)؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء:23].

"وقد تستعمل صيغ الأمر في غير هذا الأصل الذي وُضعت له، فتفيد الإباحة، أو الدعاء، أو التهديد، أو التمني، أو الحث والإثارة، أو الاستمرار والدوام على تحقيق الفعل، إلى غير ذلك من المعاني التي تفيدها هذه الصيغ بمعونة السياق، وقرائن الأحوال"(1).

ثانيًا: النهي:

(والنهيُ: طلبُ الكفِّ) عن الفعل (وصيغتُه) الوحيدة: ("لا تفعلْ") يعني: الفعل المضارع المقرون بـ لا الناهية؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾[الأعراف:56].

(وكلٌّ منهما) أي: الأمر والنهي (إنْ كانَ من الأدنى للأعلى سُمِّي: "دعاءً")؛ نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[آل عمران:8]، وإن كان من المساوي سمي التماسًا؛ فالأمر كقول امرئ القيس:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

والنهي كقول المتنبي لصديقين تخيلهما:

فَلاَ تُبْلِغَاهُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهُ ... شُجَاعٌ مَتَى يُذْكَرْ لَهُ الطَّعْنُ يَشْتَقِ

---

(1) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 354).

غير أن بعضهم أنكر تقسيم الأمر والنهي هذا التقسيم، وقال: إنه تقسيم حادث لا تعرفه العرب، ومسألة الخروج إلى الدعاء في كل من الأمر والنهي أو إلى الالتماس؛ هذا يعرف من قرائن أخرى.

وكما خرج الأمر إلى أمور مجازية خرج النهي؛ فالنهي يخرج إلى معنى: النصح والإرشاد، والحث على الفعل، والتمني، والتوبيخ، وغير ذلك.

ثالثًا: التمني:

(والتمني: طلبُ المحبوبِ البعيدِ) الذي لا يرجى حصوله، وإن كان ممكنًا؛ **نحو قوله تعالى:** ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾[القصص:79]، **(أو الممتنعِ)** الذي لا يرجى حصوله، ولا يمكن؛ كقوله تعالى:﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾[الأعراف:53].

وقول الشاعر:

فَلَيْتَ اللَّيْلَ فِيهِ كَانَ شَهْراً   وَمَرَّ نَهَارُهُ مَرَّ السَّحَابِ

(واللفظُ الموضوعُ له: "ليت"؛ نحو: "ليتَ لي حياةَ مائتي عامٍ) وهذا من الأمر المحبوب البعيد، وليس من الممتنع **(وقد يتمنى بـ" لو"؛ نحو:** ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [الشعراء:102]) **ومثلها: قول جرير:**

ولَّى الشبابُ حميدةً أيامُه   لو كان ذلك يُشترَى أو يرجعُ

وقد يتمنى أيضًا: بـ هل، ولعل، لغرض بلاغي؛ ففي هل ولعل يكون

الغرض: إبراز المتمنى في صورة الممكن القريب الحصول، والغرض في لو: الإشعار بعزة المتمنى وندرته؛ لأن المتكلم يبرزه في صورة الممنوع؛ إذ إن "لو" تدل في أصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط[1].

رابعًا: الاستفهام:

(والاستفهامُ: طلبُ الفَهمِ)؛ لأن السين والتاء تدلان على الطلب، **ومعنى الاستفهام اصطلاحًا**: طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا، بأداة من أدواته، التي سيأتي ذكرها.

وهذا التعريف إنما يكون في الاستفهام الحقيقي، وليس في الاستفهام المجازي الذي يضم عشرات المعاني التي يخرج إليها الاستفهام عندما لا يراد به معناه الحقيقي.

(وأدواتُه) إحدى عشرة أداة، وهي حرفان، وتسعة أسماء، وهي: **(الهمزةُ، وهل، ومَن، وما، وأيٌّ، وكم، وكيف، ومتى، وأيَّان، وأينَ، وأنَّى)**.

(فالهمزة) تأتي:

(1- لطلبِ التصورِ، أيْ: إدراكِ المفردِ) أي: معنى الماهية من غير حكم عليها بنفي، أو إثبات، وفي هذه الحال تأتي الهمزة متلوة بالمسؤول عنه **(؛ نحو: "أزيدٌ عندَكَ أم عمروٌ؟")** فالسائل هنا يدرك النسبة-وهي الحكم-بوجود أحد

(1) ينظر: البلاغة الواضحة(207).

عند المخاطب، لكنه يطلب تعيين الموجود من الشخصين.

(2) وتأتي الهمزة أيضًا: (لطلبِ التصديقِ، أيْ: إدراكِ النسبةِ) أي: تعيينها بين المسند والمسند إليه: هل هي مثبتة أو منفية؟ (؛ نحو: "أعندَكَ زيدٌ"؟) فيجاب بـ نعم، إن أريد الإثبات، ويجاب بـ لا، إن أريد النفي؛ ولهذا قال المؤلف: (والجوابُ في الأولِ بالتعيين، وفي الثاني ب نعم، أو لا).

ولما كان يطلب بالهمزة التصور والتصديق صارت أم أدوات الاستفهام.
(وهل: لطلبِ التصديقِ فقط) وهو: إدراك وقوع النسبة، أو عدم وقوعها (؛ نحو: "هل عندَكَ زيدٌ؟") فيجاب بـ نعم، أو لا.

(وباقي الأدواتِ لطلبِ التصور، فـ:

-مَنْ: لطلبِ تعيينِ ذي العِلْم) قوله: "ذي العلم" هذا تعبير بعض النحاة؛ كابن هشام، في بعض كتبه، حيث يستعمل بدل العاقل: العالم، يقول ابن هشام: "فأما "مَن" فإنها تكون للعالم، نحو: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[الرعد:43]"[1]. ومن الأسباب لذلك: أنه "من" قد ترد في الدلالة على الله تعالى، والله تعالى قد وصف نفسه بالعلم ولم يصفها بالعقل (؛ نحو: "من هذا؟") فالاستفهام جاء لتعيين المشار إليه من ذوي العلم من هو؟.

(-وما: لطلبِ بيانِ الحقيقةِ) أي:حقيقة المسمَّى (؛ نحو: "ما البِرُّ؟")، أو لشرح معنى المسمى؛ نحو: ما الغِيبة؟، ولبيان صفات المسؤول عنه؛ نحو:

(1) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (1/ 152).

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾[طه:17-18].

(-وأيٌّ: لطلبِ تعيينِ واحدٍ من المضافِ إليه) وتكون في العاقل (؛نحو: "أيُّ الرجالِ عندَكَ؟") ولغير العاقل؛ نحو: أيَّ المتنين حفظتَ؟.

(-وكم: لطلبِ بيانِ العددِ، نحو: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾[الكهف:19]) وهي غير "كم" الخبرية؛ نحو: كم نعمةٍ لله علي!

(-وكيفَ: للسؤالِ عن الحالِ؛ نحو: "كيف أنتَ؟") يعني: في أية حال أنت؟. وقد تخرج كيف للإنكارِ والتَّعجّبِ والتَّوبيخ؛ كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[البقرة:28]؛ إذْ ليسَ معناه: السُّؤال عن الحالِ؛ بَلْ معناه: كيف يجوز ذلك، والحال أنكم كنتم كذا وكذا!. وصدورُ الكُفْر عن العاقل العالم -مع أن علمَه بذلك مانعٌ قويٌّ منه -مظنّةُ التَّعجُّب[1].

(-ومتى: للزمانِ) وتدخل على الاسم (؛ نحو: ﴿مَتَى نَصْرُ اللهِ﴾[البقرة:214]) وعلى الفعل: ماضيًا؛ نحو: متى حفظت؟، ومضارعًا؛ نحو: متى تحفظ؟

(-وكذا) يُكنى بـ"كَذَا" عَنِ العددِ المُبهَم قَلِيلِه وكَثِيره[2] (أيَّانَ) وهي مثل

(1) ينظر: تحقيق الفوائد الغياثية (2/ 592).

(2) معجم القواعد العربية (2/ 25).

متى، وتختص بالسؤال عن الزمان المستقبل، ولاسيما ما في شأنه عظمة (؛ نحو: ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾[الأعراف:187]) أي: مَتَى وُقُوعُ الساعة؟

(-وأينَ) لطلب التعيين (: للمكانِ؛ نحو: "أينَ بيتُك؟").

(-وأنَّى:) تأتي لمعان وهي: (بمعنى: من أينَ؟ نحو: ﴿أَنَّى لَكِ هَذَا﴾[آل عمران:39]) وبمعنى: كيف؟؛ نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾[آل عمران:40]، وبمعنى: متى؟ نحو: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[البقرة:223].

(والجوابُ في الجميع) من هذه الأسماء التسعة يكون (بالتعيين)؛ لأنها جاءت لطلب التصور.

(وقد تخرجُ تلك الأدواتُ إلى غير الاستفهام) الحقيقي، إلى أغراض مجازية تقرب من الثلاثين (؛ كـ:

(1- الإنكار؛ نحو: ﴿ أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ﴾[النمل:60]) أي: لا إله مع الله. وقال ابن عاشور عن هذه الجملة: "والاستفهام تقريري؛ لأنهم لا ينكرون أنه يبدأ الخلق وأنه يرزقهم"[1]؛ لأن الآية هكذا: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[النمل:64].

ومنه: قول امرئ القيس:

أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي ... وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَاب أغْوَال؟

---

(1) التحرير والتنوير (20/ 18).

والإنكار إذا وقع في الإثبات جعله نفيًا؛ **كقوله تعالى**: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[إبراهيم:10]. أي: لا شك فيه، وإذا وقع في النفي جعله إثباتًا؛ **نحو**: **قوله تعالى**: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾[الضحى:6].أي: قد وجدناك.

(2- **والاستبطاء**؛ **نحو**: **"كم دعوتُكَ**) ومنه: **قوله تعالى**: ﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾[البقرة:214].

وقول أبي الطيب:

حَتَّامَ نَحنُ نُسَارِي النَّجمَ في الظُّلَمِ   وَمَا سُراهُ على خُفٍّ ولا قَدَمِ؟

(3- **والتقريرُ**) **وهو**: "حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه، إثباتًا ونفيًا لغرض من الأغراض"[1]؛ **نحو**: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[الشرح:1]) ففي الآية: "دخلت همزة الاستفهام على النفي، فأفاد التقرير على هذه النعمة، وصار المعنى: قد شرحنا لك صدرك؛ ولذلك عطف عليه الماضي وهو ﴿وَوَضَعْنَا﴾"[2].

---

(1) علم المعاني (ص: 99).

(2) البحر المحيط في التفسير (10/ 499).

الفصلُ والوصلُ

قدم الفصل على الوصل لأنه الأصل، والوصل عارض.

الفصل لغة: القطع، **والوصل**: الجمع.

واصطلاحًا: **(الوصلُ: عطفُ بعضِ الجملِ على بعضٍ)** بحرف الواو.

وقد اختير حرف الواو دون غيره من أحرف العطف لأمور: الأول: أنها لمطلق الجمع. **الثاني**: أنها تفيد الاشتراك في الحكم في عطف المفردات، وفي عطف الجمل التي لها محل من الإعراب؛ لأنها مؤولة بالمفردات. **الثالث**: أنها تقتضي التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه. **الرابع**: أن الربط بها يتطلب مناسبة فكرية بين المعطوف والمعطوف عليه بها سوغ العطف عند البلغاء[1].

(والفصلُ: تركُه) أي: ترك العطف.

(والجملتانِ إما أنْ يكونَ بينهما:

(1) كمالُ الانقطاعِ. **(2) أو كمالُ الاتصالِ.**

(3) أو شبهُ كمالِ الانقطاعِ. **(4) أو شبهُ كمالِ الاتصالِ.**

(5) أو التوسطُ بينَ الكمالينِ.

فيجبُ الفصلُ في الأربعةِ الأُولِ، والوصلُ في الخامسةِ) هذا إجمال من

---

(1) ينظر: البلاغة العربية (1/ 578).

المؤلف، **ثم فصل ذلك فقال:**

(فكمالُ الانقطاعِ) بين الجملتين يكون في صور:

(1- إذا كانت إحدى الجملتينِ خبرًا، والأخرى إنشاءً)؛ لما بين الجملتين من التباين؛ فالخبرية تحتمل الصدق والكذب، والإنشائية لا تحتمل (؛ **نحو: سافرَ فلانٌ، سلَّمه اللهُ)** فالجملة الأولى (سافر فلان) جملة خبرية، والجملة الثانية (سلمه الله) وإن كانت خبرية لفظًا لكنها إنشائية معنى؛ لأنها دعاء.

ومن هذه الصورة: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:9].

(2- أو لم يكن بينهما جامعٌ) يجمعهما في شيء ما (؛ **نحو: زيدٌ كاتبٌ، عمروٌ طويلٌ؛ إذ لا نسبةَ بينَ طولِ عمروٍ، وكتابةِ زيدٍ)** ومنها: **قول الشاعر:**

إِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ ... كُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ بِمَا لَدَيْهِ

فلا مناسبة بين الجملة الأولى في الشطر الأول، وبين الجملة الثانية في الشطر الثاني، بل كل منهما جملة مستقلة؛ فلذا فصل بينهما.

(وشبهُ كمالِ الانقطاعِ: إذا منعَ من العطفِ مانعٌ) وهذا يكون حين تكون الجملة التالية مسبوقةً بجملَتَيْنِ يَصِحُّ عطفها على إحداهما، ولا يصحّ عطفها على الأخرى؛ لأنه يُفْسِدُ المعنى المقصود للمتكلم، فَيُتْرَكُ العطف، ويجب حينئذٍ الفصل؛ دفعًا لما قد يحدث من إيهام الوصل بالواو.

)؛ كقولِه:

وتَظُنُّ سَلْمَى أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا بَدَلاً أُرَاهَا فِي الضَّلاَلِ تَهِيمُ

إذ لو عطفَ" أُرَاهَا" لتوهمَ أنه عطفَ على "أَبْغِي" وليسَ مرادًا) للشاعر.

فهو لم يقل: وأراها؛ حتى لا يُفهم أنه يقول: إن سلمى تظن ظنين: الأول: أنه يطلب بدلاً عنها، والثاني: أنه يظنها هائمة في الضلال، ليس هذا قصده، بل قصده أن عندها ظنًا واحدًا وهو كوني أبغي بها بدلاً، فلما كانت تظن ذلك فأنا أراها جازمًا أنها تهيم في الضلال؛ لسوء ظنها.

(وكمالُ الاتصالِ: إذا كانت الثانيةُ:

(1- تأكيدًا للأولى، ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:2])

فـ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ جملة مؤكدة لما قبلها؛ وذلك أن الجملة الأولى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ تشير إلى سمو القرآن-وقد جاء ذلك بتعريف طرفي الجملة، والإشارة إلى بعد المكان-فلما كان كذلك لا يمكن أن يتطرق إليه الريب.

(2- أو بدلاً؛ نحو: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ [الشعراء:132-133]) فجملة: ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ قد فصلت عن الجملة الأولى ﴿أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾؛ لأنها بدل بعض منها؛ لأن نعمتي الأنعام والبنين جزء من النعم التي يعلمونها.

(3- أو بيانًا؛ نحو: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ﴾[طه:120]) فجملة: ﴿قَالَ يَا آدَمُ﴾ عطف بيان على جملة: ﴿فَوَسْوَسَ ...﴾ وهي لبيان مضمون

الوسوسة التي وسوس بها الشيطان. "ففي الجملة الأولى خفاء وإبهام، وفي الثانية بيان وإيضاح له، والبيان والمبين كالشيء الواحد، فلا يُعطف أحدهما من ثَمَّ على الآخر؛ لما بينهما من قوة الترابط وكمال الاتصال"[1].

(وشبهُ كمالِ الاتصالِ: إذا كانت الثانيةُ في محلِّ سؤالٍ ناشئٍ عن الأولى، نحو: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ﴾[الذاريات:25]، أي: فماذا قالَ لهم؟ فأجيبَ بأنه أجابَهم بقوله: "سلام") ومنه قول الشاعر:

زَعَمَ الْعَوَاذِلُ أَنَّنِي فِي غَمْرَةٍ   صَدَقُوا ولكِنْ غَمْرَتِي لاَ تَنْجَلِي

إنّ الشطر الأول يثير في النفس سؤالاً وهو: إذا كان العواذل قد زعموا أنَّكَ في غَمْرَة فماذا تقول أنت؟ فأجاب على هذا التساؤل بقوله: "صَدَقوا" وزاد على قولهم تأكيداً بقوله: "ولكِنْ غَمْرَتِي لا تَنْجَلِي" وهذا من تأكيد الشيء بما يوهم في بداءته خلافه.

(وأما التوسطُ) بين كمال الانقطاع، وكمال الاتصال **(فبأنْ تتفقَ الجملتانِ خبرًا وإنشاءً مع تناسبٍ بينهما بلا مانعٍ من العطفِ؛ نحو: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[الانفطار:13-14])** فهنا "نلاحظ في هاتين الجملتين المعطوفة بالواو والمعطوف عليها توسُّطاً بين كمال الاتّصال وكمال الانقطاع، وجامعاً يجمع بينهما، فالعلاقة بينهما قانون الجزاء الرّبّاني، ذي الصورتين المتضادّتين، لفريقين متضادّين، هما الأبرار والفجّار. إنّ عنوان الجزاء عنوانٌ

(1) البلاغة 2 – المعاني – جامعة المدينة (ص: 462).

جامع دون اتّحاد ولا شِبْهِ اتّحاد، وإنّ التضادّ لا يَصِلُ إلى مستوى التباين التامّ في الفكر؛ لأنّ الضدَّ أقربُ خُطُوراً بالبال عن ذكرِ الضدّ من النظير إلى النظير، فحصلَ بذلك التوسُّط بين الكمالين، والجملتان هما أيضًا خبريتان لفظًا ومعنىً، فحَسُنَ عطفُ التالية على السابقة بالواو"[1].

(ونحو): ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾[الأعراف:31]) فـ"جُمَلَ ﴿وكُلُواْ واشربوا وَلاَ تسرفوا﴾ معطوفة على: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾؛ لما بينهما من التغاير الذي يجعلها متوسطة بين الكمالين، مع التلاؤم الفكري بينها، والجمل كلُّها متفقة في كونها جملاً إنشائيةً واردة إمَّا بصيغة الأمر، وإمّا بصيغة النهي، ومعناها جميعًا على الإنشاء"[2].

(ويجبُ الوصلُ إذا لزمَ على تركِه إيهامُ أمرٍ قبيحٍ؛ نحو: لا، وأيَّدكَ اللهُ؛ فإن القصدَ الدعاءُ للمخاطبِ، ولو تركَ العطفَ لأوهمَ أنه دعاءٌ عليه) هذه الجمل تكون جوابًا بالنفي عن سؤال بـ هل، أو الهمزة، وتكون " لا" قائمة مقام جملة خبرية، فكأن سائلاً قال في هذا المثال: هل استطعت القيام بكذا؟ فكان الجواب: لا، وأيدك الله.

ومثل هذه الجملة: لا، وجزاك الله خيرًا. لا، وأستغفر الله. لا، وبارك الله فيك. لا، ولطف الله بك. لا، وحفظك الله. لا، وكفيت شره.

---

(1) البلاغة العربية (1/ 591).

(2) البلاغة العربية (1/ 592).

(سـأَلَ المـأمونُ رجـلاً عـن شـيءٍ، فقـالَ: "لا، وجعلنـي اللهُ فـداءَكَ، فقـالَ المـأمونُ: للهِ دَرُّكَ! مـا وضِـعتْ الـواوُ موضـعًا قـطُّ أحسنَ مـن هـذا الموضـعِ")

وأصل هذه القصة وتمامها كما قال الثعالبي: إن "الْمَأْمُون قَالَ يَوْمًا ليحيى بن أَكْثَم: هَل تغديت الْيَوْم؟ فَقَالَ: لَا، وأيد الله أَمِير الْمُؤمنِينَ. فَقَالَ الْمَأْمُون: مَا أظرف هَذِه الْوَاو، وَأحسن موقعها!. وَذَلِكَ أَنه لَو قَالَ: لَا أيد الله أَمِير الْمُؤمنِينَ لَكَانَ أشبه بِالدُّعَاءِ عَلَيْهِ، لَا لَهُ. وَلكنه استظهر بِالْوَاو وَجعلهَا حاجزة بَين لَا وأيد الله أَمِير الْمُؤمنِينَ؛ حذرًا من وُقُوع الشُّبْهَة.

وَكَانَ الصاحب [يقصد: ابن عبَّاد] يَقُول: هَذِه الْوَاو أحسن من واوات الأصداغ في خدود المُرد الملاح"[1][2].

(1) **أي**: أحسن من الشَّعر الذي يتدلّى من الصدغ، ويكون مثل الواو على الخدود. ينظر: البلاغة العربية (1/ 590).

والصدغ: جانب الوجه من العين إلى الأذن والشعر فوقه. المعجم الوسيط (1/ 510).

(2) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (ص: 611).

الإيجازُ والإطنابُ والمساواةُ

هذا هو الباب الأخير من أبواب المعاني، وهو باب ذو أهمية كبيرة؛ إذ لا يخلو كلام البلغاء من أحد أقسامه الثلاثة.

والكلام في العموم بالنظر إلى ألفاظه ومعانيه ينقسم إلى هذه الأقسام.

والبليغ هو الذي يسلك المسلك الصحيح في استعمال كل قسم فيما يناسبه من كلامه، والمعيب هو مخالفة ذلك.

وقد بدأ المصنف بالمساواة؛ لأنه لم يذكر لها في هذا الباب غير تعريفها، حتى يتخلص إلى الحديث عن الإيجاز والإطناب؛ فقد فصل فيهما بعض التفصيل.

وقيل: لأن "المساواة هي الأصل المقيس عليه، ولا داعي للاستفاضة في شرحها وتعليل أسبابها وطرقها"[1].

(المساوةُ: أداءُ المعنى المرادِ بعبارةٍ مساويةٍ له) اللفظ على قدر المعنى **(بحسبِ متعارَفِ أوساطِ الناسِ)** لا بلغائهم، ولا ذوي العي منهم.

"**ويعرف ذلك**: بأن تكون العبارة على الحد الذي جرى به عرف أوساط الناس في محاوراتهم، وهم الذين لم يرتقوا إلى درجة البلاغة، ولم ينحطوا إلى

---

(1) علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» (ص: 366).

درجة الفهاهة، فهؤلاء هم الذين يؤدون المعنى بعبارة، يدل كل جزء منها على معناه بالمطابقة"[1].

ومن أمثلتها: قوله تعالى: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[فاطر:43].

وقول طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ... ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

فالألفاظ على قدر المعاني؛ لا تزيد ولا تنقص، فلو حذف منها شيء لاختل المعنى.

على أن بعض البلاغيين يقولون: إن شواهد المساواة لا تخلو من نظر؛ لأنها عند التأمل ترجع إما إلى الإيجاز، وإما إلى الإطناب.

(والإيجازُ) لغة: الاختصار، وهو ضد العي والإكثار. **واصطلاحًا: (أداؤه)** **أي:** المعنى **(بأقلَّ من العبارةِ المتعارفَةِ)** فالعبارة في الإيجاز تحتوي على المعاني المتكاثرة، ولكن مع الفصاحة والإبانة.

(والإطنابُ) لغة: الإكثار والإطالة. **واصطلاحًا: (أداؤه) أي:** المعنى **(بأزيدَ)** من الألفاظ، ولكن **(لفائدةٍ)** من الفوائد التي يقصدها البليغ حين اختار لكلامه الإطناب دون غيره.

وهذا الحد يخرجه عن التطويل؛ لكونه معيبًا؛ لأنه زيادة ألفاظ لغير فائدة.

---

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (2/ 130).

أقسام الإيجاز:

(والإيجازُ قسمان:

(1- إيجازُ قِصَرٍ) **قِصَر**: بكسر ثم فتح، سمي بذلك لوجود الاقتصار في العبارة مع كثرة المعنى **(وهو: ما لا حذفَ فيه)** أو هو: "ما تزيد فيه المعاني على الألفاظ الدالة عليها بلا حذف"[1].

(؛ نحو: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[البقرة:179]**؛ فإنَّ معناهُ كثيرٌ، ولفظَه قليلٌ؛ إذ معناهُ: أن الإنسانَ متى علِمَ أنه إن قَتَلَ يُقتل؛ امتنعَ عن القتلِ، فكانَ في ذلكَ حياتُه، وحياةُ صاحبِه)** **يعني**: فارتفع بالقتل -الذي هو قصاص- كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، فكان ارتفاع القتل حياة لهم.

وفضل هذا اللفظ القرآني على المثل المشهور عند العرب: "القتل أنفى للقتل" من وجوه عديدة[2].

(2- وإيجازُ حذف: بأنْ يُحذفَ من التركيبِ ما لا يُخِلُّ بالفَهمِ) أو هو: "التعبير عن المعاني الكثيرة في عبارة قليلة، بحذف شيء من التركيب مع عدم الإخلال بتلك المعاني.

ولا بد في كل حذف من وجود أمرين: داعٍ يدعو إليه، وقرينة تدل على المحذوف وترشد إليه وتعيّنه"[3].

---

(1) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 188).

(2) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (3/ 181).

(3) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 501).

وإيجاز الحذف ثلاثة أقسام: حذف جزء جملة **(اسم، فعل، حرف)** وحذف جملة، وحذف جمل، وقد مثل المؤلف على ذلك فقال: **(؛ نحو: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾** [يوسف:82]**، أي: أهلَها**[1]**)** وهذا فيه حذف جزء جملة، وهو اسم "أهل". وفي هذا المثال دل على الساكن بالمسكن **(ونحو: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾**[سبأ:11]**، أي: دروعًا سابغاتٍ)** وهذا من القسم الأول أيضًا، وهو من حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه **(ونحو: ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ﴾** [الشعراء:63]**، أي: فضربَ فانفلقَ)** وهذا من حذف الجملة؛ فـ"ضرب" فعل وفاعل **(ونحو: ﴿فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾**[يوسف:45-46]**، أي: فأرسلوه، فأتَاه، وقالَ له: يا يوسفُ)** وهذا من حذف الجمل، وهذا كثير الورود في القصة القرآنية.

أنواع الإطناب:

(ومِنَ الإطنابِ:

(1) ذِكْرُ الخاصِّ بعدَ العامِّ؛ لمزيَّةٍ فيه) حتى كأنه ليس من جنس العام

---

(1) **قلت**: قال بعضهم: "وإنما عبر بلفظ القرية، ولم يعبر بلفظ الأهل مع أنه هو المراد؛ لأن في المجاز إيماء إلى الاستقصاء في السؤال حتى لو أمكن سؤال المكان لكان ليعقوب أن يسأله؛ ليكون شاهدًا بصدق ما يقوله أولاده، ولو أنه قيل: واسأل أهل القرية لما كان فيه الإيحاء بالاستقصاء وذيوع أمر السرقة، وفيها شهادة بصدقهم، وبراءتهم مما وقر في نفس يعقوب من احتمال تدبيرهم للتخلص منه كما فعلوا بيوسف من قبل"، البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص:218).

(نحو: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾[البقرة:238]) والصلاة الوسطى: صلاة العصر؛ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَبَسَ الْمُشْرِكُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ، حَتَّى احْمَرَّتِ الشَّمْسُ، أَوِ اصْفَرَّتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (**شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، صَلَاةِ الْعَصْرِ، مَلَأَ اللهُ أَجْوَافَهُمْ، وَقُبُورَهُمْ نَارًا**)، أَوْ قَالَ: (**حَشَا اللهُ أَجْوَافَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا**)[1].

وفي فضل صلاة العصر يقول رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -كما في صحيح البخاري-: (**مَنْ تَرَكَ صَلاَةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**).

(**2- أو عكسُه**) **أي**: ذكر العام بعد الخاص، والغرض من ذلك هو: إفادة العموم مع العناية بشأن الخاص (؛ **نحو**: ﴿**وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ**﴾[آل عمران:84]) وعيسى وموسى من النبيين.

(**3- ومنه: التوشيعُ، وهو: أنْ يؤتَى في آخرِ الكلامِ بمثنَى، ويفسَّرُ بمفردينِ**)

"**ويسمى هذا توشيعًا**؛ لأن التوشيع: لف القطن المندوف، وكأنه يجعل التعبير عن المعنى الواحد بالمثنى المفسر باسمين بمنزلة لف القطن بعد الندف"[2] (؛ **نحو**: "**يشيبُ ابنُ آدمَ، ويشِبُّ معه خصلتانِ: الحرصُ، وطُولُ الأملِ...**") الحديث عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين وغيرهما بغير هذا اللفظ، فلفظه عند البخاري أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: "**يَكْبَرُ ابْنُ آدَمَ، وَيَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَانِ: حُبُّ المَالِ، وَطُولُ العُمُرِ**"،

---

(1) **رواه** مسلم بهذا اللفظ (628).

(2) المطول (494).

ولفظ مسلم: "يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ، وَتَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ" (، ونحو: "عليكمْ بالشفاءينِ: العسلِ، والقرآنِ") هذا الخبر ورد صحيحًا عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ موقوفًا، وأما رفعه إلى رسول الله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ فضعيف (، ونحو: "اقتدُوا باللذينِ مِن بعدي: أبي بكرٍ، وعمرَ") رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وأرضاهما. والحديث صحيح مرفوع إلى النبي عليه الصلاة والسلام، رواه أحمد، والترمذي، والبيهقي وغيرهم.

(4- ومنه: التذييلُ، وهو: أن يؤتَى بجملةٍ كالتأكيدِ للأُولى؛ نحو: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[الإسراء:81]) فجملة: ﴿إِنَّ الباطل كَانَ زَهُوقاً﴾ تتضمّن معنى الجملة التي جاءت قبلها، فهي إطناب على طريقة التذييل، وعبارتها ممّا يجري مجْرى المثل، وهي تُؤكّد منطوق الجملة التي جاءت قبلها.

قال ابن عاشور: "وجملة: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ تذييل للجملة التي قبله؛ لما فيه من عموم يشمل كل باطل في كل زمان. وإذا كان هذا شأن الباطل كان الثبات والانتصار شأن الحق؛ لأنه ضد الباطل، فإذا انتفى الباطل ثبت الحق"[1].

(1) التحرير والتنوير (15/ 188).

عِلْمُ البيانِ

تعريف علم البيان

البيان لغة: الكشف والوضوح والظهور.

اصطلاحًا: (هو: قواعدُ) أي: مسائل، وبعض البلاغيين قال: هو علم يعرف به...إلخ، وفي ذلك نظر عند بعضهم؛ **قال ابن السبكي:** "وقوله: "علم" جنس، قال الشارح: أي: بالقواعد، وفيه نظر، بل الأولى أن يجعل بمعنى المعلوم، وهي القواعد؛ لدلالة كلامه، وكلام غيره عليه"[1]؛ ولهذا عدل المؤلف عن لفظ "علم" إلى لفظ "قواعد".

(يُعرفُ بها) أي: بفهم أصولها وممارستها **(إيرادُ المعنى الواحدِ بطرقٍ مختلفةٍ في وضوحِ الدلالةِ) أي:** كيفية التصرف بالمعنى الواحد في القول بطرق بلاغية مختلفة، بعضها أوضح من بعض، وأبدع وأجمل وأقوى؛ كالتشبيه، والمجاز، والكناية، على اختلاف أقسامها وصورها **(؛ كأنْ تخبرَ عن جودِ إنسانٍ بقولكَ: فلانٌ كالبحرِ في الإمدادِ، أو كالبحرِ، أو بحرٌ)** "فهذه تراكيب تشبيهية ثلاثة دالة على معنى "الجود" بعضها أوضح في الدلالة عليه من بعض؛ فأوضحها ما صرح فيه بوجه الشبه والأداة وهو الأول، ويليه وضوحًا ما صرح فيه بأحدهما وهو الثاني، وأقلها وضوحًا ما لم يصرح فيه بأحدهما وهو الأخير[2].

---

(1) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 5).

(2) المنهاج الواضح للبلاغة (3/ 79).

(أو في الدارِ بحرٌ) وهذا بطريق المجاز، فتشبهه بالبحر بالإمداد، ثم تستعير له لفظ" البحر" كما سيعرف في الاستعارة. أو تقول: **(أو هو لا ساحلَ له)** فالساحل من أوصاف البحر، مما يدل على تشبيه فلان بالبحر **(أو)** تقول: فلان **(كثيرُ الرمادِ)** فإن كثرة الرماد تدل على كثرة إحراق الحطب، الدالة على كثرة الطبخ، وهذه تدل على كثرة الآكلين، وهذا دليل على الجود، فكثرة الرماد حينئذ كناية عن الجود.

وهناك تعريف جميل للسكاكي يقول فيه: "وأما علم البيان فهو: معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان؛ ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"[(1)].

تنبيه:

يرى السكاكي وغيره أن علم البيان جزء من علم المعاني، وهو بهذا أخص منه؛ فعلم المعاني كالمفرد، والبيان كالمركب؛ فلهذا يذكر في الدراسة بعده، قال أبو يعقوب: "ولما كان علم البيان شعبة من علم المعاني لا تنفصل عنه إلا بزيادة اعتبار جرى منه مجرى المركب من المفرد؛ لا جرم آثرنا تأخيره"[(2)].

و"هو بهذا يتميز عن علم المعاني الذي يُعرف به أحوال اللفظ العربي، التي بها يطابق مقتضى الحال، كما يتميز عن علم البديع الذي يبحث في وجوه

(1) مفتاح العلوم (ص: 162).

(2) مفتاح العلوم (ص: 162).

تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة، ووضوح الدلالة"[1].

(ومباحثُه) أي: مباحث علم البيان التي يدرسها هي: **(ثلاثةٌ)** إجمالاً، **وهي**:

(1-التشبيهُ.

2- والمجازُ.

3-والكنايةُ). كما سيأتي تفصيل ذلك الآن.

(1) البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 22).

التشبيهُ

التشبيه لغة: التمثيل.

اصطلاحًا: (هو: الدلالةُ على مشاركةِ) الدلالة: يمكن أن تكون صفة المتكلم، أو صفة الكلام؛ **فالمعنى على الأول:** أن يدل المتكلم بقوله على هذه المشاركة، **وعلى الثاني:** الكلام نفسه هو الدال على المشاركة **(أمرٍ لآخرَ في وصفٍ)** من أوصاف أحدهما يجمع بينهما على سبيل التقارب. والمشاركة في التشبيه مشاركة في الأوصاف والمعاني، وليست في الأعيان في نحو: شارك زيد بكراً في سيارة، أو جاء صالح ومحمد؛ فهذه المشاركة لا تسمى تشبيهًا عند البيانيين. **ثم قوله:** "في وصفٍ" يدل على أن المشاركة ليست في كل شيء، وليست على سبيل التطابق دائمًا؛ فإذا قلت: زيد أسد، فمعناه في المدح: في صفة الشجاعة فقط، ومعناه في الذم: في صفة البخر، ثم ليست الشجاعة في زيد متطابقة تمام التطابق مع شجاعة الأسد، وكذلك البخر.

قال ابن رشيق: "التشبيه: صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة، أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه؛ ألا ترى أن قولهم: "خد كالورد " إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها، لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه، وخضرة كمائمه، وكذلك قولهم: "فلان كالبحر، أو كالليث " إنما يريدون كالبحر سماحة وعلمـًا، وكالليث شجاعة وقرمًا، وليس يريدون ملوحة البحر وزعوقته، ولا شتامة الليث وزهوقته؛ فوقوع التشبيه

إنما هو أبداً على الأعراض لا على الجواهر؛ لأن الجواهر في الأصل كلها واحد، اختلفت أنواعها أو اتفقت"[1].

(بأداةٍ) وهي: إما اسم نحو: شِبه، مِثل، مماثل، ومرادفاتها، وإما فعل نحو: يشبه، يماثل، يحاكي، يضارع، وإما حرف وهو: الكاف، وكأنَّ.

وقوله: "بأداة" لإخراج الاستعارة؛ لأنها مبنية على تناسي التشبيه.

(فأركانُه أربعةٌ) يعني: إذا كان الأمر كذلك من وضوح التشبيه بالتعريف فأركانه أربعة، ولو قال: وأركانه أربعة، لكان أحسن **(ومثالُه: العِلمُ كالنُّورِ في الهدايةِ:**

1-فالعلمُ مشبَّهٌ) والمشبه: هو ما يراد إلحاقه بغيره في التشبيه.

(2- والنورُ مشبَّهٌ به) والمشبه به هو: الذي يراد إلحاق غيره به؛ لكونه ماثله في صفة من صفاته.

(3- والكافُ أداةُ التشبيهِ) وأداة التشبيه هي: اللفظ-اسمًا، أو فعلاً أو حرفًا- الذي يربط بين المشبه والمشبه به.

(4- والهدايةُ وجهُ الشبهِ) ووجه الشبه هو: المعنى الجامع بين طرفي التشبيه، ويكون في المشبه به أقوى منه في المشبه، إلا في بعض الأحيان كما في التشبيه المقلوب.

وهناك من يزيد ركنًا خامسًا وهو: غرض التشبيه، وهو الهدف من إقامة

---

(1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه (1/ 286).

المتكلم ذلك الربط بين المشبه والمشبه به، وهو ليس مذكوراً لفظًا في الكلام، ولكنه مضمر في النفس، ويفهم من وراء الكلمات وسياقها.

(وطرفاه- وهما المشبَّهُ والمشبَّهُ به-:

1- إمَّا حسِّيانِ، أي: يُدركانِ بإحدى الحواسِّ) الخمس وهي: البصر، والسمع، والشم، والذوق، واللمس (؛ نحو: هذا الورقُ كالحريرِ في النعومةِ) هذا التشبيه مدرك بحاسة اللمس، والمشبه-وهو الورق-حسي، والمشبه به-وهو الحرير-حسي أيضًا، ومنه قول ذي الرمة:

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ ... رَخِيمُ الْحَوَاشِي لَا هُرَاءٌ وَلَا نَزْرُ

و"مثال ذلك فيما يدرك بحاسة البصر: قولك: "وجه هند كالبدر، وشعرها كالليل". ومثاله فيما يدرك بحاسة السمع: قولك: "أسمع صوتًا كتغريد الحمام، ودويًا كدوي الرعد". ومثاله فيما يدرك بحاسة الشم: قولك: "عَرْف هندٍ كأريج المسك"... ومثاله فيما يدرك بحاسة الذوق: قولك: لعابه كالعسل، وشرابه كالحنظل؛ فالطرفان في هذه المُثُل جميعًا حسيان "كما رأيت""[1].

(2- وإما عَقليانِ) أي: مدركان بالعقل لا بالحس (؛ نحو: العلمُ كالحياةِ) "و"الجهل كالموت" و"الضلال كالعمى". فالطرفان في هذه المُثل لا يدركان بغير العقل، ووجه الشبه في الأول: "الأثر الجليل"، وفي الثاني: "فقدان النفع"، وفي الثالث: "عدم الاهتداء""[2].

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (1/ 47).

(2) المنهاج الواضح للبلاغة (3/ 98).

(3- **أو أحدُهما**) عقلي، والآخر حسي (؛ **نحو: له خُلقٌ كالعطرِ**) فالخلق-وهو المشبه-عقلي، والعطر-وهو المشبه به-حسي؛ لأنه يدرك بحاسة الشم. أو حسي، والآخر عقلي (**ونحو: كلامُه كالخُلقِ الحسَنِ**) فالكلام-وهو المشبه-حسي؛ لأنه مدرك بحاسة السمع، والخلق الحسن-وهو المشبه به عقلي.

(**وهما**) **أي**: المشبه والمشبه به (**أيضًا**:

1- **إما مفردانِ، كما مُثِّلَ**) في الأمثلة السابقة؛ فالورق، والعلم، والخلق، والكلام مشبهات مفردات، والحرير، والحياة، والعطر، والخلق مشبهات بها وهي مفردة أيضًا.

(2- **وإما مركبانِ**) أي: المشبه مركب من عدة أشياء، وكذلك المشبه به (؛ **كقوله**[1]:

كَــأَنَّ مُثَــارَ النَّقْــعِ فَــوْقَ رُؤوسِــنَا ... وَأَسْــيَافَنَا لَيْــلٌ تَهَــاوَى كَوَاكِبُــهْ

---

(1) [لبشارِ بن برد، من شعراء الدولتين: العباسية والأموية، من قصيدة يمدح ابن هبيرة] قلت:
يُرْوَى عن بشار أنه قال: "ما زلت أحسد امرئ القيس على جمعه في هذا البيت بين تشبيه شيئين بشيئين، حتى قلت:

كــأن مُثــارَ النَّقْــعِ فــوق رؤوســنا ... وأســـيافنا ليـــلٌ تهـــاوَى كواكبـــه

فجمعت فيه بين ثلاثة وثلاثة".

وبيت امرئ القيس المقصود هو قوله:

كــأن قلــوبَ الطيــر رَطْبًــا ويابــسًا ... لـدى وَكْرِهَـا العُنَّـابُ والحشَفُ البالي

تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي (ص: 263).

شبَّه هيئةَ السيوفِ الحاصلةَ من علوها ونزولِها بسرعةٍ وسطَ الغبارِ بهيئةِ كواكبَ تساقطُ في ليلٍ مُظلِمٍ، ووجهُ الشبهِ: أن كُلًّا له هيئةٌ حاصلةٌ من تساقطِ أجرامٍ لمَّاعةٍ مستطيلةٍ في وسطِ شيءٍ مظلمٍ) فالشاعر بشار يصف "ملحمة بين جيشين يقتتلان بالسيوف، وقد انعقد عليهما غبار كثيف. فالمشبه مركب من النقع مثارًا فوق الرؤوس، ومن السيوف المتلاحمة اللامعة في أثنائه، والمشبه به مركب من الليل، ومن الكواكب المتهاوية"(1).

قال عبد القاهر: "التشبيه هناك كما مضى مركَّب، وموضوع على أن يُريَك الهيئةَ التي ترى عليها النَّقْع المظلم، والسيوفُ في أثنائه تبرُق وتُومِض وتعلو وتنخفض، وترى لها حَرَكات من جهات مختلفة كما يوجبه الحال حين يحمَى الجِلاد، وتركض بفرسانها الجياد"(2).

(3- وإما أحدهما) مفرد، والآخر مركب **(؛ كقوله(3):**

والشَّمْسُ كالْمِرْآةِ في كَفِّ الأَشَلّ ....)

فقد "شبّه على طريقة التمثيل الشمس في استدارتها، وما يُشاهد من حركة الضياء الذي تبثُّه؛ بمرآة مستديرة يحملها أشَلُّ بكفّه، فهي ترتجف تبعًا لحركة كفّه.

---

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (1/ 50).

(2) أسرار البلاغة (ص: 194).

(3) [**قيل**: **من كلام عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم**] **قلت**: لم يذكر الشطر الثاني للبيت في الحاشية -على خلاف العادة فيما تقدم- والشطر الثاني هو: (لما بدت طالعة فوق الجبل) **وقيل**: (لما رأيتها بدت فوق الجبل).

فوجه الشَّبه منتزع من متعدِّد العناصر، مع أنّ المشبّه مفرد، وهي الشمس، لكنّ العناصر التي انتزع منها وجه الشبه متعدّدة، يظهر منها اللّون، والاستدارة، وحركة الارتجاف التي يُشَاهد بها النور يرتجف، حتَّى يُرَى الشُّعَاع كأَنَّهُ يَهُمُّ بأن يَنْبَسط حتَّى يفيض من جوانب الدائرة، ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض"[1].

فالمشبه هنا-وهو الشمس-مفرد، والمشبه به-وهو المرآة-مركب بجعلها في كف الأشل.

(وقوله:

تَرَيَا نَهَاراً مُشْمِساً قَدْ زَانَهُ ... زَهْرُ الرُّبَى فَكأَنَّما هُوَ مُقْمِرُ[2])

---

(1) البلاغة العربية (2/ 192).

(2) [قبله:

يَا صَاحِبيَّ تَقَصَّيَا نَظَرَيكما ... تَرَيا وجُوهَ الأرْضِ كَيْفَ تَصَوَّرُ

من كلام أبي تمام الشهير: حبيب بن أوس الطائي، من شعراء أواخر القرن الثاني، وأوائل القرن الثالث] **قلت:** قال ابن الأثير: " وأما القسم الرابع- وهو تشبيه المركب بالمفرد- فإنه قليل الاستعمال بالنسبة إلى الأقسام الثلاثة، وليس ذلك إلا لعدم النظير بين المشبه والمشبه به.

وعلى كثرة ما حفظته من اِلأشعار لم أجد ما أمثل به هذا القسم إلا مثالًا واحدًا، **وهو قول أبي تمام في وصف الربيع:**

يا صاحبي تقصيا نظريكما ... تريا وجوه الأرض كيف تصور

تريا نهارًا مشمسًا قد شابه ... زهر الربى فكأنما هو مقمر

فشبه النهار المشمس مع الزهر الأبيض بضوء القمر، وهو تشبيه حسن واقع في موقعه مع ما فيه من لطف الصنعة"، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (2/ 119).

"يلفت الشاعر نظري صاحبيه إلى صنيع المبدع القادر فيما أخرج من نبات بهيج ناضر، وكيف أن النبات لشدة اخضراره وكثافته صار لونه يضرب إلى السواد، حتى نقص من ضوء النهار المشرق، وكأنه ليل سرى فيه ضوء القمر. يريد الشاعر أن يشبه هيئة النهار المشرق، وقد خالطت ضوءه خضرة الزهر القائمة، فتضاءل ضوؤه بليل بزغ قمره. فالمشبه مركب من نهار تألقت شمسه، ومن زهر نابت في الربى، والمشبه به مفرد وهو "الليل المقمر" وتقييده بالوصف المذكور لا ينافي إفراده"[1].

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (1/ 51).

المجازُ

المجاز لغة:

مصدر ميمي على زنة مفعل[1] بمعنى الجواز والتعدية، من جاز المكان يجوزه إذا تعداه، نقل في الاصطلاح إلى الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له باعتبار أنها جائزة ومتعدية مكانها الأصلي، فيكون المصدر بمعنى اسم الفاعل، أو باعتبار أنها مجوز بها مكانها الأصلي، فيكون المصدر بمعنى اسم المفعول"[2].

اصطلاحًا:

هو: الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب، على وجه يصح، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي[3].

قوله: (الكلمة المستعملة) تخرج الكلمة المهملة (في غير ما وضعت له) خرجت الحقيقة؛ لأنها مستعملة فيما وضعت له (في اصطلاح التخاطب) هذا معتبر في المجاز؛ فالصلاة إذا استعملت في الشرع بمعنى الدعاء كانت مجازاً، ومتى استعملت في الأقوال والأفعال المعروفة كانت حقيقة، والدابة إذا أطلقت على الإنسان في العرف كانت مجازاً (على وجه يصح) يعني: على وجه صحيح منقول

---

(1) **قلت**: فأصله "مجوز" نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها، فتحركت الواو بحسب الأصل، وانفتح ما قبلها بحسب الآن فقلبت ألفًا.

(2) المنهاج الواضح للبلاغة (3/ 211).

(3) البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 128).

عن العرب أنهم استعملوه مجازاً (مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي) خرجت بهذا الكنايةُ؛ لأن قرينتها لا تمنع إرادة المعنى الأصلي مع المعنى الكنائي.

أقسام المجاز:

(ينقسمُ المجازُ إلى:

(1- عقليٍّ) وسمي عقليًا لرجوع النقل والإطلاق إلى تصرف العقل، وإرادة المتكلم، وليس إلى اللغة كما في القسم الثاني الآتي، فلو قلنا: زيد أسد، فالعقل هو الذي رأى من زيد صفة من صفات الأسد فجعله فرداً من أفراده، ولم يكن للغة في ذلك دخل.

(2- ولغويٍّ) وسمي لغويًا لأن المجاز جرى فيه لغةً؛ وذلك بنقل الألفاظ من حقائقها اللغوية إلى معان أخرى بينها صلة ومناسبة، فالمتكلم في هذا النوع من المجاز قد جاز بالكلمة من معناها اللغوي الأصلي وأطلقها على غيره لمناسبة.

أولاً: المجاز العقلي:

(فالعقليُّ: إسنادُ الفعلِ، أو ما في معناه، إلى غيرِ ما هو له عندَ المتكلمِ؛ لملابسةٍ وقرينةٍ مانعةٍ من إرادةِ ما هو له.

والذي في معنى الفعلِ هو: المصدرُ، والصفةُ.

والملابسةُ هي: المناسبةُ بينَ المسندِ والمسندِ إليه المجازي) قوله: "أو ما في معناه" يشمل: المصدر، اسم الفاعل، اسم المفعول، اسم التفضيل، الصفة المشبهة، الظرف، وهذا تفصيل ما أشار إليه المصنف بقوله: "والذي في معنى

الفعلِ هو: المصدرُ، والصفةُ" يعني: الصفة المشتقة من المصدر، وهي الأنواع التي ذكرنا قبل.

وقوله: "إلى غيرِ ما هو له" راجع "للفعل أو ما في معناه"، **وقوله:** "عندَ المتكلمِ": أي: في اعتقاده، **وقوله:** "لملابسةٍ وقرينةٍ" الملابسة: التعلق والمناسبة والارتباط، كما أشار المؤلف، والقرينة: الدليل، **وقوله:** "مانعةٍ من إرادةِ ما هو له" أي: لدليل يمنع من إرادة أن يكون ذلك الإسناد على الظاهر.

وبالمثال يتضح المقال:

تقول: رضيتْ عيشتُه، فقولك: "رضيت" فعل مبني للفاعل، وكان حقه أن يسند إلى الفاعل الحقيقي الذي هو صاحب العيشة، فيقال مثلًا: رضي محمد عيشته، لكنه أسند إلى المفعول الذي هو "العيشة" إسنادًا مجازيًا؛ للمشابهة بين "العيشة" و"محمد" في تعلق الفعل بهما. فتعلقه "بمحمد" من حيث صدوره منه، وتعلقه "بالعيشة" من حيث وقوعه عليها "فالعيشة" حينئذ مسند إليه مجازي. **ومنه قوله تعالى:** ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾[الحاقة:21]، فقد أسند فيه اسم الفاعل إلى ضمير "العيشة" إسنادًا مجازيًا، من إسناد ما هو بمعنى الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه.

ونحو قول المؤمن: أنبت الربيعُ البقلَ، أسند الإنبات إلى الربيع، وفاعل الإنبات الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى، والربيع زمن للفعل؛ ففي إسناد الإنبات للربيع إسناد إلى غير ما هو له، فهو مجاز عقلي علاقته الزمانية، والقرينة

التي تصرف عن إرادة ظاهر الإسناد هي حالُ المتكلم نفسه[1].

(وله) أي: الإسناد العقلي **(ملابَسَاتٌ شتى)**:

(1- يلابِسُ الزمانَ؛ نحو: صامَ نهارُكَ، ونهارُكَ صائمٌ) فقد أسند الصيام إلى النهار؛ لكونه واقعًا فيه؛ فالنهار لا يصوم، والذي يفعل ذلك حقيقةً هو العابد؛ إذ يصوم في نهاره. والمثال الأول المسند فيه فعل، والثاني فاعل.

(2-والمكانَ؛ نحو: جرى النهرُ، ونهرٌ جارٍ) أسند الجري إلى النهر وهو مكان المياه، وليس هو الجاري، إنما الجاري فيه ماؤه، ففيه إسناد مجازي للفعل واسم الفاعل إلى الظرف الذي هو النهر.

(3- والسببَ؛ نحو: أنبتَ الربيعُ البقلَ) فالذي أنبت على الحقيقة هو الله تعالى، **كما قال سبحانه**: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[الواقعة:63-64]، وإنما أَسندَ الإنبات إلى الربيع لكونه سببًا؛ وذلك حين ينزل الغيث فيحصل بسببه الإنبات **(وبنى الأميرُ المدينةَ)** والأمير ما بناها، وإنما أمر بالبناء، فأسند الفعل إلى الأمير؛ لأنه سبب البناء بأمره، **ومنه: قوله تعالى**: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ﴾[غافر:36].

(والقرينةُ) المانعة من إرادة المعنى الأصلي (:

(1- إما لفظيةٌ؛ نحو: هزمَ الأميرُ الجندَ وهو في قصرِه) فقد أسند الفعل إلى

---

(1) ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة (1/ 100)، البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 107).

غير فاعله حقيقة؛ لأن الأمير لم يفعل شيئًا، والذي سوغ إسناد الهزيمة إليه أنه سبب فيها؛ لكونه الآمر بالحرب، والقرينة اللفظية الدالة على هذا التجوز: قولك: "وهو في قصره"؛ إذ دل على أن الهازم غير الأمير وهم جيشه.

(**2- وإما معنويةٌ**) وذلك حين يكون مع الإسناد أمر معنوي يصرفه عن ظاهره (؛ **نحو: محبَّتُكَ جاءتْ بي إليكَ**) فالمحبة ليست هي الفاعلة على الحقيقة، وإنما كانت هي الباعث، والذي سوغ هذا الإسناد كون المحبة سببًا للمجيء، والقرينة: استحالة قيام المحبة بالمجيء عقلاً.

ثانيًا: المجاز اللغوي:

(**والمجازُ اللغويُّ هو: اللفظُ المستعملُ في غيرِ ما وضعَ له؛ لعلاقةٍ وقرينةٍ مانعةٍ من إرادةِ ما وضِعَ له.**

والعلاقةُ هي: المناسبةُ بين المعنى المنقولِ عنه، والمنقولِ إليه؛ كالسببيةِ والمشابهةِ.

والقرينةُ: الأمرُ الذي يجعلُه المتكلمُ دليلاً على أنه أرادَ باللفظِ غيرَ ما وضعَ له) فعندما نقول: أسد يحمل السيف، فقد استعملنا لفظ" أسد" في غير ما وضع له لغة؛ إذ وضع لغة للحيوان المفترس المعروف، ونحن جعلناه هنا للرجل الشجاع، والسبب في هذا الاستعمال وجود العلاقة بين الرجل الحامل للسيف والأسد وهي الشجاعة، وهناك قرينة مانعة من أن يكون المراد بالأسد هنا هو الحيوان المفترس وهي: استحالة حمل الأسد للسيف.

(وهي) أي: القرينة- وهي منقسمة باعتبارين؛ الاعتبار الأول-(:

(1- إما مانعةٌ فقط) من إرادة المعنى الأصلي (؛ نحو: بحرٌ في المسجدِ) أي: إنسان في سعة العلم كالبحر، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي للبحر هي وجوده في المسجد.

(2- وإما معيِّنةٌ) للمراد (؛ نحو: بحرٌ يحلُّ مشكلاتِ المسائلِ) فقوله: "يحلُّ مشكلاتِ المسائلِ" قرينة تعين المراد من تشبيه ذلك الإنسان بالبحر، حتى استطاع بذلك حل المسائل المشكلة على ذوي العلم؛ لسعة علمه، ودقة فهمه.

(وهي) بالاعتبار الثاني (أيضًا:

(1- إما لفظيةٌ) تفهم من اللفظ والسياق (؛ نحو: بحرٌ في المسجد) فجملة" في المسجد" قرينة لفظية صرفت كلمة" بحر" عن الماء الكثير المالح إلى المرء واسع العلم.

(2-وإما معنوية) تفهم من الحال وبالعقل (؛ نحو: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾[النساء:54]، يعني: النبيَّ ﷺ) فالعموم في " الناس" قرينة معنوية صرفتها عن جميع الناس إلى النبي الكريم؛ لأنهم لا يحسدون الناس كلهم في النبوة، بل رسولنا الكريم وحده؛ بدليل سياق الآيات.

أقسام المجاز اللغوي:

(وينقسمُ المجازُ اللغويُّ إلى:

(1- مفردٍ. 2- ومركبٍ.

والمفردُ ينقسمُ إلى:

1-مرسلٍ. 2- واستعارةٍ).

أقسام المجاز اللغوي المفرد:

(أ- المجازُ المرسلُ:) المرسل لغة: من الإرسال بمعنى الإطلاق، والإطلاق ضد التقييد، وسمي هذا القسم مرسلاً لكونه مرسلاً عن التقييد بعلاقة المشابهة كما في الاستعارة، **وقيل:** لأنه لم يقيّد بعلاقة مخصوصة، بل تردّد بين علاقات كثيرة.

اصطلاحًا: (هو: ما كانت علاقتُه غيرَ المشابهةِ) بين المعنيين: المعنى الأصلي، والمعنى المجازي.

وبمعنى أكثر تفصيلاً وإيضاحًا: "هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له، لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

كما في قولنا: "أمطرت السماء نباتًا" فلفظ النبات مجاز مرسل؛ لأنه كلمة استعملت في "الماء"، وهو غير المعنى الموضوع له لفظ "النبات". وقرينة استعماله فيه قولك: أمطرت السماء؛ إذ إن النبات لا يمطر، وليست العلاقة بين

النبات والماء المشابهة؛ لبعد التباين بين الحقيقتين، وإنما العلاقة بينهما من حيث إن أحدهما مسبب عن الآخر، وليس من شك أن النبات مسبب عن الماء"[1]. وعلاقة المجاز المرسل معناها: أن يكون هناك تلازم وترابط يجمع بين المعنيين، ويسوغ استعمال أحدهما في موضع الآخر[2].

وقد أحصى البيانيون ما يزيد على عشرين علاقة من العلاقات التي يَسْمَحُ كل واحد منها باستعمال المجاز المرسل لدى وجوده بين المعنى الأصلي للفظ، والمعنى الآخر الذي يطلق عليه اللفظ مجازاً، ذكر المصنف منها سبعًا، وهي على النحو الآتي:

(؛ كـ:

(1 - السببيةِ) وهي: أن يكون المعنى الموضوع له اللفظ المذكور سببًا في المعنى المراد فيطلق السبب على المسبَّب **(؛ نحو: رعينا الغيثَ، أي: النباتَ الذي سببُه الغيثُ) فالغيث مجاز** مرسل علاقته السببية؛ لأن المعنى الحقيقي للغيث سبب في المعنى المراد الذي هو النبات، وقرينة المجاز قولهم: رعينا؛ إذ الغيث لا يُرعى.

(2 - والمسبَّبيَّةِ) وهي: أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور سببًا عن المعنى المراد **(؛ نحو: أمطرت السماءُ نباتًا، أي: غيثًا يتسببُ عنه النباتُ)**

---

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (3/ 294).

(2) البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 201).

فقولـك: "أمطـرت الـسماء نباتًـا" أي: مـاء "فالنبـات" مجـاز مرسـل علاقتـه المسببية؛ لأن المعنى الأصلي "للنبات" مسبب عـن المعنى المـراد الـذي هـو "الماء"، والقرينة: قوله: "أمطرت"؛ إذ إن النبات لا يمطِر.

(3- والكُليَّةِ) وهي: أن يكون المعنى الأصلي للفظ المـذكور كـلًّا متضمنًا للمعنى المـراد **(؛ نحـو: ﴿يَجْعَلُـونَ أَصَـابِعَهُمْ فِـي آذَانِهِـمْ﴾[البقـرة: 19]، أي: أناملَهم) ففي ﴿أَصَـابِعَهُمْ﴾** مجـاز مرسـل علاقتـه الكليـة؛ لأن المعنـى الأصـلي للأصابع -كل الأنامل- متضمن لها، والقرينـة استحالة وضـع الإصـبع كلهـا في الأذن عادة.

(4- والجُزئيةِ) وهي: أن يكون المعنـى الأصـلي للفـظ المـذكور جـزءًا مـن المعنـى المـراد **(؛نحـو: فـلانٌ عـينٌ، أي: جاسـوسٌ)** ففـي "عـين" مجـاز مرسـل علاقته الجزئية؛ لأن المعنى الأصلي للعـين جـزء مـن الإنـسان الجاسـوس؛ لأنّ أعظم أدوات تجسُّسه عيْنُه.

(5- والحالِّيَّـةِ) وهـي: أن يكـون المعنـى الأصـلي للفـظ المـذكور حـالًّا في المعنى المراد **(؛ نحو: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللهِ﴾[آل عمران:107]، أي: الجنـةِ)** التـي هـي محـل الرحمـة، والقرينـة اسـتحالة ظرفيـة الرحمـة بمعناهـا الحقيقـي؛ وقـد قـال سبحانه عقب الجملة السابقة: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

ونلحظ هنا أنه تعالى أطلق على الجنة رحمة؛ وذلـك لكثـرة رحمـة الله فيهـا أهلَها، فكأنها هي الرحمة نفسها، مع ما في حرف " في" من الدلالـة على الـتمكن والاستقرار داخل تلك الرحمة، نسأل الله من فضله.

(6- والمحليَّةِ) وهي: أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور محلاً للمعنى المراد (؛ **نحو**: ﴿**فَلْيَدْعُ نَادِيَه**﴾[العلق:17]، **أي: جماعتَه**) ففي ﴿**نَادِيَهُ**﴾ مجاز مرسل علاقته المحلية؛ لأن المعنى الأصلي للفظ "النادي" محل للمعنى المراد الذي هو الأهل، والقرينة استحالة دعاء النادي بمعناه الحقيقي.

(7- والآليَّةِ) وهي: أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور آلة، ووسيلة للمعنى المراد (؛ **نحو**: ﴿**وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ**﴾[الشعراء:84]، **أي: ذكرًا حسنًا**) ففي ﴿**لِسَانَ صِدْقٍ**﴾ مجاز مرسل علاقته الآلية؛ لأن اللسان بمعناه الأصلي آلة وواسطة للذكر الحسن الذي هو المعنى المراد، والقرينة: استحالة بقاء هذه الجارحة بمعناها الحقيقي فيمن يأتي من الأمم بعد.

(وغير ذلك) كاللازمية والملزومية، والمجاورة، واعتبار ما كان، واعتبار ما سيكون.

(ب- الاستعارةُ) الاستعارة لغة: رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر، يقال: استعار فلان سهمـاً من كنانته: رفعه وحوّله منها إلى يده، وعلى هذا يصح أن يقال: استعار إنسان من آخر شيئًا، بمعنى أن الشيء المستعار قد انتقل من يد المعير إلى المستعير للانتفاع به.

وهذا الحكم جار في استعارة الألفاظ بعضها من بعض، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر[1].

---

(1) علم البيان (ص: 167).

اصطلاحًا: (هي: مجازٌ علاقتُه المشابهةُ) بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي. أو نقول: "هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له في اصطلاحٍ به التخاطب، لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه، والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي[1].

أقسام الاستعارة:

(وتنقسمُ إلى:

(1 - تصريحيةٍ. 2 - ومكنيةٍ. 3 - وتخييلية.

فالتصريحية: ما صرِّحَ فيها بلفظِ المشبهِ به فقط؛ نحو: أسدٌ في الحَمَّامِ، المرادُ بالأسدِ: الرجلُ الشجاعُ، بقرينةِ كونِه في الحمام؛ لأنَّ الأسدَ الحقيقيَّ لا يدخلُه، فشبَّهَ الرجلَ الشجاعَ به، ووجهُ الشبه: الجراءةُ في كُلٍّ) ففي هذا المثال استعارة تصريحية حيث صرح بلفظ المشبه به وهو "الأسد"، والجامع بينه وبين المشبه الشجاعة.

(وكذا قولُه تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ﴾[آل عمران:103]**)** فيها " استعارة تصريحية تبعية؛ حيث شبه الوثوق بالاعتصام، واستعار الاعتصام للوثوق، واشتق من الاعتصام ﴿وَاعْتَصِمُوا﴾ بمعنى ثقوا"[2].

---

(1) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 258)، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 259).

(2) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (5/ 48).

(وقولُه: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:6]) حيث شبه الدين الحق بالصراط وهو الطريق؛ لاستقامته، أو لتشابههما في أن كلاً يوصل إلى المطلوب، وهي استعارة تصريحية (وقولُكَ: رأيتُ ليثًا على جوادٍ يهزمُ الأعداءَ، ونحو ذلك) ففي هذا المثال استعارة تصريحية؛ حيث شبه الفارس بالأسد، ووجه الشبه الشجاعة بينهما، وقوله: "على جوادٍ يهزمُ الأعداءَ" قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي وهو الحيوان المفترس، ولما كان الركوب من ملائمات المشبه فهي استعارة مجردة، كما سيأتي.

(وتنقسمُ) أي: الاستعارة التصريحية[1] (إلى:

1 - أصليةٍ 2 -وتبعيةٍ.

فالأصليةُ: ما كانَ المستعارُ فيها اسمَ جنسٍ جامدًا) غير مشتق؛ كأسماء الذوات؛ كقمر وأسد، وأسماء المعاني كالقتال، والإذلال (؛ كالأمثلةِ المذكورةِ) وهي: أسد، حبل، الصراط، ليث.

(1) قلت: وأيضًا "تنقسم المكنية كالتصريحية إلى أصلية وتبعية، وإلى مرشحة ومجردة ومطلقة. فالأصلية كاستعارة اسم الجنس في نحو قول الشاعر: "وإذا العناية لاحظتك عيونها" فالمستعار هنا لفظ "إنسان" المحذوف وهو اسم جنس. والمكنية التبعية كاستعارة اسم المشتق في قولك: يعجبني إراقة الضارب دم الباغي، وإجراؤها أن يقال: شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع الإيذاء الشديد، واستعير القتل للضرب الشديد، واشتق من القتل "قاتل" بمعنى ضارب ضربًا شديدًا، ثم حذف ودل عليه بلازمه وهو "الإراقة" والقرينة إثبات الإراقة للضارب..."، المنهاج الواضح للبلاغة (1/ 123).

"**وسميت أصلية**؛ نسبة إلى الأصل بمعنى الكثير الغالب، ولا شك أنها أكثر وجودًا في الكلام من التبعية الآتية بعد، أو نسبة إلى الأصل بمعنى الاستقلال وعدم التبعية لاستعارة أخرى"[1] أو" لعدم بنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخر معتبر أولاً"[2].

(والتبعيةُ هي: استعارةُ الفعلِ، أو الحرفِ، أو الاسمِ المشتقِّ) أي: ما كان اللفظ المستعار فيها فعلاً، أو حرفًا، أو اسمًا مشتقًا **(فالفعلُ كـ: نطقتِ الحالُ، أي: دلَّتْ، شُبِّهت الدلالةُ الواضحةُ بالنطقِ بجامعِ الإفهامِ في كُلٍّ، واستُعيرَ النطقُ للدلالةِ، واشتُقَّ منه "نطقَ" بمعنى: دلَّ)** على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. فالنطق -كما هو معلوم- وصف للإنسان لا للحال، وإنما توصف الحال بالدلالة.

"**فلا تقول**: نطقت الحال بدل دلت إلا بعد استعارة نطق الناطق؛ لدلالة الحال على الوجه الذي عرفت من إدخال دلالة الحال في جنس نطق الناطق؛ لقصد المبالغة في التشبيه"[3].

(وكذا المشتقُّ؛ نحو: الحالُ ناطقةٌ) بدل دالَّة، والمشتق هنا اسم الفاعل. والمشتق يشمل اسم الفاعل -كما ذكر المصنف في هذا المثال- واسم المفعول، والصفة المشبهة، وأفعل التفضيل، واسمي الزمان والمكان، واسم الآلة[4].

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (1/ 108).

(2) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 264).

(3) تحقيق الفوائد الغياثية (2/ 740).

(4) ينظر في أمثلتها مع توضيحها: المنهاج الواضح للبلاغة (1/ 111) وما بعدها.

(ومثالُها في الحرفِ: قولُه تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه:71]، **أي: عليها؛ شبهَ مطلقَ الاستعلاءِ بمطلقِ الظرفيةِ، فسرى التشبيهُ في الجزئياتِ، واستعيرت "في" من بعضِ جزئياتِ المشبهِ به لبعضِ جزئياتِ المشبهِ)** فلفظ" فِي" مستعمل في غير ما وضع له في هذه الآية؛ لأن جذوع النخل لا تصلح للظرفية الحقيقية، لكن لما كانت هذه الجذوع متمكنة منهم؛ لأن مراد فرعون شدة التعذيب وإحكام الصلب؛ شبهت الجذوع بالظرف الحقيقي في هذا التمكن، واستعمل فيها لفظ "في" على سبيل الاستعارة التبعية، ويقال في إجرائها: شبهت الجذوع بالظرف بجامع التمكن، ثم استعير لفظ "في"، وهو جزئية من جزئيات المشبه به، واستعمل في المشبه[(1)][(2)].

وقد سميت هذه الاستعارة تبعية؛ " لأن جريانها في المشتقات، والحروف تابعٌ لجريانها أولاً في الجوامد، وفي كليات معاني الحروف، يعني: أنها سميت تبعية لتبعيتها لاستعارة أخرى؛ لأنها في المشتقات تابعة للمصادر، ولأنها في

(1) البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 178).

(2) **قلت**: على أن هذا المثال القرآني فيه تنازع بين أهل العلم: هل هو من باب تناوب الحروف، أو من باب التضمين؛ فـ"هذا المثال ليس من اللاَّزِم أن يكون وارداً على سبيل الاستعارة في الحرف، بل الأقرب أن يكون الكلامُ جَارِياً على طريقة التَّضْمِين، وهو هنا تضمين فعل: ﴿لأُصَلّبنكم﴾ معنى فعل آخر يتعدّى بحرف الجرّ "في" فعُدِّي تعديته، وأصل الكلام: لأصلبنكم عَلَى جذوع النَّخْل ولأُثَبّتَنَّكُمْ فيها بالْمَسَامِير التي تَدْخُل في الجذوع، فَنَابَتِ التعدية بحرف الجرّ "في" مناب ذكر الفعل الذي حُذِف، وَضُمِّنَ الْفِعْلُ المذكُورُ معناه"، ينظر: البلاغة العربية (2/ 239)، وينظر أيضًا: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص: 151)، (ص: 224)، مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص: 18)، التفسير البسيط (14/ 464).

معاني الحروف تابعة لمتعلّق معانيها؛ إذ معاني الحروف جزئية، لا تتصور الاستعارة فيها إلا بواسطة كلي مستقل بالمفهومية ليتأتى كونها مشبهًا، ومشبهًا بها، أو محكومًا عليها، أو بها"[1][2].

(وأما المكنيةُ -وتُسمى استعارةً بالكنايةِ- فهي: ما ذُكِرَ فيها لفظُ المشبهِ، وحُذفَ لفظُ المشبهِ به، ورُمزَ له بشيءٍ من لوازمِه)؛ ولذلك سميت مكنية؛ لأنه لم يصرح بلفظ المشبه به، وإنما صرح ببعض خواصه وهي المراد باللوازم، وكني عنه بها **(؛ نحو: شجاعٌ يفترسُ أقرانَه؛ شبهَ الرجلَ الشجاعَ بالأسدِ، وحذفَ لفظَ الأسدِ، وذكرَ لازمَه وهو الافتراسُ، فإثباتِ الافتراسِ هو القرينةُ، ويسمى)** هذا الإثبات **(تخييلاً، واستعارةً تخييليةً، فالتخييليةُ هي: قرينةُ المكنيةِ)** فالمكنية هي لفظ المشبه به المستعار في النفس للمشبه، والمحذوف المدلول عليه بشيء من لوازمه، **والتخييلية**: هي إثبات لازم المشبه به للمشبه؛ كقول الْهُذَلي:

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا ... أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لاَ تَنْفَعُ

---

(1) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 266).

(2) **تنبيه**: في هذه التحليلات التي يذكر البلاغيون للاستعارة التبعية، وتقسيم التصريحية إلى أصلية وتبعية بعض العسر والإطالة؛ **ولذلك قال الميداني**: " لا داعي لإطالة الطريق على الدارس لنصوص الاستعارة بإجراءات تحليليّة لا لُزُومَ لها، وما أحْسِبُ شيئًا منها يَخْطُرُ في ذهن شاعر أو ناثر يصوغ كلامًا يضمّنُه استعاراتٍ في الأفعال أو في الأسماء أو في الحروف. فالرأيُ الذي انتهيتُ إليه: أنْ نَصْرف النظر في بحوث الاستعارة عن تقسيمها إلى أصليّة وتبعيّة، وحسبنا في كلِّ ذلك أن نقول: استعارةُ كلمة بدل كلمة، سواءٌ أكانت اسمًا أمْ فعلاً أمْ حرفًا"، البلاغة العربية (2/ 241).

فـ"**قرينة المكنية**: هي إثبات لازم المشبه به المحذوف للمشبه المذكور؛ كإثبات الأظفار "للمنية" في بيت الهذلي المتقدم؛ فإن إثباتها لها قرينة على أنها مشبهة بما له أظفار "كالأسد"، وأن لفظ "الأسد" مستعار في النفس للمنية. وإثبات هذا اللازم يسمى عندهم "استعارة تخييلية"؛ أما أنه استعارة فلأن اللازم المذكور -وهو الأمر المختص بالمشبه به- قد استعير "للمشبه" واستعمل معه، وأما أن الاستعارة تخييلية فلأن ذلك اللازم لما نقل واستعمل مع المشبه خيل للسامع أن المشبه من جنس المشبه به، **ومن هنا يتبين لك أمران:**

الأول: أن قرينة المكنية استعارة تخييلية دائمًا، وأنهما متلازمان فلا توجد إحداهما بدون الأخرى؛ لأن المكنية لا بد لها من قرينة، وقرينة المكنية لا تكون إلا تخييلية "كما عرفت".

الثاني: أن طرفي الاستعارة التخييلية مستعملان في المعنى الحقيقي لهما "فالأظفار والمنية" كلاهما مستعمل في المعنى الموضوع له، والتجوز إنما هو في إثبات الأظفار للمنية؛ إذ إن المنية لا أظفار لها، فهو إثبات الشيء لغير ما هو له"[1].

(ويصحُّ جريانُها) أي: المكنية **(في مثلِ: نطقتِ الحالُ، بتشبيهِ الحالِ بإنسان ... إلخ) يعني**: هذا المثال تقدم أن فيه استعارة تصريحية تبعية، وهنا يذكر المصنف أنه يصح جعله استعارة مكنية؛ ففي التصريحية كان التشبيه للدلالة

---

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (1/ 122).

الواضحة بالنطق، وفي المكنية تشبيه الحال بإنسان حذف، وأتي بشيء من لوازمه وهو النطق، والقرينة-وهي التخييل- إثبات هذا اللازم للمشبه وهو الحال.

(وكذا قولُه تعالى: ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ﴾[البقرة:27]) ففيها استعارة مكنية؛ حيث شبه العهد بالحبل، وحذف المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه، وهو النقض، وسمي العهد حبلاً لأنه يربط بين المتعاهدين بإحكام كما يربط الحبل بين الشيئين كذلك.

المجاز المركب:

بعد أن انتهى المؤلف من ذكر قسمي المجاز المفرد-وهما: المجاز المرسل، والاستعارة-والمجاز المفرد هو القسم الأول من قسمي المجاز اللغوي؛ شرع في تفصيل قسيم المجاز المفرد وهو المجاز المركب فقال:

(المجازُ المركبُ: إن كانتِ العلاقةُ المشابهةَ فهو استعارةٌ تمثيليةٌ)

وتوضيح هذا أن نقول: ينقسم المجاز المركب إلى قسمين: المجاز المركب بالاستعارة التمثيلية، والمجاز المركب المرسل.

أولاً: المجاز المركب بالاستعارة التمثيلية[1]، **وهو**: "تركيب استعمل في

---

(1) **قلت**: سميت تمثيلية -مع أن التمثيل عام في كل استعارة- للإشارة إلى عظم شأنها، كأن غيرها ليس فيه تمثيل أصلاً؛ إذ الاستعارة التمثيلية مبينة على تشبيه التمثيل، ووجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد؛ لهذا كان أدق أنواع التشبيه، وكانت الاستعارة المبنية عليه أبلغ أنواع الاستعارات؛ ولذلك كان كل من تشبيه التمثيل، والاستعارة التمثيلية غرض البلغاء، ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 275).

غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعي، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيأة منتزعة من متعدد - وذلك بأن تشبه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين، أو أمور بأخرى، ثم تدخل المشبه في الصورة المشبه بها مبالغة في التشبيه"[1]؛ **كقوله تعالى:** ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران:187]، وحقيقة الكلام: فتركوا الميثاق، ولم يعتدوا به إهمالًا لأمره، وتهوينًا من شأنه.

وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبهت هيئة من أخذ عليهم الميثاق فأهملوه، ولم يراعوه بهيئة من كان معه شيء لا يهمه، ولا قيمة له عنده، فطرحه وراء ظهره، والجامع بينهما الهيئة الحاصلة من شيء يهمل احتقارًا لشأنه، ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه، بعد تناسي التشبيه، وادعاء الاتحاد على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة حالية؛ لأن التاركين للميثاق لم يطرحوا شيئًا وراء الظهور حقيقة، فحالتهم على غير ما يفيده هذا التركيب وضعًا"[2].

وقد مثل المؤلف على هذا القسم فقال: (؛ كقولِكَ للمترددِ في فعلِ أمرٍ: إنك تُقدِّمُ رِجلاً وتؤخرُ أُخرى، شُبهتْ حالةُ الشخصِ في ترددِه في الفعلِ والتركِ بحالِ من يترددُ في المشي، فيقدِّمُ رجلَه تارةً) ليُقدِم (ويؤخرُها أخرى) ليُحجِم (بجامعِ أنَّ كُلًّا) من حال المتردد في الأمر، وحال المتردد في المشي (هيئةُ) صورة (ترددٍ منتزعةٌ من متعددٍ، واستعيرَ المركبُ من معناه الأصليِّ) وهي

(1) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 275).

(2) المنهاج الواضح للبلاغة (1/ 144).

صورة التردد لشخص في المشي؛ فتارة يقدم رجلاً ليذهب، وتارة يؤخر أخرى ليرجع (لهذا المعنى) المعنوي وهو التحير لشخص في أمر لا يدري: هل يُقدِم عليه أو لا؟ وإذا اشتهرت الاستعارة التمثيلية، وكثر استعمالها سميت مثلاً، ولا يغيَّر ذلك المثل مطلقًا؛ محافظة على الاستعارة، فيخاطب به المفرد، والمذكر، وفروعهما بطريقة واحدة"[1]؛ **ولذلك قال المؤلف: (ويجري ذلكَ)** القسم من المجاز المركب **(في سائرِ الأمثال؛ نحو: "الصيفَ ضيَّعتِ اللبنَ") قال الميداني:** والتاء من "ضيعت" مكسور في كل حال إذا خوطب به المذكر والمؤنث والاثنان والجمع؛ لأن المثَلَ في الأصل خوطبت به امرَأة، وهي دَخْتَنُوس بنت لقيط بن زرارة كانت تحت عمرو بن عُدَاس، وكان شيخًا كبيراً فَفَرِكَتْهُ (فركته: كرهته) فطلقها، ثم تزوجها فتى جميل الوجه، فلما أجْدَبَتْ بعثت إلى عمرو تطلب منه حَلُوبة، فَقَال عمرو " الصيف ضيعت اللبن" فلما رجع الرسُولُ وقَال لها ما قَال عمرو ضربَتْ يَدَها على منكب زوجها، وقَالت "هذا ومَذْقُه خَيرٌ" تعني: أن هذا الزوج مع عدم اللبن خيرٌ من عمرو، فذهبت كلماتها مَثَلاً.

فالأول يضرب لمن يطلب شيئًا قد فَوَّته على نفسه، **والثاني يضرب** لمن قَنَع باليسير إذا لم يجد الخطير.

وإنما خص الصيف لأن سؤالها الطلاقَ كان في الصيف، أو أن الرجل إذا لم يطرق ماشيته في الصيف كان مضيعًا لألبانها عند الحاجة[2].

---

(1) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 287).

(2) مجمع الأمثال (2/ 68).

ثانيًا: المجاز المركب المرسل، وهو: "اللفظ المركب المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي"[(1)]؛ **ولذلك قال المؤلف: (وإنْ لم تكنْ علاقتُه المشابهةَ فليسَ استعارةً) وهذا القسم أنواع:**

1- المركبات الخبرية المستعملة في المعاني الإنشائية، إما للتحسر وإظهار الحزن؛ **نحو:**

ذهب الشباب فما له من عودة وأتى المشيب فأين منه المهرب

وإما للدعاء؛ نحو: وفقك الله، نجح الله مقاصدنا.. إلى غير ذلك من المقاصد التي يستعمل فيها الخبر ويكون غير مراد به الفائدة ولا لازمها، والعلاقة في مثل هذا: اللازمية؛ إذ يلزم من الإخبار بذهاب الشيء المحبوب كالشباب مثلاً التحسر عليه، وهكذا يقال في نظائره، والقرينة حالية.

2- المركبات الإنشائية المستعملة في المعاني الخبرية؛ نحو قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: **"من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار"**، **بمعنى**: يتبوأ، والعلاقة في نحو هذا السببية؛ لأن إنشاء المتكلم هذه الجملة سبب لإخباره بما تتضمنه، قال العيني في شرح البخاري: "فليتبوأ" أمر من التبوء، وهو: اتخاذ المباءة والمنزل، وظاهره أمر، ومعناه خبر.

3- الجمل الإنشائية، فعلية كانت أو اسمية، المأتي بها لما يتولد منها من

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (3/ 313).

إنكار ونحوه، والعلاقة في نحو هذا المجاورة؛ نحو: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾[الشعراء: 18][1].

ومن النوع الأول: ما ذكره المؤلف بقوله:

(؛ كقولِه(2):

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ اليَمَانينَ مُصْعِدٌ جَنِيبٌ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثَقُ

أصلُ هذا التركيبِ الإخبارُ بأنَّ محبوبَه ذهب مُبعِدًا، وأن شخصَه مقيدٌ بمكةَ، فنقلَ إلى التحزنِ والتحسرِ؛ لعلاقة اللزومِ) فهو يشير إلى الأسف والحزن الذي ألم به من فراق الأحبة، ويتحسُّر على ما آل إليه أمرهُ، والقرينة على ذلك حال المتكلم، كما يفهم من الشطر الثاني في قوله: **(هواي... إلخ)** "[3].

تقسيم الاستعارة باعتبار الملائم في الطرفين وعدمه:

(ثم إن الاستعارةَ:

(1- إنِ اقترنتِ بما يلائِمُ) يوافق **(المشبهَ به)** وهو المستعار منه **(سُمِّيتْ "مرشَّحةً")** وقد سميت "مرشحة" لأن الترشيح معناه التقوية، وذكر ملائم المشبه به يبعدها عن الحقيقة ويقوي فيها دعوى الاتحاد التي هي مبنى

---

(1) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 286).

(2) [**جعفر بن علبة، شاعر مقل من شعراء الدولتين: الأموية والعباسية، والبيت من قصيدة قالها وهو مسجون بمكة**] **قلت**: ينظر الكلام بالتفصيل عن لغة البيت وصرفه، وغرضه ومعناه، مع أبيات أخرى معه: شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي (ص: 41).

(3) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 274).

الاستعارة. فما اقترن بها يعطيها زيادة تقوية للمستعار منه بزيادة أغطية تحتاج زيادة عمل ذهني لكشف إرادة المعنى المجازي الذي استعمل اللفظ للدلالة عليه[1]؛ (نحو: أسدٌ في الحَمَّامِ له لِبَدٌ) هذه العبارة اقترنت الاستعارة فيها بما يلائم المستعار منه وهو الأسد؛ إذ اللبد-جمع لبدة وهي الشعر المتراكب بين كتفي الأسد-تناسب المشبه به وهو الأسد، وقوله: "في الحمام" قرينة تصرف المعنى الأصلي وهو الأسد إلى المعنى المجازي وهو الرجل الشجاع، فصحت الاستعارة؛ فإنه لو قال: أسد له لبد، لم يكن هناك استعارة.

وأحسن من هذا: قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[البقرة:16]؛ استعير الاشتراء للاختيار، واشتق منه ﴿اشْتَرَوْا﴾ بمعنى: اختاروا، ثم فرع عليه بما يلائم المستعار منه من نفي الربح والتجارة؛ ترشيحًا للاستعارة.

(2-وإن اقترنت بما يلائمُ المشبهَ) المستعار له **(زيادةً عن القرينة)**؛ لأن القرينة لابد منها في الاستعارة، فهي جزء أصيل منها، فلو قال شخص: أماميْ أسدٌ، وعدمت هذه الجملة قرينة لفظية أو حالية فليس فيها استعارة، بل تكون على الحقيقة للحيوان المفترس، ولكن لو وجدت قرينة لفظية مثل: أمامي أسد يخطب، أو حالية تدل على الرجل الشجاع؛ فهي استعارة **(سميت " مجرَّدةً")** "وسميت "مجردة" لتجردها عما يقوي فيها دعوى الاتحاد، ذلك أن ذكر ملائم المشبه يدنيها من المعنى الحقيقي ويضعف فيها دعوى اتحاد الطرفين؛ لأن المقارنات

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (1/ 114)، البلاغة العربية (2/ 253).

الملائمات للمستعار له تجرد الاستعارة من أغطيتها الساترة، فيظهر المعنى المجازي المراد دون تأمل فكري"[1] (؛ نحو: أسدٌ في الحَمَّامِ له رمحٌ) فالرمح من ملائمات المشبه" المستعار له" وهو الرجل الشجاع، وكذلك الحمام.

(3- وإن لم تقترن بشيءٍ من ذلكَ) المذكورِ للمشبه والمشبه به (فـ)هي ("مطلَقةٌ")؛ نحو: رأيت أسداً، إذا كانت القرينة حالية (وكذا إن اقترنت بما يلائمُ كلاً منهما، نحو: أسدٌ في الحَمَّامِ له لِبَدٌ ورمحٌ") فقولك: رمح، في الحمام، تجريد؛ لأنه من ملائمات المشبه وهو الرجل الشجاع، و" له لبد" ترشيح؛ لأنه من ملائمات المشبه به وهو "الأسد"، فصارت بذلك مطلقة.

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (1/ 115)، البلاغة العربية (2/ 253).

الكِنايةُ

الكناية لغة: ترك التصريح، أو ما يتكلم به المرء ويريد به غيره؛ **قال الشاعر:**

وإِنِّــي لأَكْنُــو عَــنْ قَــذُورَ بغَيْرِهَــا وأُعْــرِبُ أَحْيَانــًا بهَــا وأُصَــارِحُ[(1)]

اصطلاحًا: **(هي: لفظٌ استعملَ في لازمِ معناه، مع قرينةٍ لا تمنعُ من إرادةِ المعنى الأصليِّ)** **أي:** أنها لفظ استعمل في لازم معناه لينتقل منه إلى الملزوم الذي هو معنى اللفظ الموضوع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي، وهذا هو الفرق بينها وبين المجاز؛ فالمجاز فيه قرينة مانعة من إرادةِ المعنى الأصلي.

ويقول عبد القاهر في تعريف الكناية: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه"[(2)].

فقوله: "هو تاليه وردفه في الوجود"، هو ما عبر عنه متأخرون باللازم؛ لأن اللازم يتبع الملزوم فهو إذن تالٍ وردف له. وقوله: "يومئ به إليه"، بيان لطبيعة الكناية؛ ففيها إيماء إلى المعنى وإشارة، لا كشف ومباشرة، وتلك سمة الأدب، فهو لا يعبر وإنما يومض إيماضًا تستطيب النفس لمحته[(3)].

---

(1) النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب (2/ 166).

(2) دلائل الإعجاز (ص: 51).

(3) البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 249).

أقسام الكناية:

تنقسم الكناية إلى ثلاثة أقسام:

1- **كناية عن موصوف**، وهي: التي يصرح فيها بالصفة وبالنسبة، ولا يصرح بالموصوف.

2- **كناية عن صفة**، وهي: أن يصرح بالموصوف وبالنسبة، ولا يصرح بالصفة المرادة، بل يذكر مكانها صفة تومض إليها، وتدل عليها.

3- **كناية عن نسبة**، وهي: ما صرح فيها بالموصوف وبالصفة، ولم يصرح بنسبة الصفة إلى الموصوف، بل يذكر مكانها نسبة أخرى تستلزم نسبتها إليه[1].

وقد أشار المؤلف إلى هذا بالأمثلة التي ساقها، حيث قال: **(نحو: فلانٌ كثيرُ الرمادِ)** فهذه الجملة كناية عن الكريم وصفة الكرم؛ " لأن كثرة الرماد عندهم من كثرة إيقاد النار، وكثرة إيقاد النار من كثرة الطبخ عليها، وكثرة الطبخ تدل على كثرة الضيوف بحسب العادة"[2]، **وهنا نرى أنه لا مانع من أن يراد بهذه الجملة** "المعنى الأصلي وهو وفرة الرّماد حول بيته؛ لأنّ النيران المشتعلة باستمرار تخلّف الرّماد الكثير المتراكم"[3]، وبهذا نعلم أن الكناية يحددها السياق والحال.

(1) البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 253)، (ص: 258)، (ص: 262).

(2) البلاغة العربية (1/ 48).

(3) علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» (ص: 242).

(أو جبانُ الكلبِ، أو مهزولُ الفصيلِ، كنايةً عن كرمِه) يعني: هذه الجمل الثلاث كناية عن صفة الكرم، وقد تقدم توضيح الجملة الأولى، أما الجملتان الأخريان فهما من بيت الشاعر القائل:

ومــا يــك فيَّ مــن عيــبٍ فــإني جبــانُ الكلــبِ مهــزولُ الفــصيلِ

أشار بذلك إلى كثرة غشيان الضيوف، حتى إن الكلب مما أنس جبن أن ينبح، فضلاً عما سوى ذلك، وهزال فصيله دال على أن الألبان مبذولة للضيفان، فقل ما بقي له منها[1].

وهذا من الكنايات البعيدة المشتملة على عدة وسائط: فـ"جُبن الكلب عن النباح يستلزم استمرار تأدبه، وهذا يستلزم دوام مشاهدته وجوهًا غريبة في بيت صاحبه، وذلك يدل على أن صاحبه مقصد الداني والقاصي، وهذا أيضًا بدوره يدل على اتصافه بالجود والكرم، وكذلك ينتقل من هزال الفصيل إلى الكرم بعدة وسائط... فهزاله دليل على فقد أمه، أو فقد لبنها، وهذا دليل على نحرها للضيوف، أو إيثارهم بلبنها، وذلك دليل الكرم والجود"[2].

(ومن ذلك: قولُه:

طَوِيــلُ النِّجَــادِ رَفِيــعُ الْعِمَــا دِ كَثِيــرُ الرَّمَــادِ إِذَا مَــا شَــتَا

كنايةً عن طولِ قامتِه، وشرفِه وكرمِه) فالشاعر يصف ممدوحه بثلاث

(1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه (1/ 318).

(2) البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 271).

صفات: طول القامة، والسيادة في قومه، وكثرة الجود، وقد عدل عن التصريح بهذه الصفات إلى الكناية عنها.

فالأولى: أنه طويل النجاد، والنجاد: حمائل السيف؛ لأنه يلزم من طول الحمائل طول الشخص، أما القصير فلا تكون معه حمائل طويلة.

والثانية: أنه رفيع أعمدة بيته، وهذا لا يكون إلا للشريف بين قومه، حيث يزدحم الناس عنده ويقصدونه.

والثالثة: أنه كريم بدلالة كثرة الرماد، وقد تقدم توضيح ذلك.

تنبيه: اشتهر عند بعضهم أن هذا البيت للخنساء في أخيها صخر، ولكنني حين رجعت إلى ديوانها لم أجده بهذا اللفظ، بل وجدت بيتين يقاربانه، **وهما قولها:**

طويل النّجادِ رفيع العما ... دِ سادَ عَشيرَتَهُ أمْرَدا[1]

وقولها:

طويل النّجاد رفيع العما ... دِ ليسَ بوَغْدٍ ولا زُمَّلِ[2]

ولهذا لم ينسب المؤلف البيت للخنساء ولا لغيرها.

(وقوله[3]:

---

(1) ديوان الخنساء(20).

(2) ديوان الخنساء (99).

(3) [**زياد بن الأعجم في عبد الله بن الحشرج، من سادات قيس**] **قلت:** وكان قد وفد هذا الشاعر على ابن الحشرج وهو أمير على نيسابور، فأمر بإنزاله وألطفه، وبعث إليه بما يحتاجه، فغدا =

إنَّ الـــسماحةَ والمـــروءةَ والنَّـــدَى ... في قُبَّـةٍ ضُـربتْ علـى ابـن الحَـشْرِجِ)

" أراد أن يثبت اختصاص ابن الحشرج بهذه الصفات، فترك التصريح بـذلك، والتصريح به أن يقول:" هو مختص بها" أي: ثابتة له دون غيره إلى أن جعلها في قبة مـضروبة عليـه، فـأخبر باختـصاص القبـة المـضروبة عليـه بالـسماحة؛ لـيفهم منـه اختصاصه بالسماحة؛ لأنه إذا اختص بالسماحة لزم أن تختص قبته"[1].

والسماحة والندى: الكـرم والجـود، **والمـروءة هـي**: "آداب نفـسانية تحمـل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق، وجميل العـادات، أو هـي كمال الرجولية"[2].

وهذا البيت كناية عن نسبة؛ وذلك حين جعل هـذه الـصفات الـثلاث تحـت قبة الممدوح.

ومن الأمثلة في الكناية عن الموصوف: قول أبي الطيب:

وَمَـــنْ فِـــي كَفِّـــهِ مِـــنْهُمْ قَنَـــاةٌ ... كَمَـــنْ فِـــي كَفِّـــهِ مِـــنْهُمْ خِـــضَابُ

= إليه فأنشده البيت السابق، **وبعده:**

مِلِـــكٌ أغـــرُ متـــوَّجٌ ذو نائـــلٍ ... للمعتفـــين يمينُـــه لـــم تـــشنجِ

يــا خيــر مــن صــعِدَ المنــابرَ بــالتقَى ... بعــد النبــي المــصطفى المتحــرج

لمـــا أتيتـــك راجيًـــا لنـــوالكمْ ... ألفيـــتُ بـــابَ نـــوالكم لـــم يـــرتجِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم. ينظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (2/ 173).

(1) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 215).

(2) المعجم الوسيط (2/ 860).

فقد كنى عن المرأة بصفة هي كون الخضاب في يدها، وعن الرجل بصفة هي كون القناة-يعني: الرمح- في يده؛ فهو يريد بهذه الصفة المكنى بها عن الموصوف بلوغهم في الضعف غاية لا غاية بعدها، حيث صار الرجل منهم كالمرأة في العجز عن مواجهة الحروب[1].

(1) البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 256).

فَنُّ البديعِ

قوله: (فَنُّ البديعِ) هكذا قال هنا:" فن" وفي المعاني، والبيان قال في كل منهما: "علم"، فلا أدري هل هو من المؤلف، أو ممن اعتنى بكتابه من بعده؟

والفن: الضرب من الشيء، والنوع منه، والرجلُ يُفَنِّنُ الْكَلَامَ أَي: يَشْتَقُّ فِي فَنٍّ بَعْدَ فنٍّ، والتَّفَنُّنُ فِعْلك، وَرَجُلٌ مِفَنٌّ: يأْتي بِالْعَجَائِبِ، وامرأَة مِفَنَّة[1].

ويمكن أن نفهم من هذا أن الفن مرادف العلم، وهو المتداول على ألسنة المعلمين والمتعلمين اليوم أن يقال: علم البلاغة، أو فن البلاغة، علم النحو، أو فن النحو، وهكذا.

تعريف فن البديع:

البديع لغة:

كلمة "بديع" على وزن "فعيل" تأتي لغة بمعنى اسم الفاعل، وبمعنى اسم المفعول؛ **يقال لغةً:** بَدَعَ فلانٌ الشيءَ يَبْدَعُهُ بَدْعًا إذا أنشأه على غير مثال سبَقَ، فالفاعل للشيء بَدِيع، والشيء المفعول بديع أيضًا. **ويقال أيضًا:** أبْدَعَ، أي: أتى بما هو مُبْتكر جديد بديع على غير مثال سبق، فهو مُبْدِع، والشيء مُبْدَعٌ، والبديع: الْمُحدث العجيب[2].

(1) ينظر: العين (8/ 371)، لسان العرب (13/ 326)، القاموس المحيط (ص: 1222).

(2) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (3/ 1183)، المحكم والمحيط الأعظم (2/ 33)، تاج العروس (20/ 307)، البلاغة العربية (2/ 368).

والمناسبة بين معنى البديع في لغة العرب وبين إطلاقه على المحسنات البديعية المخصوصة؛ هي: أن الشيء المبدَع المبتكر لا يخلو من الحسن والروعة والانبهار والطرافة، كما أن ألوان الكلام التي أطلق عليها المُحْدَثون اسم البديع تكسب الكلام حسنًا وجمالًا، وتخلع عليه بهجةً وجلالًا[1].

اصطلاحًا: **(هو: عِلمٌ يُعرفُ به وجوهُ تحسينِ الكلامِ، بعدَ مراعاةِ ما يَلزمُ مراعاتُه من عِلمَي المعاني والبيانِ)** وبمعنى آخر هو: "علم يعرف به تحسين وجوه الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة"[2].

فقوله: "علم يعرف به تحسين وجوه الكلام": أي: يتصور معانيها، ويعلم أعدادها وتفاصيلها بقدر الطاقة، **وقوله**: "بعد رعاية المطابقة": أي مطابقة الكلام لمقتضى الحال. **وقوله**: "ووضوح الدلالة" أي: رعاية وضوح الدلالة بالخلو عن التعقيد؛ للتنبيه على أن هذه الوجوه إنما تعد محسنة للكلام بعد رعاية الأمرين[3].

فـ"منزلة هذا العلم من علمي المعاني والبيان منزلة الطلاء يأتي بعد تمام البناء؛ ذلك أن هذين العلمين يبحثان صُلب المعنى من حيث المطابقة ووضوح الدلالة، فتحسينها للكلام ذاتي؛ لأنه راجع إلى ذات المعنى، أما البديع فتحسينه عَرَضي؛ لأنه يأتي بعد تحقيق ثمرة العلمين الآخرين، ومعنى هذا: أنه إذا خلا

(1) البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 296).
(2) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 224).
(3) المطول(652).

الكلام من رعاية المطابقة لمقتضى الحال التي هي ثمرة علم المعاني، أو من رعاية وضوح الدلالة على المعنى المراد التي هي ثمرة علم البيان، كان كلامًا ساقطًا لا يعتد به؛ لأنه فقد شرطي البلاغة أو أحدهما"[1].

أقسام المحسنات البديعية:

(**والمُحسِّناتُ**) جمعة محسِّنة-بكسر السين-أي: الوجوه المحسنة للكلام، وهذه المحسنات:

(**1- إما معنويةٌ، أي: يُقصدُ بها تحسينُ المعنَى) أو نقول**: "هي ما يشتمل عليه الكلام من زينات جمالية معنوية قد يكون بها أحيانًا تحسينٌ وتزيين في اللفظ أيضًا، ولكنْ تبعًا لا أصالة[2].

(**2-وإما لفظيةٌ، أي: يُقصدُ بها تحسينُ اللفظِ**) أو نقول: "هي ما يشتمل عليه الكلام من زينات جماليّة لفظيّة، قد يكون بها تحسين وتزيين في المعنى أيضًا، ولكن تبعًا لا أصالة[3].

وكل نوع من المحسنات تحته وجوه بديعية متعددة، اقتصر المؤلف على بعضها؛ طلبًا للاختصار.

---

(1) **عن بعضهم في**: البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 322).

(2) البلاغة العربية (2/ 369).

(3) البلاغة العربية (2/ 369).

المحسناتُ اللفظيةُ

الجناس

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فمنَ اللفظيةِ:

(أ) الجِناسُ) **وهو لغة:** المشاكلة، والاتحاد في الجنس.

(و)**اصطلاحًا:** (هو: تشابهُ اللفظينِ) " في النطق، واختلافهما في المعنى[1].

وهو أقسام:

(1-فإنْ لم يختلفا) **أي:** اللفظان اللذان تجانسا (في شيءٍ فـ" تامٌّ") **أي:** فهو جناس تام، وهو: "ما اتفق فيه اللَّفظان في أربعة أمور: في نوع الحروف. **وفي هيئتها** -أي: في حركاتها وسكناتها-، وفي عَدَدِها. وفي ترتيبها[2] (؛ **نحو**[3]:

مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فإنَّهُ ... يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ)

فقد وقع الجناس في قوله: (يَحْيَا) و(يَحْيَى)، وقد اتفقت كلتا الكلمتين في الأمور الأربعة السابقة.

---

(1)علم البديع (ص: 196).

(2) البلاغة العربية (2/ 487).

(3) [لأبي تمام] **قلت:** الجناس التام له أنواع، منها: المستوفَى، **وهو:** أن يكون اللّفظان المتشابهان فيه من نوعين مختلفين من أنواع الكلام؛ كأن يكون أحدهما اسمًا والآخر فعلاً، وبيت أبي تمام من هذا النوع؛ **فيحيا الأولى:** فعل، **ويحيى الثانية:** اسم.

(2-وإنِ اختلفا؛ فإنْ:

1-كانَ الاختلافُ في الهيئةِ فـ" محرَّفٌ"، كـ" جُبَّةُ الْبُرْدِ جُنَّةُ الْبَرْد")

فالجناس المحرف هو: ما اختلف فيه اللّفظان في هيئة الحروف، واتفقا في نوعها وعددها وترتيبها، ومثاله: ما ذكره المؤلف، فبين البُرد والبَرد جناس محرف؛ لاختلافهما في الهيئة؛ إذ إن الأول بضم الباء وهو: ضرب من الثياب، والثاني بفتحها وهو ضد الحر.

(2-وإنْ كانَ) الاختلاف (في حرفٍ فـ" مضارعٌ" إنْ تقاربا في المَخرجِ)

فالجناس المضارع هو: ما اختلف فيه اللّفظانِ المتشابهان في نوع حرف واحدٍ منهما مع تقاربهما في النطق، في الأول أو الوسط أو الآخر (؛ نحو: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾[الأنعام:26]) فالاختلاف بين الهاء والهمزة، وهما من مخرج متحد هو الحلق (، وإلا) يعني: وإن لم يحصل بينهما تقارب (فـ" لاحقٌ")

فجناس لاحق، وهو: ما اختلف فيه اللفظان المتشابهان في نوع حرف واحد منهما غَيْرِ مُتَقارِبَيْنِ في النُّطْق، في الأوّل أو الوسط أو الآخر (؛ نحو: ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[العاديات:7-8]) فالاختلاف بين الدال والهاء في" شديد، وشهيد"، وهما وسط الحرفين، ومخرجاهما متباعدان.

(3-وإنْ كانَ بنقصِ حروفِ أحدِهما عن الآخرِ فـ" ناقصٌ") والناقص هو: ما نقصت فيه حروف أحد اللفظين عن الآخر، مع اتفاق الباقي في النوع والهيئة والترتيب (؛ نحو[1]:

---

(1) [من قصيدة لأبي تمام يمدح بها أبا دُلَف العِجلي] قلت: قالوا: معنى: عواص: جمع عاصية =

(يَمُـدُّونَ مِـنْ أَيْـدٍ عَـوَاصٍ عَوَاصِـمٍ تَـصُولُ بِأَسْـيَافٍ قَـوَاضٍ قَوَاضِـبِ)

فالجناس في اللّفظين (عواص وعواصم) وفيه زيادة الميم في عواصم، وفي اللفظين (قواض وقواضب) وفيه زيادة الباء في قواضب.

(وقد يكونُ كلا المتشابهينِ مركَّبًا، أو أحدُهما، فيسمى " جناسَ التركيبِ") فجناس التركيب هو: ما كان أحد ركنيه كلمة واحدة، والأخرى مركبة من كلمتين"[1].

(الأولُ كقوله:

(إِلَـى حَتْفِـي سَـعَى قَـدَمِي أَرَى قَـدَمِي أَرَاقَ دَمِـي)

فنلاحظ هنا أن كلاً من الطرفين مركب؛ فالجناس في الشطر الثاني من البيت طرفُه الأول مركب من فعل مكون من ثلاثة أحرف، واسم مكون من أربعة" وهو: أرى قدمي"، ومثله الثاني، ولكن الثاني الفعل فيه مكون من أربعة أحرف" أراق" والاسم مكون من ثلاثة" دمي"، وقد اتفقت الجملتان في اللفظ، واختلفتا في الكتابة.

(والثاني) وهو: وجود التركيب في أحدهما دون الآخر **(كقوله**[2]**:**

= من عصاه: ضربه بالعصا. **وعواصم**: من عصمه: حفظه وحماه. **وقواض**: من قضى عليه: حكم. **وقواضب**: من قضبه: قطعه. أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: 22).

(1) علم البديع (ص: 202).

(2) [للفتح البُستي علي بن محمد الكاتب] **قلت**: قالوا: معناه "إذا لم يكن صاحب هبة وعطية فدولته ذاهبة لا بقاء لها"، زهر الأكم في الأمثال والحكم (1/ 300). **والشاهد الذي قبله** هو كذلك لأبي الفتح البستي- ولم ينسبه المؤلف لا إليه ولا إلى غيره- **وبعده:** =

إِذا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَهْ فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَهْ)

"فاللفظ الأول مركب من كلمتين هما: "ذا" و"هبة" بمعنى صاحب عطية أي: كريم، والثاني مفرد، وهو اسم فاعل من الذهاب، وقد اتفق اللفظان في الخط كما ترى"[1].

السجع

((ب) ومنها) أي: المحسنات اللفظية: **(السَّجعُ) لغة**: الكلامُ المُقَفَّى، أو مُوالاةُ الكلامِ على رَوِيٍّ وَاحِدٍ[2]، **اصطلاحًا**: **(وهو توافقُ الفاصلتينِ على حرفٍ واحدٍ)** "وهو معنى قول السكاكي: هو في النّثر كالقافية في الشعر"[3].

"**والفاصلة**: هي الكلمة الأخيرة من جملة مقارنة لأخرى، وتسمى كل واحدة من هاتين الجملتين "قرينة"؛ لمقارنتها لأخرى كما تسمى "فقرة""[4].

(؛ كقولِ الحريريِّ) أبي محمد القاسم بن علي الحريري (المتوفى سنة: 516هـ) (في) المقامة (الصنعانيةِ) وهي أولى مقاماته الخمسين المشهورة:

= فَمَا أَنْفَكُّ عَنْ نَدَمِي وَهَانَ دَمِي فَهَا نَدَمِي

ينظر: زهر الآداب وثمر الألباب (2/ 427)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 286)، البلاغة العربية (2/ 500).

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (1/ 182).

(2) القاموس المحيط (ص: 727).

(3) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 299).

(4) المنهاج الواضح للبلاغة (1/ 188).

("وهوَ يطْبَعُ الأسْجاعَ بجواهِرِ لفظِهِ. ويقْرَعُ الأسْماعَ بزَواجِرِ وعْظِهِ. وقدْ أحاطَتْ بهِ أخلاطُ الزُّمَرِ. إحاطَةَ الهالَةِ بالقَمَرِ. والأكْمامِ بالثَّمرِ") **قال ابن الأثير:** "فإنه جعل ألفاظ الفصل الأول مساوية لألفاظ الفصل الثاني وزنًا وقافيةً؛ فجعل (يطبع) بإزاء (يقرع) و (الأسجاع) بإزاء (الأسماع) و (جواهر) بإزاء (زواجر) و (لفظه) بإزاء (وعظه)، وهذا هو الكلام السهل الممتنع الذي تخاله قريبًا وهو بعيد المنال، عسير الحصول"[1].

(إلى أنْ قالَ: "إلامَ تسْتَمِرُّ على غَيّكَ. وتَستَمْرئُ مرْعَى بغْيِكَ؟ وحَتّامَ تتَناهَى في زهوِكَ. ولا تَنْتَهي عن لَهوِكَ؟ تُبارِزُ بمَعصِيَتِكَ. مالِكَ ناصِيَتِكَ!..." إلخ)[2].

فقد جعل(تسْتَمِرُّ) إزاء (وتَستَمْرئُ)، و(غَيّكَ) إزاء(بغْيِكَ) وهكذا يقال في زهوك ولهوك، وبمعصيتك مع ناصيتك.

وكما يجيء السجع في النثر يجيء في الشعر؛ **ومن أمثلته الشعرية: قول أبي فراس الحمداني:**

وأفعالنـــا للــــراغبين كرامـــة   وأموالنـــا للطـــالبين نهـــاب[3]

ولما كانت المحسنات اللفظية أقل من المعنوية لم يذكر الماتن للتمثيل عليها غير الجناس والسجع، وأما المحسنات المعنوية فلما كانت أهم من اللفظية وكانت كثيرة فقد ذكر لها واحداً وعشرين وجهًا.

---

(1) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور (ص: 264).

(2) مقامات الحريري (ص: 18).

(3) علم البديع (ص: 218).

المحسناتُ المعنوية

(والمحسناتُ المعنويةُ هي الأحقُّ بالعنايةِ) لما لها من أثر كبير في تعميق المعنى، وإبراز البراعة فيه (حتى إنَّ كثيرًا منها ربما عُدَّ مِن مقتضياتِ الأحوالِ)؛ كالطباق، والمقابلة، وحسن التعليل، ومراعاة النظير، والالتفات، ونحوها؛ فقد أدرجها الرازي في نهاية الإيجاز في مقتضيات الأحوال وموجبات الأغراض.

الطباق

(وهي كثيرةٌ) أي: المحسنات المعنوية كثيرة.

(1- فمنها: الطِّباقُ) ويسمى أيضًا المطابقة، والتضاد، والتكافؤ، والتطبيق (وهو: الجمعُ بينَ متضادينِ: اسمينِ، أو فِعلينِ، أو حرفينِ، أو مختلفينِ)؛ مثال الاسمين والفعلين: (نحو: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾[التوبة:82]) فقد طابق بين﴿فَلْيَضْحَكُوا﴾، و﴿وَلْيَبْكُوا﴾، وهما فعلان، وطابق بين﴿قَلِيلًا﴾ و﴿كَثِيرًا﴾ وهما اسمان. ومثال الحرفين والفعلين: (ونحو: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[البقرة:286]) فقد طابق في الحرفية بين ﴿لَهَا﴾ الدال على الأجر، و﴿وَعَلَيْهَا﴾ الدال على الإثم، وطابق بين الفعلين: ﴿كَسَبَتْ﴾ الدال على الطاعة، و﴿اكْتَسَبَتْ﴾ الدال على المعصية. ومثال الطباق بين اسم وفعل: ما قال المؤلف: (، ونحو: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[الأنعام:122]) فقد طابق بين﴿مَيْتًا﴾ الذي هو اسم، و﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ الذي هو فعل.

مراعاةُ النظيرِ

(2- ومنها: مراعاةُ النظيرِ) وتسمى: التناسُب، والتوفيقَ، والائتلاف (وهي: جمعُ المتناسباتِ) أو" أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه، لا بالتضاد"[1] (نحو: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[الرحمن:5-6]) فالنجم هنا: النبات الذي لا ساق له، والشجر: النبات الذي له ساق، فالنجم هنا بمعناه لا يناسب الشمس والقمر؛ لكونه لا يقصد به الكوكب المضيء، وإنما يناسبهما بلفظه فقط.

المشاكلة

(3-ومنها: المُشاكَلةُ، وهي: ذِكرُ معنى بلفظِ معنى آخرَ؛ لوقوعِه في صحبتِه؛ كقوله[2]:

(1) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/ 583).

(2) [لأبي الرَّقَعْمَق؛ أحمد بن محمد الأنطاكي، أثنى عليه الثعالبي] قلت: فقد قال الثعالبي فيه: "نادرة الزَّمَان، وَجُمْلَة الْإِحْسَان، وَمِمَّنْ تصرف بالشعر الجزل فِي أَنْوَاع الْجد والهزل، وأحرز قصب الْفضل، وَهُوَ أحد المُداح المجيدين، والفضلاء الْمُحْسِنِينَ"، يتيمة الدهر (1/ 379).

وللبيت المستشهد به قصة؛ يروى أن هذا الشاعر قال: "كان لي إخوان أربعة، وكنت أنادمهم أيام الأستاذ كافور الإخشيدي، فجاءني رسولهم في يوم بارد وليست لي كسوة تحصنني من البرد، فقال: إخوانك يقرأون عليك السلام، ويقولون لك: قد اصطبحنا اليوم وذبحنا شاة سمينة، فاشته علينا ما نطبخ لك منها؟ قال: فكتبت إليهم:

إخواننا قصدوا الصبوح بسُحْرة فأتى رسولهمُ إليَّ خصوصا =

قَالُوا اقْتَرِحْ شَيْئًا نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ   قُلْتُ اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصَا)

كأنه قيل: خيطوا لي؛ فذكر الجبة والقميص بلفظ: الطبخ؛ لوقوعهما في صحبة: **(نجد لك طبخه)**[1].

أسلوبُ الحكيمِ

(4- ومنها: أسلوبُ الحكيمِ)[2] **ويسمى "القولَ بالموجَب")**[3]، وهو: حَملُ الكلامِ على خلافِ المرادِ منه؛ تنبيهًا على أنَّه الأَولى بالإرادةِ؛ كقولِ القَبَعْثَرى[4] -حينَ توعَّده الحجاجُ بقوله: **("لأحملنَّكَ على الأدهمِ"-: "مثلُ**

= قالوا اقترح شيئًا نجد لك طبخه   قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

قال: فذهب الرسول بالرقعة، فما شعرتُ حتى عاد ومعه أربع خلع، وأربع صرر في كل صرة عشرة دنانير، فلبست إحدى الخلع وصرت إليهم"، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (2/ 252).

(1) تحقيق الفوائد الغياثية (2/ 794).

(2) **قلت**: وقد سمِّي بهذا الاسم لأنه يتضمن حكمة بالغة في تلقي سؤال السائل بغير ما يتوقعه، عبر تركه، والإجابة عن سؤال لم يسأله، أو حمل كلامه على غير مراده؛ تنبيهًا له على أن الأولى هو ما أجابه به، لا ما سأل عنه، وهو يمثل جوابًا حكيمًا في توجيه السائل إلى الغرض الأهم.

(3) **قلت**: والقول بالموجب إما بفتح الجيم-اسم مفعول-فيكون المقصود به: الحكم الذي أوجبه الدليل أو العلة. وإما بكسر الجيم-اسم فاعل-؛ لأنه يتضمن الصفة الموجبة للحكم.
ومعناه: "تسليم الدليل مع بقاء النزاع"، وقد سمي بهذا الاسم لأن المعترض يسلم ويوافق على موجب الدليل-أي: الحكم الذي أوجبته العلة أو الدليل الذي ذكره المستدل، ولكنه ينفي أن هذا الدليل ينطبق على محل النزاع، أي: يبقى الخلاف مستمراً في المسألة الأصلية رغم قبول الدليل. وهذا المصطلح من القوادح في باب القياس عند الأصوليين.

(4) **قلت: قال ابن عساكر**: " قال محمد بن الضحاك الحزامي عن أبيه: أمر الحجاج بإحضار =

الأمير يَحْمِل على الأدهمِ والأشهبِ") فقد أراد "الحجاج أن يقيده، فتلقاه القبعثرى بغير ما يترقبه من فهمه التوعيد بألطف وجه، مشيرًا إلى أنّ من كان مثله من السلطنة إنما يناسبه أن يجود بأن يحمل على الأدهم والأشهب من الخيل، ويكون جديرًا بأن يُصفد- بضم الياء- أي: يعطي، لا أن يَصفد- بفتحها- أي: يشد ويوثق"[1].

قال السكاكي: "وأن هذا الأسلوب الحكيم لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع ما سلبه حكم الوقور، وأبرزه في معرض المسحور، وهل ألان شكيمة الحجاج لذلك الخارجي وسلَّ سخيمته حتى آثر أن يحسن على أن يسيء؛ غيرَ أنْ سحرَه بهذا الأسلوب؛ إذ توعده الحجاج بالقيد في قوله: لأحملنك على الأدهم. فقال –متغابيًا-: مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، مبرزًا وعيده في معرض الوعد، متوصلاً أن يريه بألطف وجه أن آمراً مثله في مسند الإمرة المطاعة خليق بأن يُصفد لا أن يَصفد أن يعد لا أن يوعد"[2].

= الغضبان بن القبعثرى، وقال الحجاج: زعموا أنه لم يكن يكذب قط، واليوم يكذب، فلما دخل عليه قال: سمنت يا غضبان، قال: أصلح الله الأمير القيد والرتعة، والخفض والدعة، وقلة التعتعة، ومن يكن ضيف الأمير يسمن. قال: أتحبني يا غضبان؟ قال: أصلح الله الأمير أو فرقٌ خيرٌ من محبتي! قال: لأحملنك على الأدهم. قال: مثل الأمير حمل على الأدهم والكميت والأشقر، قال: إنه حديد. قال: لأن يكون حديدًا، خير من أن يكون بليدًا"، تاريخ دمشق لابن عساكر (48/ 67).

(1) أساليب بلاغية (ص: 265).

(2) مفتاح العلوم (ص: 327).

(وكقولِه[1]:

قُلْــتُ ثَقَّلْـــتُ إِذْ أَتَيْـــتُ مِـــرَاراً   قَــالَ ثَقَّلْــتَ كَــاهِلِي بالأَيَــادِيْ)

وبعد هذا البيت بيت آخر، وفي هذا الوجه البديعي أيضًا، كان الأولى بالمصنف أن يذكرهما معًا، **قال:**

قـالَ طَوَّلْـتُ قُلْـتُ أَوْلَيْـتَ طَـوْلاً   قَـالَ أَبْرَمْـتُ قُلْـتُ حَبْـلَ وِدَادِي

في البيت الأول أخذ المخاطب ظاهر كلام صاحِبِهِ وحَمَلَه على غَيْر مرادِه به؛ إذْ أراد بالتثقيل ما يَحْمِلُه المضيف من أعباء الضيافة، لكن المضيف حَمَلَه على معنى أنّ صاحِبَهُ ثَقَّلَ كَاهله بأياديه في تكرير زيارته له.

وفي البيت الثاني حَمَل كلمةَ "أَبْرَمْتُ" على معنى إبْرام حبْلِ الوداد، وقَصْدُ المتكلّم من "أَبْرَمْتُ" معنى أضْجَرْتُ وأَنْزَلْتُ الْمَلَلَ، وحَمَلَ كلمةَ "طَوَّلْت" على معنَى أفْضَلْت، أي: أعطيتَ فضلاً، وقَصْدُ المتكلّم أنّه أطال الإقامة[2].

---

(1)[نسب إلى ابن حجاج، وإلى محمد بن إبراهيم الأسدي] **قلت:** وممن نسبه لابن حجاج: الحموي في خزانة الأدب وغاية الأرب (1/ 259)، وقد نسب للأسدي في: خريدة القصر وجريدة العصر (2/ 507)، المحمدون من الشعراء (ص: 103)، مجمع الآداب في معجم الألقاب (2/ 257).

(2) البلاغة العربية (1/ 498).

التوجيه

(5- ومنها: التوجيهُ- ويسمى الإبهامَ- وهو: إيرادُ الكلامِ محتملاً لوجهينِ) كهجاء ومدح، ودعاء للمرء، أو دعاء عليه. والإبهام بصورة أوضح هو: أن يقول المتكلم كلامًا مبهمًا يحتمل معنيين متضادين، لا يتميز أحدهما عن الآخر، ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد، بل يقصد إبهام الأمر فيهما[1].

(؛ كقولِه[2]**:**

خَاطَ لِي عَمْرٌو قَبَاءْ لَيْتَ عَيْنَيْهِ سَوَاءْ)

---

(1) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (ص: 596).

(2) [ينسب لبشار بن برد، **وقال بعد البيت:**

قُلْتُ شِعرًا لَيسَ يُدرَى أَمَدِيحٌ أَمْ هِجَاءْ]

قلت: والبيتان في ديوان بشار(ص: 22)، لكن أكثر المصادر لم تنسبه إليه، وإنما تنسبه إلى أعرابي، أو رجل، أو شاعر، أو بعضهم. ينظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (2/ 757)، العقد الفريد (6/ 232)، جمع الجواهر في الملح والنوادر (ص: 118). ومثل هذا: ما حكِي أن بعض الشعراء هنأ الحسن بن سهيل بصهر المأمون مع من هنأه، فأثاب الناس كلهم وحرمه، فكتب إليه: إن أنت تماديت على حرماني عملت فيك بيتًا لا يعلم أحد مدحتك فيه أم هجوتك؟ فاستحضره وسأله عن قوله، فاعترف، فقال: لا أعطيك أو تفعل، **فقال:**

بَارَكَ اللهُ لِلْحَسَنْ ولِبُورَانَ فِي الْخَتَنْ

يا إمَامَ الْهُدَى ظفرْ تَ ولكِنْ ببنْتِ مَنْ؟

فلم يعلم أراد بقوله: "ببنت من؟ " في الرفعة، أو في الضعة، فاستحسن الحسن منه ذلك، وأضعف جائزته. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (ص: 596).

يروى عن بشار بن برد أنه خاط له رجل أعور يعرف بعمرو بُردًا فلم يعجبه، فقال له: ما هذه الخياطة؟ قال له: خطته لك كذلك لتلبسه إنَّ شئت على وجهه، وإنَّ شئت من باطنه. فقال له بشار: وأنا قد قلت فيك شعرًا، إنَّ شئت جعلته مدحًا، وإنَّ شئت جعلته هجوًا، ثم أنشد البيتين[1].

والمعنى: أنه إن" قصد التساوي في عينيه بالعمى صح، **وإن قيل**: إنه قصد التساوي في الإبصار صح"[2].

هكذا أخفى الشاعر مراده فلم يدر: أطلب أن تسوى العوراء بالصحيحة، فيكون دعاء له بالإبصار الكامل، أم طلب أن تسوى الصحيحة بالعوراء، فيكون دعاء عليه بالعمى الكامل؟[3].

والقباء: ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص ويتمنطق عليه[4].

---

(1) زهر الأكم في الأمثال والحكم (2/ 233).

(2) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (1/ 302).

(3) المنهاج الواضح للبلاغة (1/ 169).

(4) المعجم الوسيط (2/ 713).

المبالغة

للعلماء في المبالغة ثلاثة آراء:

1 - **الرفض مطلقًا، وحجتهم:** أن خير الكلام ما خرج مخرج الحق، وجاء على منهاج الصدق، من غير إفراط ولا تفريط، **كما قال حسان:**

وإنمـا الـشعر لـب المـرء يعرضـه   علـى المجـالس إنْ كيـسًا وإنْ حمقـا
وإنَّ أشـــعر بيـــت أنـــت قائلـــه   بيـــتٌ يقـــال إذا أنـــشدتَه صَـــدقا

2 -**القبول مطلقًا، وحجة أولئك:** أن خير الشعر أكذبه، وأفضل الكلام ما بولغ فيه.

3 - **التوسط بين الأمرين،** فتقبل مع الحسن إذا جرت على منهج الاعتدال.

وهذا رأي جمهرة العلماء، ودليل ذلك: وقوعها في التنزيل على ضروب مختلفة"[1].

والمبالغة كما قسمها أهل البلاغة ثلاثة أقسام:

التبليغ، وهو: الممكن عادة وعقلا.

والإغراق، وهو: الممكن عقلاً لا عادة.

والغلوّ، وهو: غير الممكن لا عادة ولا عقلا.

---

(1) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 336).

والمقبولان: الأول، والثاني[1]، وأما الثالث فهو مردود، إلا في صور فيها ما يقربه مراده من الصحة.

ولهذا نجد المؤلف عرف المبالغة، ومثل على أقسامها في الآتي، **فقال:**

(6-ومنها: المبالغةُ المقبولةُ، وهي: أن تصفَ الشيءَ بوصفٍ مستبعَدٍ، أو مستحيلٍ، يقترنُ بما يُقَرِّبُه من الصحةِ؛ كقولِه تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[النور:35]) "فإن إضاءة الزيت كإضاءة المصباح من غير أن تمسه النار محال عقلا. ولكن إدخال «يكاد» هنا أفاد أن المحال لم يقع، ولكن قَرُبَ من الوقوع مبالغة"[2].

(أو يُجوِّزُه العقلُ) وهذا من القسم الثاني وهو الإغراق **(؛ كقولِ الشاعرِ**[3]:

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا ... وَنُتْبِعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَالا)

فإن دعوى أن جاره لا يميل عنه إلى جانب، إلا وهو يرسل الكرامة والعطاء على أثره؛ أمرٌ ممتنع عادة، وإن كان غير ممتنع عقلاً.

فالمبالغة فيما سبق مقبولة؛ لأن في الأول ما يقرب من الصحة، وفي الثاني ما لا يمنع من الأمر عقلاً **(وإلا فليست مقبولةً)**؛ لاستحالتها عقلاً وعادة **(؛**

---

(1) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 260).

(2) علم البديع (ص: 97).

(3) [**لعمرو بن الأهتم التغلبي**] **قلت**: الشاعر هو: عمرو بن الأيهم بن الأفلت التغلبي، من نصارى تغلب في العصر الأول للإسلام. كان معاصرًا للأخطل، ومات الأخطل قبله. وقد توفي عمرو هذا نحو: (100هـ). الأعلام للزركلي (5/ 74).

كقوله[1]:

وأَخَفْـتَ أَهْـلَ الـشِّرْكِ حَتَّـى إِنَّـهُ   لَتَخَافُـكَ النُّطَـفُ الَّتِـي لَـمْ تُخْلَـقِ)

فالحسن بن هانئ هنا "يمدح الخليفة بأنه أخاف الكفار جميعًا، من وجد منهم ومن لم يوجد. وقد بالغ في إخافته أهل الشرك حتى جعله موضع خشية ورهبة للنطف التي لم توجد بعد، ومعلوم بالبداهة أن خوف النطف الموجودة محال عقلًا وعادة؛ لعدم قيام الحياة بها، فما بالك بنطف لم تخلق أصلًا، فمثل هذا غلو مردود؛ لعدم اشتماله على شيء من موجبات القبول المتقدمة[2].

يقول القاضي الجرجاني في الحط من شأن هذا البيت وأمثاله: "فهو من المحال الفاسد، وله باب غير هذا، وكل هذا عند أهل العلم مَعيب مردود، ومنفي مرذول، وإن كان أهل الإغراب وأصحاب البديع من المحدَثين قد لهِجوا به واستحسنوه، وتنافسوا فيه، وبارَى بعضُهم بعضًا به"[3].

---

(1) [لأبي نواس الحسن بن هانئ يمدح الرشيد] **قلت: قال ابن الأثير**: "ويروى أن العتابي لقي أبا نواس فقال له: أما استحييت الله حيث تقول، وأنشده البيت، فقال له: وأنت ما راقبت الله حيث قلت:

مـا زلـت في غمـرات المـوت مطّرحًـا   يـضيق عنـي وسـيع الـرأي مـن حيلـي

فلــم تــزل دائبًــا تــسعى بلطفــك لــي   حتى اختلست حياتي من يدَي أجلي

قال له العتابي: قد علم الله وعلمت أن هذا ليس مثل قولك، ولكنك قد أعددت لكل ناصح جوابًا"، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (3/ 192).

(2) المنهاج الواضح للبلاغة (1/ 174).

(3) الوساطة بين المتنبي وخصومه ونقد شعره (ص: 428).

ومن الأمثلة على الممكن عقلاً وعادة: قول المتنبي في مدح جواد:

وأصــرَعُ أيَّ الــوحشِ قفَّيْتُــه بــه وأنــزِلُ عنــه مثلَــه حــين أركَــبُ

"يقول: إذا طردت وحشًا به لحقه وصرعه، وقفيته: تلوته وتبعته، وإذا نزلت عنه بعد الطرد والصيد كان مثله حين أركبه يعني: لم يدركه العناء، ولم ينقص من سيره شيء"[1].

"فلما مدحه بأنه يلحق كل وحش عليه، ولم يستثن شيئًا من ذلك؛ عقبه بأعظم منه مدحًا، وأكثر مبالغة بقوله: «وأنزل عنه مثله حين أركب» في جموم جريه، وكثرة نشاطه، أو أنه لا يعرق مع كثرة جريه؛ لمزيد القوة وشدة صلابته"[2].

الاستخدام

(7- ومنها: الاستخدامُ) أي: ومن المحسنات المعنوية: الاستخدام، وقد سمي استخدامًا لأن الكلمة فيه استخدمت لمعنيين "**وهو قسمان: الأول**: أن يراد بلفظ له معنيان أحدُهما، سواء أكانا متساويين أم لا، ثم يؤتى بعده بضمير يعود في اللفظ عليه، وفى المعنى على معناه الآخر... **الثاني**: أن يراد بأحد ضميري اللفظ معنى، وبضميره الآخر آخر"[3].

---

(1) شرح ديوان المتنبي للواحدي (ص: 329).

(2) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (3/ 67).

(3) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 245).

وقد مثل المؤلف على القسمين، فقال: (وهو: ذِكرُ اللفظِ بمعنى، وإعادةُ الضميرِ عليه بمعنى آخرَ؛ كقولِه[1]:

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ ... رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَابا)

"فالسماء تحتمل معنيين: المطر، والنبات، فاستخدم المعنيين بقوله: إذا نزل السماء يعني: المطر، ورعيناه، يعني: النبات"[2].

---

(1) [نسب لجرير] قلت: البيت منسوب لمعاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب؛ كما ذكر ابن أبي الأصبع في تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (ص: 458)، وابن السبكي في عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 245)، وهو لمعاوية هذا عند المفضل في مفضلياته ضمن قصيدة مكونة من (25) بيتًا، أولها:

أَجَدَّ القلبُ مِنْ سَلْمى اجْتِنابا ... وأَقْصَرَ بَعْدَ ما شَابتْ وشَابَا

وقبل الشاهد قوله:

بحَمدِ اللهِ ثُمّ عَطاءِ قَومٍ ... يَفُكُّونُ الغَنائِمَ والرِّقابَا

وبعده:

بِكلِّ مُقَلِّصٍ عبْلٍ شَوَاهُ ... إِذَا وُضِعَتْ أَعِنَّتُهُنَّ ثابَا

المفضليات (ص: 357).

وقد رجح هذا صاحب المعاهد فقال: "ويدل على أن هذا البيت من هذه القصيدة أنه لم يوجد في قصيدة جرير على اختلاف رواة ديوانه"، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (2/ 261). ومعنى الشاهد: " إذا غيثت بلاد أعدائنا وأعشبت خرجنا إليها وقصدناها ورعينا عشبها؛ لعزنا ومنعتنا، ولم يكن ذلك عن رضا منهم وصلح"، شرح أدب الكاتب (ص:135).

(2) البديع في نقد الشعر (ص: 82).

"فإنه أراد بالسماء: المطر، وأراد بالضمير في "رعيناه" النبات، والنبات أحد معنيي السماء؛ لأنه مجاز عنه باعتبار أن المطر سببه، وسوغ عود الضمير على النبات - وإن لم يتقدم له ذكر - ذكر سببه، وهو السماء التي أريد بها المطر"(1).

وقال في القسم الثاني: (وقولِه(2):

فَسَقَى الْغَضَا والسَّاكِنِيْهِ وإِنْ هُمُ … شَبُّوْهُ بَيْنَ جَوانِحي وضُلُوعِي)

---

(1) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 245).

(2) [للبحتري أبي عبادة الوليد بن عبيد الطائي، من شعراء القرن الثالث] **قلت**: البيت في ديوان البحتري(ص17) **هكذا**:

فَسَقَى الغَضَا والنّازِلِيهِ، وإنْ هُمُ … شَبّوهُ بَينَ جَوَانحٍ وَقُلُوبِ

قال صاحب المعاهد: "وإن كان في كثير من نسخ التلخيص، بل وفي كثير من كتب هذا الفن بلفظ بين جوانحي وضلوعي"، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (2/ 269).

والشاهد من قصيدة أولها:

كَمْ بالكثيب من اعتراضِ كثيبٍ … وَقَوَامِ غُصْنٍ، في الثّيَابِ رَطِيبِ

وقبل البيت الشاهد:

تأبى المنازلُ أن تجيبَ ومن جوى … يَوْمَ الدّيارِ دَعَوْتُ غَيرَ مُجيبِ

هل تبلغنهم السلامَ دَجنةٌ … وَطْفَاءُ سارِيَةٌ بريح جَنُوبِ

أوْ تُدْنِيَنّهُمُ نَوازِعُ في البُرَى … عجلٌ كواردة القطا المسروبِ

وبعده:

وَقِصَارَ أيّامٍ بهِ شَرَقَتْ لَنَا … حسناتها من كاشحٍ ورقيبِ

يدعو الشاعر لأحبته الساكنين هذا المكان بالسقيا، وإن أحرقوا قلبه بنار الجوى، "والغضا": شجر شديد الاشتعال[1].

فلفظ "الْغَضَا" أراد به أوّلاً: المكان، وأعاد الضمير عليه بعبارة: "والنّازِلِيه" على هذا المعنى، وأعاد الضمير عليه بعد ذلك على معنى شجر الغضا وحَطَبه الصّلب ذي النار الحارّة إذا اشتعل، فقال: "شَبُّوهُ" أي: أوقَدُوه[2].

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (1/ 166).

(2) البلاغة العربية (2/ 401).

الالتفات[1]

(8- ومنها: الالتفاتُ، وهو: العدولُ عن التكلُّم، أو الخطابِ، أو الغَيبةِ؛ إلى آخرَ منها) وقال عنه ابن المعتز: "انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة، وما يشبه ذلك"[2] (؛ نحو: ﴿إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾[يونس:22]) فقد عدل هنا عن الخطاب إلى الغَيبة ولم يقل: بكم؛

---

(1) قلت: وهذا اللون البديعي ذو أهمية كبيرة، وآثار في الكلام عظيمة، وقد بين ذلك أئمة الفن؛ قال السكاكي: "وهذا النوع قد يختص مواقعه بلطائف معان، قلما تتضح إلا لأفراد بلغائهم، أو للحذاق المهرة في هذا الفن، والعلماء النحارير، ومتى اختص موقعه بشيء من ذلك كساه فضل بهاء ورونق، وأورث السامع زيادة هزة ونشاط، ووجد عنده من القبول أرفع منزلة ومحل إن كان ممن يسمع ويعقل، وقليل ما هم"، مفتاح العلوم (ص: 200)، وقال ابن الأثير عنه: "هو خلاصة علم البيان التي حولها يدندن، وإليها تستند البلاغة، وعنها يعنعن. وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا. وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة؛ لأنه ينتقل فيه عن صيغة؛ كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماض إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماض، أو غير ذلك مما يأتي ذكره مفصلاً. ويسمى أيضًا "شجاعة العربية"، وإنما سمي بذلك؛ لأن الشجاعة هي الإقدام، وذاك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، ويتورد ما لا يتورده سواه، وكذلك هذا الالتفات في الكلام؛ فإن اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات"، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (2/ 135).

(2) البديع في البديع لابن المعتز (ص: 152).

"فإنه إنما صرف الكلام ههنا من الخطاب إلى الغيبة لفائدة، وهي: أنه ذكر لغيرهم حالهم ليعجّبهم منها كالمخبر لهم، ويستدعي منهم الإنكار عليهم، ولو قال: حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم بريح طيبة وفرحتم بها، وساق الخطاب معهم إلى آخر الآية؛ لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة، وليس ذلك بخاف عن نقدة الكلام"[1] (ونحو: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ﴾[فاطر:9]) وهنا عدل من الغيبة إلى التكلم. ومقتضى الظاهر: فساقه. "وفائدته في هذه الآية وأمثالها: التنبيه على التخصيص بالقدرة، وأنه لا يدخل تحت قدرة أحد"[2] (ونحو: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[الكوثر:1-2]) وهنا عدل من التكلم إلى الخطاب، "فقد جاء الكلام أولاً على طريقة التكلم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ ثم انتقل إلى أسلوب الحديث عن الغائب: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ ولم يقل: فصل لنا.

والحكمة من هذا الالتفات: التذكير بحق الرب المنعم بعطاءات الربوبية في أن يعبده عباده ويصلوا له، مع الاقتصاد في التعبير، والإيجاز في القول"[3].

(1) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (2/ 10).

(2) أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: 75).

(3) البلاغة العربية (1/ 486).

التغليب

(9-ومنها: التغليبُ) وهو: "إعطاء أحد المتصاحبين في اللفظ، أو المتشاكلين المتشابهين في بعض الصفات، أو المتجاورين أو نحو ذلك؛ حكم الآخر.

ومن فوائده: الإيجاز في العبارة، مع فوائد بلاغية تلاحظ في مختلف الأمثلة"[1] (؛ كتغليبِ المذكَّرِ على المؤنثِ؛ نحو: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم:12]) " والأصل: كانت من القانتات، فغلب الذكور على الإناث، وصار القانتون في الآية يشمل القانتات والقانتين"[2] (وكالأبوينِ للأبِ والأمِ، والقمرينِ للشمسِ والقمرِ) ويكون هذا التغليب لأسباب، منها: تغليب الأخصر والأسهل، والأشرف والأقوى على غيره، والأصل على الفرع، والأشهر على سواه، وغير ذلك.

"ويكون التغليب في أمور كثيرة، منها: تغليب الكثير على القليل، وتغليب المعنى على اللفظ، وتغليب المخاطب على الغائب، وتغليب أحد المتناسبين أو المتشابهين أو المتجاورين على الآخر، وتغليب العقلاء على غيرهم، إلى غير ذلك من أمور"[3].

---

(1) البلاغة العربية (1/ 510).

(2) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني (ص: 334).

(3) البلاغة العربية (1/ 510).

قال السكاكي: "وباب التغليب باب واسع يجري في كل فن؛ قال تعالى -حكاية عن قوم شعيب-: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾[الأعراف:88]، أدخل شعيب في ﴿لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ بحكم التغليب، وإلا فما كان شعيب في ملتهم كافرًا مثلهم؛ فإن الأنبياء معصومون أن يقع منهم صغيرة فيها نوع نفرة، فما بال الكفر"[1].

اللفُ والنشرُ

(10-ومنها: اللفُّ والنشرُ) اللف لغة: الجمع والضم، **والنشر:** البسط والتفريق، **واصطلاحًا: (وهو: ذِكرُ متعددٍ، ثم ذكرُ ما لكلِّ فردٍ منه بلا تعيينٍ)** اتكالاً على أن السامع يرد إلى كل ما يليق به؛ لوضوح الحال؛ إما لقرينة لفظية، وإما معنوية؛ فالأولى كما تقول: رأيت شخصين: ضاحكًا وعابسة، فتأنيث عابسة دل على أن الشخص العابس هو المرأة، والضاحك هو الرجل، والثانية كما تقول: لقيت الصاحب والعدو فأكرمت وأهنت[2].

(، فالأولُ لفٌّ، والثاني نشرٌ) أي: الجمع أولاً ثم التفريق ثانيا **(فإن كانَ النشرُ على ترتيبِ اللفِّ فـ" مُرتَّبٌ") بمعنى:** إذا جاء الأول من المتعدد في النشر للأول من المتعدد في اللف، والثاني للثاني، وهكذا إلى الآخر؛ فهو لف ونشر

(1) مفتاح العلوم (ص: 242).

(2) ينظر: علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 330).

مرتب (؛ نحو: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾[القصص:73]) فجمع بين الليل والنهار بواو العطف، ثم بعد ذلك أضاف إلى كل واحد منهما ما يليق به؛ فأضاف السكون إلى الليل؛ لأن حركات الخلق تسكن ليلاً لأجل النوم، ثم قال بعد ذلك ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أضافه إلى النهار؛ لأن ابتغاء الأرزاق إنما يكون نهارًا بالتصرف والاضطراب، واكتفى في الإضافة بما يعلم من ظاهر الحال، وهو أن السكون مضاف إلى الليل؛ لما فيه من الاستراحة بترك التصرفات، وأن الابتغاء مضاف إلى النهار؛ لما يظهر فيه من الحركة، ولم يقل: جعل لكم الليل لتسكنوا فيه، والنهار لتبتغوا من فضله؛ إيثارًا لما يظهر في اللف بعده النشر من البلاغة، وحسن التأليف[1].

(وإنْ كانَ على عكسِه) أي: من غير ترتيب بأن يجعل الأخير للأول، والأول للأخير، وهكذا (فـ" مُشوَّشٌ") أي: فهو لف ونشر مشوش أي: مختلط ممزوج وغير مرتب (؛ كقوله:

قَوَامُهـــا ومُحيَّاهـــا ومَبـــسِمُها كـأسُ الرحيقِ وبـدرُ الـتمِّ والأَسَـلُ)

القوام: القامة، وحسن الطول، والمحيا: الوجه، والمبسم: الثغر - الفم والأسنان-، والرحيق: الخمر، وبدر التم: القمر ليلة الرابع عشر، حيث يستوي فيها القمر على كمال نوره، والأسل: الرماح.

(1) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (2/ 212).

فهو كما ترى معكوس؛ فكأس الرحيق للمبسم، وبدر التم للمحيا، والأسل للقوام.

ويعبر بعضهم عن هذا النوع -الذي سماه المؤلف بالمشوش- بالمعكوس، وهذا أحسن للتمييز بينه وبين النوع الآتي.

(وإلا فـ" فمختلطٌ") الترتيب، بأن لا يحصل فيه ترتيب، ولا عكسه **(؛ كقولِه:**

ولحظُـــــهُ ومُحيَّـــــاهُ وقامتُـــــه   بَـدرُ الـدُّجى وقـضيبُ البَـانِ والـرَّاحُ)

البـان: "ضـرب مـن الـشجر، سـبط القـوام، لـين ورقـه كـورق الصفـصاف، ويشبّه به الحِسان في الطول واللين"[1]، **والراح**: الخمر.

فبدر الدجى -وهو الأول في النشر أي: الشطر الثاني من البيت-: راجع إلى المُحيّا -وهو الثاني في اللف: أي: الشطر الأول من البيت -، وقضيب البان -وهو الثاني في العجز- راجع إلى القامة -وهي الثالثة في الصدر-، والراح -وهو الأخير في عجز البيت- راجع إلى اللحظ -وهو الأول في صدره-.

---

(1) المعجم الوسيط (1/ 77).

التقسيم

(11-ومنها: التقسيمُ، وهو: ذكرُ متعددٍ، ثُمَّ نسبةُ ما لكلٍّ إليه بالتعيينِ وبهذا القيد يفترق عن اللف والنشر؛ إذ لا تعيين فيه، بل هو موكول إلى الأفهام)؛ كقولِه[1]:

وَلاَ يُقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرَادُ بِهِ ... إِلاَّ الأَذَلاَّنِ: عَيْرُ الْحَيِّ والْوَتِدُ
هـذَا على الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ ... وذا يُشَجُّ فلا يَرْثِي لَهُ أحَدُ)

فقد ذكر الشاعر العَير والوتد، ثم أضاف إلى الأول الربط مع الخسف، وإلى الثاني الشج، ولكن على التعيين.

(1) [للمتلمِّس جرير بن عبد المسيح، والخسف: النقيصة والذل والخضوع] قلت: اسمه: جرير بن عبد العزّى - أو عبد المسيح - من بني ضُبَيعة، من ربيعة: شاعر جاهلي، من أهل البحرين. وهو خال طرفة بن العبد.
مات نحو: 50 ق هـ = نحو 569م)، ينظر: الأعلام للزركلي (2/ 119).
والضيم: الظلم، والعَير: الحمار، والرمة: القطعة من الحبل الخلق، والشج: الدق والكسر.
وقبل الشاهد قوله:

سيروا كما سارت الأملاك قبلكمُ ... نحو الحجاز وعزّ الناس مضطهدُ
إلى ملوك عطاء الله شيّبهم ... والمنشدون إذا جيرانهم نشدوا

وبعده:

كونوا كمن نازل الأملاك قبلكم ... بالعزّ إن كنتم بكرًا وما ولدوا

التذكرة الحمدونية (5/ 193).

الجَمع

(12- ومنها: الجمعُ، وهو: أنْ يُجمعَ بينَ متعددٍ) اثنين، أو أكثر (في حُكمٍ واحـد يعمهمـا. مثـال الاثنـين: (؛ نحـو: ﴿الْمَـالُ وَالْبَنُـونَ زِينَـةُ الْحَيَـاةِ الدُّنْيَا﴾[الكهف:46]) فجمع سبحانه وتعالى المال والبنين في حكم الزينة. ومثال الجمع بين أكثر من شيئين: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ﴾[المائدة:90]، فجمع الأربعة في حكم الرجس.

التفريق

(13- ومنها: التفريقُ، وهو: ذِكرُ شيئينِ من نـوعٍ، مع التفرقـةِ بينَهمـا بفـرقٍ يفيدُ معنى زائداً؛ كقولِه(1):

---

(1) [لرشيد الدين الوطواط، ينتهي نسبه إلى عمر بن الخطاب، وهو من أهل القرن السادس] قلت: قال ياقوت الحموي في ترجمته له: الأديب الكاتب الشاعر، كان من نوادر الزمان وعجائبه، وأفراد الدهر وغرائبه، أفضل زمانه في النظم والنثر، وأعلم الناس بدقائق كلام العرب وأسرار النحو والأدب، وكان ينشئ في حالة واحدة بيتًا بالعربية من بحر، وبيتًا بالفارسية من بحر آخر ويمليهما معًا. وللوطواط ديوان شعر، وله أيضًا من الكتب: تحفة الصديق من كلام أبي بكر الصديق. وفصل الخطاب من كلام عمر بن الخطاب. وأنس اللهفان من كلام عثمان بن عفان. ومطلوب كلّ طالب من كلام علي بن أبي طالب، وغير ذلك.
مولده ببلخ، وموته بخوارزم سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (6/ 2631).

مَــا نَــوالُ الْغَمَــامِ وَقْــتَ رَبِيــعٍ   كَنَــوالِ الأَمِيــرِ وَقْــتَ ســخَاءِ
فنـــوالُ الأَمِيـــرِ بَـــدْرَةُ عَـــيْنٍ   ونـــوالُ الْغَمَـــامِ قَطْـــرَةُ مَـــاءِ)

فبعد أن ذكر النوال الذي هو لفظٌ كُلّيٌّ يَجْمع في أفراده نَوالَ الأمير حين يعطي، ونوال الغمام حين يمطر؛ فرَّقَ في الحكم: فأبان أنّ نوال الأمير بَدْرَةُ عَيْن، أي: كيس مملوءٌ ذهبًا، وأنَّ نوال الغمام قطرة ماء[1].

التورية

(14- ومنها: التوريةُ) وهي: الستر(وتسمى الإيهامَ) والتوجيه، والتخيير، والتورية أحسن أسمائها؛ لمطابقة لفظها لمقصودها **(وهي: أن يُذكرَ لفظٌ له معنيانِ: قريبٌ وبعيدٌ، ويُرادُ البعيدُ؛ اعتمادًا على قرينةٍ خفية؛ كقوله:**
حَمَلْنـاهُمُ طُـرًّا عَلَى الـدُّهْمِ بَعْدَما   خَلَعْنـا عَلـيهمْ بالطِّعَـانِ مَلابِـسَا)

"أراد بالحمل على الدهم: تقييد العدى، فأوهم إركابهم الخيل الدهم كما ترى"[2]، و"الشاهد في "الدهم"؛ فإنه يحتمل الخيل الدهم، وهو المعنى القريب الموري به، وقد تقدم لازمه المرشح له وهو لفظ الحمل؛ لأنه من لوازم الخيل، ويحتمل القيود، وهو المعنى البعيد الموري عنه، وهو المراد؛ لأنه أراد تقييد العدى"[3].

ومن هذا النوع: قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في خروجه إلى بدر، وقد قيل

---

(1) البلاغة العربية (2/ 419).
(2) مفتاح العلوم (ص: 427).
(3) أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: 359).

له: ممن أنتم؟ فلم يرد أن يعلم السائل، **فقال: (من ماء)**. وأراد: أنا مخلوقون من ماء. فورّى عنه بقبيلة من العرب يقال لها: بنو ماء.

تأكيدُ المدحِ بما يُشبهُ الذمَ وتأكيدُ الذمّ بما يُشبهُ المدح

(15- ومنها: تأكيدُ المدحِ بما يُشبهُ الذمَّ) وهو: أن يبالغ المتكلم في المدح، إلى أن يأتي بعبارة يتوهم السامع في بادئ الأمر أنها ذم (؛ **كقولِه**[1]:

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ من قِرَاعِ الْكَتَائِبِ)

(1) [**للنابغة الذُبياني، من أصحاب المعلقات، يمدح عمر بن الحارث الأصغر**] **قلت**: توفي النابغة الذبياني في الجاهلية نحو: 18 ق هـ = 000 - نحو 604م). الأعلام للزركلي (3/ 54).

وقد سلك بعض الشعراء مسلك النابغة في هذا الأسلوب:

قَالَ الْقطَامِي يمدح بني دارم:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ قُدورَهمْ ... على المالِ أمثالُ السِّنين الحَواطمِ

الحماسة البصرية (1/ 154).

وقال شاعر آخر:

ولا عيب فيكم غير أن ضيوفكم ... تعاب بنسيان الأحبة والوطنْ

خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (2/ 399).

يروى أنَّ عروة بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال لعبد الملك بن مروان: أريد أنَّ تعطيني سيف أخي عبدالله بن الزبير. فقال له: هو بين السيوف ولا أميزه. فقال: إذا أحضرت ميزته أنا. فأمر عبد الملك بن مروان بإحضاره. فلما أحضره أخذ عروة سيفًا مفلول الحد وقال: هذا سيف أخي. فقال عبدالملك: أكنت عرفته قبل اليوم؟ قال: لا، قال: فكيف عرفته؟ قال: عرفته بقول النابغة:

ولا عيب فيهم غير إنَّ سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

زهر الأكم في الأمثال والحكم (1/ 304).

الفلول: جمع "فل" وهو ثلم يصيب حد السيف من الضرب الشديد به، والقراع: التقاتل ضربًا بالسيوف والرماح، والكتائب: الجيوش المحاربة.

يقول: إن تثلم سيوفهم من قراع الكتائب يتضمن مدحًا لهم بالشجاعة والإقدام، فهو ليس من العيوب، بل هو من المناقب، فذكره على أنه هو العيب الوحيد لهم يؤكد الثناء عليهم أبلغ تأكيد[1].

(16- وعكسُه) أي: تأكيدُ الذمِّ بما يُشبهُ المدحَ، وهو: أن يبالغ المتكلم في الذم إلى أن يأتي بعبارة يتوهم السامع في بادئ الأمر أنها مدح (؛ **نحو: فلانٌ لا خيرَ فيه، لكنه يُسيءُ إلى إخوانِه**) فصفة المدح هي (**خير**) في فلان منفيّة ب (**لا**)، وقد استثني من هذه الصفة الممدوحة المنفيّة صفة ذم وهي (**الإساءة إلى إخوانه**) وهي داخلة في الصفة المنفية.

ومنه: قول القائل:

لئيم الطباع سوى أنه ... جبان يهون عليه الهوان

فقد أثبت له صفةَ اللؤم قبل "سوى" وصفة الجبن بعدها[2].

---

(1) البلاغة العربية (2/ 394).

(2) البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 434).

الاحتراسُ

(17- ومنها) أي: المحسنات المعنوية: (الاحتراسُ، ويسمى التكميلَ، وهو: أن يُؤتَى في كلامٍ يوهمُ أمرًا غيرَ مقصودٍ بما يدفعُ ذلكَ الإيهامَ) وهو نوعان: الأول: يتوسط الكلام (؛ كقولِه[1]:

فَسَقى دِيَارَكَ - غَيْرَ مُفْسِدِها - صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي)

"فلو لم يقل: غير مفسدها لظن به أنه يريد توالي المطر عليها، وفي ذلك فساد للديار، ومحو لرسومها؛ كما عابوا قول ذي الرمة:

ألا يا اسلمي يا دار ميَّ على البلى ولا زال منهلًّاً بجرعائكِ القطرُ

وقالوا: إذا لم يزل القطر منهلاً عليها عفى آثارها، ودرس معالمها"(2)
فاحترز طرفة بقوله ذلك من هذا.

والنوع الثاني: يقع في آخر الكلام؛ كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[المائدة:54]؛ فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لتُوُهم أن ذلتهم لضعفهم، فلما قيل:

---

(1) [طرفة بن العبد، صاحب المعلقة المشهورة، يمتدح قتادة بن سلمة الحنفي] قلت: وهو آخر بيت من قصيدة لطرفة أولها:

إنّ امرأً سَرَفَ الفؤادِ يَرى عَسَلاً بماء سحابَةٍ شَتْمي

ديوان طرفة بن العبد (ص: 78).

(2) سر الفصاحة (ص: 274).

﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ علم أنها منهم تواضع لهم؛ ولذا عدي "الذل" بـ"على" لتضمينه معنى العطف، كأنه قيل: عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع، ويجوز أن تكون التعدية بـ"على"؛ لأن المعنى أنهم -مع شرفهم وعلوّ طبقتهم وفضلهم على المؤمنين- خافضون لهم أجنحتهم(1).

الاعتراض

(18-ومنها: الاعتراضُ، وهو: أن يُذكرَ في خلالِ الكلامِ شيءٌ لا محلَّ له من الإعرابِ؛ لنكتةٍ غيرِ دفعِ الإيهامِ؛ كالتنزيهِ في قولِه تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾[النحل:57]) "عبارة: "سبحانه" جملة اعتراضية بين كلامين متصلين في معناهما، للمبادرة إلى تنزيه الله عن أن يكون له بنات، والتشنيع على من جعلهن له بتصورهم الفاسد، وأقوالهم الكاذبة(2).

وللاعتراض أغراض أخرى منها: الدعاء، التنبيه، زيادة التأكيد، والتعظيم، وغيرها، وهو من صور الإطناب في علم المعاني.

حسنُ الابتداء

(19- ومنها: حسنُ الابتداءِ، ويسمى براعةَ المطلعِ) **البراعة:** مصدر قولهم: برع الرجل براعة، أي: فاق نظراءه في أمر، وبرع براعة فَهُوَ بارع وبريع، **والبراعة:**

(1) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (2/ 355).

(2) البلاغة العربية (2/ 81).

كَمَال الْفضل وَحسن الفصاحة الْخَارِجَة عَن نظائرها[1]. **والمطلع**: أول النص ومبتدأه **(وهو: أن يأتيَ المتكلمُ في أولِ كلامِه بعبارةٍ واضحةِ المعنى، عذبةِ اللفظِ)** "**قال أهل البيان**: من البلاغة: حسن الابتداء، وهو أن يتألق المتكلم في أول كلامه، ويأتي بأعذب الألفاظ، وأجزلها وأرقها وأسلسها وأحسنها، نظمًا وسبكًا، وأصحها مبنى، وأوضحها معنىً، وأخلاها من الحشو، والركة والتعقيد، والتقديم والتأخير الملبس والذي لا يناسب.

قالوا: وقد أتت فواتح السور من القرآن المجيد على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها، كالتحميدات، وحروف الهجاء، والنداء وغير ذلك"[2] **(؛ لتجذبَ السامعَ إلى الإصغاءِ بكُلِّيِّتِه)** هذا من غايات حسن الابتداء؛ فإن النص إذا افتتح بذلك التأنقِ جذبَ السامع والقارئ، واستهوى لبه، واستخف سمعه؛ لأن الكلام إذا كان بهذه الصفة أول ما يقرع السمع، أو يصادق النظر يقع موقعًا حسنًا من القلب، فاستدعى الإقبال والعناية والاستمرار في المتابعة، وأعان على الوعي وحسن القبول، فإذا لم يكن كذلك دعا إلى الإعراض عنه، كأنه يقول للقارئ: لا تقرأني، وللسامع لا تسمعني.

(؛ كقولِه[3]:

---

(1) المعجم الوسيط (1/ 50)

(2) أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: 3).

(3) [**لأبي الطيب المتنبي**] **قلت**: والمعنى كما قال أبو العلاء: "إن المجد والكرم اعتلا بعلتك؟! فلما عوفيت عوفيا بعافيتك، وزال ألمك الذي بك إلى أعدائك؛ لأنهم اغتموا بعافيتك، =

الْمَجْـدُ عُـوفِيَ إِذْ عُوفِيـتَ والْكَـرَمُ   وزَالَ عَنْـكَ إِلَـى أَعْـدَائِكَ الأَلَـمُ)

فقد بدأ البيت بتعظيم سيف الدولة بالتهنئة بالعافية عند برئه من سقمه من خلال ربط عافية المجد والكرم بعافيته، والدعاء بزوال ألمه إلى أعدائه، مع حسن سبك الكلمات وسهولتها، وحسن ترتيبها. وهذا الافتتاح الفخم يستهوي القارئ لمتابعة سائر أبيات القصيدة.

(وتزدادُ حسنًا) أي: العبارة الافتتاحية المنعوتة بالنعوت السابقة **(إذا دلتْ على المقصودِ بإشارةٍ لطيفةٍ) أي**: إذا أوحت إلى القارئ أو السامع بمقصود ذلك النص وهدفه، وفي أيِّ أمر هو، ولكن بتلميح بعيد عن التصريح؛ كأن تشي العبارة بتهنئة أو عزاء، أو بيان موضوع ذلك النص، ونحو ذلك **(وتُسمَّى)** تلك الطريقة المتأنقة **(حينئذ براعةَ الاستهلالِ)** "الاستهلال يطلق على معان، كل

= وتألموا بصحتك، فكأن ألمك انتقل إليهم.

وقيل: إن هذا دعاء أي: رد الله تعالى ألمك إلى أعدائك. والأولى أنه خبر، وليس بدعاء؛ لأنه أخبر في صدر البيت أنه عوفي، فلا يتصور معه الدعاء عليهم بداء له وقد زال"، معجز أحمد (ص: 306).

وبعد بيت الشاهد:

صَحَّتْ بِصِحَّتكَ الغَارَاتُ وابْتَهَجَتْ   بِها المَكَارمُ وانهلَّتْ بِهَا الدِّيَمُ

وَرَاجَعَ الشَّمْسَ نُورٌ كَانَ فَارَقَها   كَأَنَّما فَقْدُهُ في جِسْمها سَقَمُ

إلى أن قال:

ومَا أَخُصُّكَ في بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ   إذا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِموا

منها مشتمل على نوع افتتاح؛ يقال: استهل: رأى الهلال. واستهل المولود: صاح في أول زمان الولادة. واستهلت السماء: جادت بالهلل –بفتحتين– وهو أول المطر. وكل من هذه المعاني مناسب للنقل منه إلى المعنى الاصطلاحي، وإن خصه بعضهم بالنقل من المعنى الثاني، قال: وإنما سمي هذا النوع الاستهلال؛ لأن المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به"[1] (؛ **كقولِه في تهنئة بمولودٍ[2]:**

بُشْرَاكَ قَدْ أَنجَزَ الإقبالُ مَا وَعَدا وَكَوكَبُ المَجدِ في أُفْقِ العُلَا

فأول كلمة في البيت تبين موضوعه.

---

(1) أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: 7).

(2) [**أبو محمد الخازن يهنئ الصاحب بن عباد**] **قلت: أولاً**: المصادر التي اطلعت عليها ذكرت هذا البيت بلفظ: (بشرى فقد أنجز الإقبال...إلخ)، **ثانيًا**: مناسبة هذا الشعر هي: أن الصاحب ابن عباد زوّج ابنته من بعض العلويين فأولدها، فذكر ذلك بعض العلويين وهنأ الصاحب بالولد، فقال الشاعر البيت السابق. **وبعده قول الشاعر**:

وقد تفرّع في أرض الوزارة عن دوح الرسالة غصن مورق رشدا

لله آية شمس للعلا ولدت نجمًا وغابة عزّ أطلعت أسدا

التذكرة الحمدونية (4/ 167). **وكان الصاحب بن عباد لما أتته البشارة بسبطه المذكور أنشأ يقول**:

الحمد لله حمداً دائماً أبدا إذ صار سبط رسول الله لي ولدا

أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: 7).

حسنُ التخلص

(20- ومنها: حسنُ التخلصِ، وهو: أن يُنتقلَ إلى المقصودِ على وجهٍ دقيقٍ سهلٍ، يُختلسُ اختلاسًا) يعني: أن ينتقل بعجلة لا تدرك؛ كالذي يستلب الشيء سريعًا عن غفلة ومخاتلة **(بحيثُ لا يَشعرُ السامعُ)** بذلك الانتقال السريع، حيث " ينتقل الشاعر أو الناثر من فن من فنون الكلام إلى فن آخر، أو من موضوع إلى موضوع آخر بأسلوب حسن مستطاب، غير مستنكر في النفوس ولا في الألباب، وأحسنه ما لا يشعر المتلقي معه بالانتقال؛ لما أحدثه التمهيد المتدرج من تلاؤم، أو لحسن اختيار المفصل الذي حصل عنده الانتقال، أو لغير ذلك"[1] **(؛ كقولِه**[2]**:**

(1) البلاغة العربية (2/ 561).

(2) [أبو تمام، يمدح عبد الله بن طاهر، **وقُومس** -بضم القاف-: صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل، **والمهرية** -بفتح الميم-: الإبل المنسوبة إلى مهر بن صعدان، **والقود**: الطوال الظهور والأعناق] **قلت: قال ابن الأثير** عن هذين البيتين: "وهذان البيتان من بديع ما يأتي في هذا الباب ونادره"، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (2/ 245)، **وقال الآمدي**: "وهذا ما لا نهاية لحسنه"، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري (3/ 230). لكن الصفدي صلاح الدين لم يعجبه ذلك لسبب ما؛ حيث قال: " والناس يستحسنون هذا من أبي تمام، ويعدّونه من الجيد له، وقد أخذه بلفظه من مسلم بن الوليد، واجترأ عليه اجتراء السادة على العبيد؛ لأنّ مسلم هو البادي، وأبو تمام هو العادي، **وذلك حيث يقول**:

تقول صحبي وقد جدّوا على عجل ... والخيل تستنُّ بالرّكبان في اللجم

أمطلع الشمس تبغي أن تؤمَّ بنا ... فقلت كلاّ ولكن مطلع الكرم

وهذا في غاية الحسن التي تكبو الفحول دون بلوغها، وتعجز الشعراء عن الظفر بمصوغها؛ فإنّ عين النهى تصل النظر إلى رفعتها وتأمّل، ومطايا التخييل تكلُّ عن النهوض بعبئها =

يقولُ في قُومَسٍ صَحْبِي وَقد أخذَتْ　　منا السُّرَى وخُطا المَهْرِيَّةِ القُودِ
أَمَطْلعَ الشَّمْسِ تبغي أَن تَؤُمَّ بِنَا　　فقلتُ كَلاَّ ولكنْ مَطْلِعَ الجُودِ)

حسن التخلص هنا يبدو من أن أبا تمام بدلاً من أن يكمل وصف التعب والمكان ينتقل مباشرة إلى سؤال بلاغي قائلاً: هل تطلب الشمس أن تطلع علينا؟ ثم يجيب نفسه، ويتحول في الإجابة إلى وصف مطلع الجود بدلاً من مطلع الشمس، وهذا انتقال رائع، وتخلص جميل عبَر فيه من المطلع الحسي (مطلع الشمس) إلى المطلع المعنوي (مطلع الجود)، فهو لم يكمل وصف المعاناة كما كان متوقعًا، بل استخدمها كمحطة انطلاق إلى الشيء الأهم الذي يرجو أن تنهل عليه سحابه.

حسنُ الانتهاء

(21- ومنها: حسنُ الانتهاءِ، وهو: ختمُ الكلامِ) سواء كان نثراً أم شعراً (بمعنى جيدٍ مألوفٍ) غير وحشي ولا مستكره (ويزدادُ حسنًا إذا أشعرَ بالتمامِ) بلفظ يحمل معنى الختم أو الإكمال، أو معنى فيه من معاني النهايات، وغاية من غايات الآمال (ويسمى براعةَ مقطعٍ وانتهاءٍ) وبراعةَ ختامٍ؛ وذلك بأن يختم المتكلم كلامه بأحسن كلام يحسن السكوت عليه، ولا ينتظر المخاطب غيره.

وهذا مما ينبغي الاعتناء به و"ذلك أن ختام الكلام هو آخر ما تعيه الأذن،

= فتتجمّل وما تتحمّل"، العقد المفصل في قبيلة المجد المؤثل، للحسيني (ص: 90).

ويرتسم في الخيال، فإن كان حسنًا هفت إليه النفس، واستلذه السمع، وقد يكون جابرًا لما عساه قد وقع من نقص أو تقصير، فإن لم يكن الانتهاء حسنًا رائعًا كان الأمر على العكس من صدوف النفس ونفورها، واستكراه السمع ومجه، وقد ينسي ذلك ما تقدم من محاسن الكلام، فيعود السامع أو القارئ على مجموعه بالذم وإن كان حسنًا"[1].

(؛ كقولِه[2]:

بَقِيتَ بَقَاءَ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ ... وَهَذَا دُعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلُ)

فقد ختم قصيدته بالدعاء لمخاطبه بالبقاء كالدهر، وعمم ذلك للناس؛ فإن بقاء ممدوحه بقاء للناس؛ لأنه ملجأ لهم في نفعه ودفعه بآثار جوده وكرمه، وهذا يؤذن بالختام.

---

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (1/ 177).

(2) [**ينسب لأبي العلاء المعري، وللمتنبي، والله أعلم**] **قلت**: الذي وجدته: أن البيت للغَزي؛ كما ذكر في: نهاية الأرب في فنون الأدب (7/ 135)، وأنوار الربيع في أنواع البديع (ص: 513)، وقد ترجم للغزي عمادُ الدين الأصبهاني في "خريدته" ترجمة طويلة، ونسب هذا البيت إليه من قصيدة طويلة يمدح فيها ابن مكرم، **أولها**:

قُلوبُ الوَرى أَشْراكُهُنّ الشَمائلُ ... وشُهْبُ العُلى أَفْلاكُهُنّ الفَضائِلُ

إِليكُمْ تُضافُ المَكْرُماتُ ابنَ مُكْرَمٍ ... كأَنَّكُمُ الأَفْلاكُ وهْيَ المنازلُ

ومما قال عنه: هو أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن محمد الكلبي ثم الأشهبي المعروف بالغزي. مولده غزة الشام، وانتقل إلى العراق، ومات سنة أربع وعشرين وخمسمائة. خريدة القصر وجريدة العصر(2/ 209) (2/ 218) (2/ 221).

(وقولِه:

مــا أســأَلُ اللهَ إلا أن يَــدومَ لَنَــا لا أنْ تزيــدَ معاليــهِ فقــدْ كمُلــتْ)

وهذا من حسن الانتهاء أيضًا؛ حيث ختم بالدعاء، وجعل آخر كلماته ما يدل على الإكمال.

ومن حسن الختام: حمد الله تعالى؛ **قال تعالى**: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[يونس:10]، **وقال**: ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الزمر:75]، **وقال**: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الصافات:180-182].

ومن حسن الانتهاء: الصلاة والسلام على رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ ولذلك يستحب ابتداء الدعاء بها، وختمه بها، كما نص على ذلك بعض الفقهاء.

ومن حسن الانتهاء من المرثية: ذكر السلام على الميت؛ كما ختم أبو تمام قصيدته في رثاء الطوسي **فقال**:

عليــك سَــلامُ اللهِ وَقْفــًا فــإِنَّني رَأيتُ الكريمَ الحُرَّ ليسَ له عُمْرُ[1]

ثم قال المؤلف رحمه الله خاتمًا: (واللهُ سبحانه وتعالى أعلمُ، وصلى اللهُ تعالى وسلمَ على سيدِنا محمد، خاتمِ النبيينَ، وعلى آلِه وصحبِه الكاملينَ؛ ما لاحَ بدرُ تمامٍ) وذكرُ الكمال والتمام من حسن الختام.

(1) ديوان أبي تمام (ص: 496).

ونحن نقول: هذا آخر ما يسر الله من شرح هذا المتن المفيد، ونسأل الله تعالى له التسديد، والنفعَ الكبير لراقمه ودارسه، وأن يحليه بحلية التمام، وأن يحسن لنا ولطلابنا به الختام، والحمد لله أولاً وآخرا، وباطنًا وظاهرا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المحتويات


سلسلة الشروح (١١)
الميسر
في شرح
حسن الصياغة في فنون البلاغة
للشيخ: هارون عبد الرازق رحمه الله
(ت:١٣٣٦هـ)
شرحه:
د. عبد الله بن عبدو العواضي